السبل المرضية

لطلب العلوم الشرعية

وفيه فوائد وتنبيهات وقضايا مهمة حول المنهجية في طلب العلم
مع قوائم ببلوجرافية بالمصنفات المعاصرة المهمة في كل فن
من الفنون وتذييلات مهمة على كتاب الدليل إلى
المتون العلمية

تأليف
أبو الأشبال أحمد بن سالم المصري

دار الكيان
الرياض

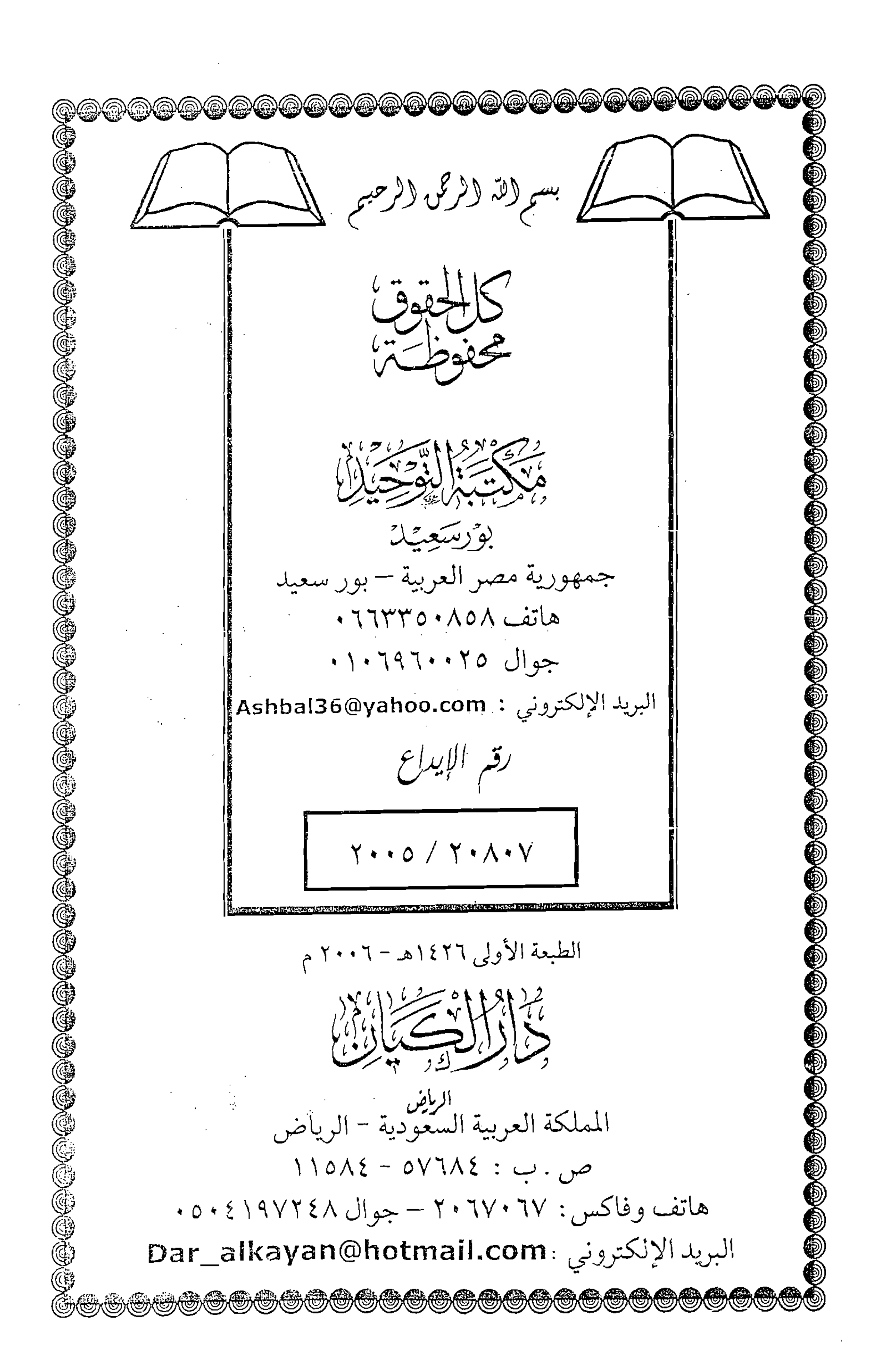
مكتبة التوحيد
بور سعيد

السبل المرضية

لطلب العلوم الشرعية

وفيه فوائد وتنبيهات وقضايا مهمة حول المنهجية في طلب العلم
مع قوائم ببلوجرافية بالمصنفات المعاصرة المهمة في كل فن
من الفنون وتذييلات مهمة على كتاب الدليل إلى
المتون العلمية

تأليف
أبو الأشبال أحمد بن سالم المصري



بسم الله الرحمن الرحيم

مكتبة التوحيد
بور سعيد
جمهورية مصر العربية – بور سعيد
هاتف ٠٦٦٣٣٥٠٨٥٨
جوال ٠١٠٦٩٦٠٠٢٥
البريد الإلكتروني : Ashbal36@yahoo.com

رقم الإيداع

٢٠٠٥ / ٢٠٨٠٧

الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م

دار الكيان
الرياض
المملكة العربية السعودية - الرياض
ص . ب : ٥٧٦٨٤ - ١١٥٨٤
هاتف وفاكس: ٢٠٦٧٠٦٧ – جوال ٠٥٠٤١٩٧٢٤٨
البريد الإلكتروني : Dar_alkayan@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

ديباجة الكتاب

إن الحمد لله نحمدهُ ونستعينُه ونستغفرهُ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا مَنْ يهدِهِ الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبدهُ ورسولهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدىُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة.

وبعد...

فإن الناس قد تكلموا فأكثروا من الكلام عن فضل العلم وأهميته وما أعد الله لطالب العلم من الأجر والجزاء.

وانطلق طلاب العلم على إثر ذلك فى الطلب راجين ثواب الله وما أعد الله لطالب العلم من الأجر العظيم.

وعلى الرغم من التضخم الكمى الظاهر فى أوساط طلاب العلم إلا أن المصلحين وجدوا أن النتائج والثمرات أقل بكثير من المتوقع من هذه الأعداد من الطلاب، مما حدا بهم إلى محاولة تلمس أسباب هذا العجز فى التوازن.

فوجدوا أننا نستطيع حصر الأسباب المعينة لطالب العلم على الوصول إلى مبتغاه والاندراج فى سلك العلماء فى الأسباب التالية:

١- توفيق الله تبارك وتعالى.

٢- اتباع المنهجية الصحيحة فى طلب العلم.

٣- الهمة العالية.

٤- الظروف المحيطة بالطالب (من التفرغ للطلب وعدمه، توفر الشيوخ وقلتهم، القدرة المادية وعدمها، إلخ).

٥- الاستعداد الفطرى وتوفر الملكة. (وإنما أخرتها-على أهميتها-لأنه ربما تقعد بالطالب موهبته فتجبر ذلك وتقيمه بقية الأسباب الماضية خاصة الأول).

ولما كان الأول لا حيلة للطالب فيه إلا الدعاء واجتناب محارم الله، فقد أجمع المصلحون على أن غياب المنهجية وفساد طرق التعليم هو العامل الأكبر فى فساد حياتنا العلمية فى أيام الناس هذه.

❑ فقد ظهر أناس أعجبتهم عقولهم وظنوا أن بمقدور الواحد منهم أن يهجر عمل الأمة فى أربعة عشر قرنًا متواصلة إلى منهج من بنات أفكاره وسمادير أحلامه.

❑ وآخرون استحوذ عليهم الشيطان فطلبوا العلم لغير الله فلم يكن مقصودهم طلب المنهجية الصحيحة فى طلب العلم، وإنما كان أعظم مقاصدهم هو طلب المنهجية الصحيحة فى طلب الشهرة والمال!!!

❑ وصنف ثالث ابتلاهم الله بالحيرة والتخبط، فاليوم منهج وغدا غيره، بالعشى كتاب وبالصبح آخر، وهكذا تخبط مستمر فيمضى الواحد منهم السنين تلو السنين ولا يحصل شيئًا، وهذا الصنف هم أغلب طلاب العلم فى هذه الأيام.

١- ولما كنت قد وضعت كتابى الآخر:

«نصائح وتوجيهات حول المنهجية فى طلب العلم»، وكنت قد جمعته من كلام أكابر العلماء المعاصرين ونفر من الدعاة الموفقين، فقد انتخبت من المناهج التى طروحها هذا البرنامج الذى بين يديك وطريقتى فيه أننى لا ألزم الطالب بكتاب معين، وإنما أعرض له المنهج فى صورة مراحل وأضع فى كل مرحلة أفضل ما أوصى به أهل العلم فيها فيجد الطالب والمعلم لديه أفقًا رحبًا وقاعدة عريضة ينتخب من بينها أنسب شىء له.

٢- صنف الشيخ عبد العزيز بن إبراهيم بن قاسم كتابًا ماتعًا سماه «الدليل إلى المتون العلمية» ذكر فيه أهم المتون العلمية وطبعاتها، وهو كتاب نفيس جدًا فلم أشأ أن أسود الأوراق بما لا طائل تحته، فكنت إذا ذكرت متنًا رددت الطالب إلى هذا الكتاب ليطالع البيانات الوافية عن هذا المتن

وشروحه، وإن كانت لى تذييلات (عبرت فى الكتاب بلفظ الاستدراك ولفظ التذييل أوفق فجل ما ذكرت إنما طبع بعد فراغ الشيخ من كتابه) ذكرتها عقب هذا العزو.

والكتاب نشرته دار الصميعى فى مجلد ضخم وإليه أعزو، وهناك نسخة إلكترونية على هذا الرابط

htm . index /alalm /mktarat /net . saaid / / : http

٣-اعتنيت بذكر أفضل الطبعات وأشهرها لكتب هذا البرنامج العلمى.

٤-رتبت الكتب الأساسية فى المنهج فى كل مرحلة ترتيبًا رقميًا.

(١-٢-٣) والأصل أن ما ذكر أولًا فى كل مرحلة هو الأفضل للطالب أو الأكثر شهرة وتداولًا ومدحا بين أهل العلم.

٥-إذا ما وضعت نجمة [*] أمام أى كتاب من كتب هذا المنهج فهذا يعنى أنه كتاب نفيس جدا بقطع النظر عن ترتيبه وسط كتب المرحلة فقد يتأخر ترتيبه لكون غيره أفضل منه من الناحية التعليمية مع كونه هو أوفر مادة وأكثر فوائد.

٦-قدمت بمقدمة طويلة نوعًا ذكرت فيها قواعد وفوائد منهجية مهمة كنت قد وقفت عليها أثناء إعدادى لكتاب «نصائح وتوجيهات» ولحظت غفلة كثير من الطلاب عنها فأثبتها دون ترتيب منهجى منطقى معين، وعزوتها إلى أصحابها وما كان خلوًا من العزو فهو لى.

٧- جمعت فى كل مرحلة-غالبا- بين طريقة الأوائل (المتون وشروحها)، وطريقة المعاصرين (المؤلفات التعليمية الميسرة) وذلك مراعاة لتنوع

المشارب.

مثال: من المرحلة الأولى لعلم أصول الفقه:

١-الورقات فى أصول الفقه لإمام الحرمين الجوينى.

وينظر «الدليل إلى المتون العلمية» (ص/٣٠٨)، ومما يستدرك عليه:

١- أحسن طبعات شرح المحلى على الورقات هى التى حققها الدكتور حسام عفانة ونشرتها مكتبة العبيكان.

٢- من الشروح المسجلة الرائعة للورقات شرح الشيخ محمد بن الحسن الددو الشنقيطى فى (٥) أشرطة.

٢-أصول الفقه للشيخ عبد الوهاب خلاف [*].

❑ وله ثلاث طبعات:

الأولى: طبعة دار القلم بدمشق.

الثانية: طبعة دار التراث بمصر.

الثالثة: طبعة دار الحديث بمصر.

٣-رسالة الأصول من علم الأصول للشيخ محمد بن صالح العثيمين.

❑ لها عدة طبعات، أوسعها انتشارًا طبعة مكتبة السنة بمصر.

❑ وللكتاب شرح مسجل واحد قام به المؤلف نفسه، وقد قام بتفريغه ونشره نشأت كمال ونشرته دار البصيرة بمصر، وأنصح إخوانى بانتظار

الطبعة التى ستصدر قريبًا عن مؤسسة الشيخ.

٤-رسالة فى أصول الفقه للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدى.

❑ ولها شرحان:

الأول: شرح الشيخ عبد السلام بن عبد الكريم، ونشرته المكتبة الإسلامية.

الثانى: «جمع المحصول» للشيخ عبد الله الفوزان، ونشرته دار المسلم.

٥- الواضح فى أصول الفقه للشيخ محمد سليمان الأشقر. وتنشره دار النفائس بالأردن.

❑ فالكتب الأساسية هنا مرتبة من [١] إلى [٥] باعتبار الشهرة والأفضلية، ولم أتبع هذا الترتيب فى الكتب الفرعية كالشروح ونحوها.

❑ أشرت إلى أهمية كتاب عبد الوهاب خلاف بقطع النظر عن ترتيبه.

٨- إذا ما صدرت الكتاب بلفظ مطالعة فإنى أريد الإشارة إلى أن مجرد قراءة هذا الكتاب قراءة مركزة تكفى ولا حاجة إلى مذاكرته، على أن يعتنى الطالب بما يراه مهمًا من مباحث هذا الكتاب.

٩- اعلم أنني ربما ذكرت بعض الكتب التى عليها مآخذ من قبل أهل العلم وذلك لأن قراءتها مهمة لطالب العلم لما فيها من قضايا لا ينبغى له أن يجهلها، وقد حرصت على أن تكون هذه الكتب في مرحلة التخصص بحيث يكون الطالب قادرًا على تمييز ما بها من مواطن الخلل.

١٠- استفدت كثيرًا من مقالات إخواننا في ملتقى أهل الحديث، فأنا

أحد المشاركين على هذا الموقع المبارك والذى يعد شامة في جبين الشبكة العنكبوتية والذى أوصى كل طالب علم بزيارته والإفادة منه.

وبعد:

فهذا ما تيسر جمعه، لكم غنمه، وعليَّ غرمه والله وحده المسؤول أن يسبغ علينا ستره وفضله.

فما كان فيه من صواب فمن الله. وما كان فيه من خطأ فمني ومن الشيطان. ونستغفر الله منه.

«فليمعن الناظر فيه النظر، وليوسع العذر إن اللبيب من عذر، ويأبى الله العصمة لكتاب غير كتابه، والمنصف من اغتفر قليل خطأ المرء في كثير صوابه» وبالله التوفيق.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتب

الفقير إلى ربه

أبو الأشبال أحمد بن سالم المصري

عفا الله عنه

هاتف جوال: ٠١٠٦٩٦٠٠٢٥ - ٠٠٢

ashbal36@Yahoo.com

حدد هدفك جيدًا

اعلم وفقنا الله وإياك أن طلاب العلم قسمان: متعلم على سبيل النجاة، وآخر غرضه الوصول إلى أسمى مراتب العلم والولاية، وهذا القسم الأخير مراتب فمنهم من يريد أن يكون مجتهد مطلقًا يحكى سيرة سابقيه من أئمة العلم والفضل، ومنهم من يروم التخصص فى علم معين كالعربية أو الفقه، أو الحديث أو التفسير أو التوحيد أو الأصول؛ فيقوم على ثغر هذا العلم فيبدع فيه، ومنهم من يروم أن يكون متفننًا حاويًا لجملة من العلوم فلا يكون مجتهدًا مطلقًا، ولا يكون متخصصًا فى فن معين لا يتعداه، بل مرتبة بين هؤلاء وأولئك ويرى أن استفادته وإفادته تكون بذلك أكبر مقرًّا بأن ذلك أشق وأعسر، وهذا الغرض هو الغالب على مقاصد المتعلمين اليوم.
ولسنا هنا فى مقام تفضيل وترجيح لأى هذه الأهداف أنفع، خاصة وأن ذلك يختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة، والأشخاص، ولكننا نقول: **إن درجة استفادتك من هذه المناهج التى سنعرض لهاستكون كبيرة جدًّا إذا كنت ممن حدد هدفه بوضوح ودقة.**

فالمتخصص فى علوم العربية مثلًا ليس مضطرًا لاستيفاء مراحل علم الحديث جميعها على عكس من يروم التخصص فى علوم الحديث، فإن هذا المنهج الحديثى الذى سنضعه لا يعدو أن يكون بالنسبة له خطوة بدء، وبين هذين أهداف وإرادات لابد للطالب أن يحدد من أبناء أيها هو؛ كى يستطيع تحصيل الفائدة المثلى من منهجنا هذا، وستجد بعض الإشارات لهذه القاعدة فى أثناء هذا المنهج إن شاء الله والله ولى التوفيق.

❊ ❊ ❊

وعلم المرء ما حواه الصدر

إن النجوم المتألقة فى سماء حضارة هذه الأمة الإسلامية كثيرة، ولكنك وبقليل من الجهد تلمح على البعد نجمًا متألقًا متميزًا يسطع فى تلك السماء ألا وهو: **ضبط الصدر**.

إن الحفظ هو اللبنة الذهبية فى بناء طالب العلم. فشرف الشيء وفضله من شرف مقصوده وفضله، فإذا كان شرف العلم وفضله مسطور مشهور ظاهر؛ فسيتبع ذلك ولاشك حفظه واستظهاره، ففضل حفظ العلم إنما هو فرع عن فضل العلم، والوسائل لها أحكام المقاصد. ولقد رغب النبى ﷺ فى الحفظ فقال فى «خطبة الوداع» : «**فليبلغ الشاهد الغائب**».

بل قد دعا النبى ﷺ لمن حفظ ووعى بخير الدعاء وأحسنه فقال: «نضر الله عبدًا سمع مقالتى فحفظها ووعاها، وبلغها من لم يسمعها فرب حامل فقه لا فقه له، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه».

وقال ﷺ: «**تعاهدوا هذا القرآن فوالذى نفسى بيده لهو أشد تفلتًا من الإبل فى عُقُلها**».

وقال ﷺ: «**إنما مثل صاحب القرآن، كمثل صاحب الإبل المُعَلَّقة، إن عاهد عليها أمسكها، وإن أطلقها ذهبت**».

قلت: وهذا منه ﷺ غاية المنتهى فى الحث على تعاهد المحفوظ وضبطه، ولاشك أن العلوم الشرعية جمعاء إنما قامت على حفظ معانى القرآن ومقاصده فشرفها من شرفه. وفضل وأهمية تعاهدها، من فضل وأهمية

تعاهده، والمقصود: بيان أن استفادة طالب العلم من هذا المنهج أو من غيره. موقوفة على مدى اتباعه لسبل الدراسة المستقيمة، وطرق الطلب الصحيحة.

وأجل ذلك وأعظمه: الحفظ، فعناية الطالب واستصحابه للحفظ وحرصه على تقييد العلم بحفظ الصدر هو من الركائز المهمة التي لن يستقيم بناؤه بغيرها، وأنت ترى جمًّا غفيرًا من طلبة العلم المستكثرين من القراءة، والشاكين في نفس الوقت من ضعف الطلب وسوء التحصيل؛ وما ذاك إلا لغفلتهم عن هذا الأصل المهم، وقد أكثر أهل العلم من التنبيه على هذه القاعدة الجليلة ومما يستحضر من النقول عنهم:

قال أبو زيد بن أخطب رضي الله عنه: صلى بنا رسول الله ﷺ الفجر، وصعد، فخطبنا حتى حضرت الظهر، فنزل فصلى، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت العصر، ثم نزل فصلى، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى غربت الشمس، فأخبرنا بما كان وبما هو كائن، **فأعلمنا أحفظنا**. [أخرجه مسلم (٢٨٩٢)].

قال أبو هريرة رضي الله عنه: إن الناس يقولون أكثر أبو هريرة، ولولا آيتان في كتاب الله ما حدثت حديثًا، ثم تلا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾، وإن إخواننا من المهاجرين شغلهم الصفق في الأسواق، وإن إخواننا من الأنصار كان يشغلهم العمل في أموالهم، وإن أبا هريرة كان يلزم رسول الله ﷺ بشبع بطنه ويحضر ما لا يحضرون، **ويحفظ ما لا يحفظون**. [أخرجه البخاري (١١٨)، ومسلم (٢٤٩٢)].

وقال الأعمش: «احفظوا ما جمعتم؛ فإن الذى يجمع ولا يحفظ كالرجل كان جالسًا على خوان يأخذ لقمة لقمة، فينبذها وراء ظهره؛ فمتى تراه يشبع؟» [الجامع للخطيب (١٧٥٠)].

وقال عبيد الله بن الحسن: «وجدت أحضر العلم منفعة ما وعيته بقلبى ولكته بلسانى». [الجامع للخطيب (١٧٥٥)].

قال ابن عبد البر ـ رحمه الله تعالى ـ فى جامع بيان العلم وفضله: من كره كتابة العلم إنما كرهه لوجهين، أحدهما: أن لا يتخذ مع القرآن كتاب يضاهى به، ولئلا يتكل الكاتب على ماكتب فلا يحفظ فيقلّ الحفظ، كما قال الخليل ـ رحمه الله ـ:

ليس بعلم ماحوى القمطر   ما العلم إلا ماحواه الصدر

وذكر بإسناده إلى أبى معشر أنه قال فى الحفظ:

يا أيها المضمن الصحائفا   ما قد روى تضارع المصاحفا
احفظ وإلا كنت ريحًا عاصفا

وقال أعرابى: حرف فى تامورك، خير من عشرة فى كتبك. قال أبو عمر: التامور: علقة القلب، وذكر بإسناده إلى يونس بن حبيب أنه سمع رجلًا ينشد:

استودع العلم قرطاسًا فضيعه   وبئس مستودع العلم القراطيس

فقال يونس: قاتله الله، ماأشد صيانته للعلم وصيانته للحفظ.

إن علمك من روحك، وإن مالك من بدنك، فصن علمك صيانتك روحك، وصن مالك صيانتك بدنك.

ومما ينسب إلى منصور الفقيه من قوله:

علمى معى حيثما يممت أحمله ... بطنى وعاء له لابطن صندوق
إن كنت فى البيت كان العلم فيه معى ... أوكنت فى السوق كان العلم فى السوق[1]

وقال عبد الرزاق: كل علم لا يدخل مع صاحبه الحمام فلا تعده علمًا.

وقال عبيد الله بن أحمد الصيرفى:

ليس بعلم ماحوى القمطر ... ما العلم إلا ماحواه الصدر
فذاك فيه شرف وفخر ... وزينة جليلة وقدر

وقال بعض البصريين:

رب إنسان ملا أسفاطه ... كتب العلم وهو بعد يخط
فإذا فتشته عن علمه ... قال علمى ياخليلى فى السفط
بكراريس جياد أحرزت ... وبخط أى خط أى خط
فإذا قلت له: هات، أرنا ... حك لحييه جميعًا وامتخط

وقال محمد بن بشير ـ فى أبيات له:

إذا لم تكن واعيًا حافظًا ... فجمعك للعلم لا ينفع
أشاهد بالعى فى مجلس ... وعلمى فى البيت مستودع
ومن يك فى علمه هكذا ... يكن دهره القهقرى يرجع

❋ ❋ ❋

(١) ١/٢٩٢ ـ ٢٩٥.

فوائد الحفظ:

للحفظ فوائد كثيرة منها:

١ - بقاء المعلومات فى الذهن.

٢ - الاستفادة من الأوقات فى تحصيل العلم زيادة على المحفوظ.

٣ - استحضار المعلومات بكل يسر وسهولة.

٤ - تظهر فائدة الحفظ ومنفعته فى حالات منها: فقد الكتاب، فقد الإضاءة ليلًا، فقد البصر.

إن الحافظ يقدم على غيره، وتظهر ميزته بين أهل العلم أنفسهم، ولهذا قال صاحب الرحبية - لما ذكر الفروض المقدرة فى كتاب الله - قال:

والثلثان وهما التمام   فاحفظ فكل حافظ إمام

قال البقرى - على قوله «فكل حافظ إمام» -: أى مقدم على غيره ممن لم يكن مثله، بأن كان أدون حفظًا، أو لم يحفظ شيئًا. أ. هـ[٢].

وقال ابن غليون - فى شرح البيت السابق -: اى مقتدى به مقدم على غيره، فمن جدّ وجد، ومن فرش رقد، ومن زرع حصد، ومن كسل نال الهم، والندم، والنكد[٣].

(٢) حاشية البقرى على شرح الرحبية.
(٣) التحفة فى علم المواريث.

وقال الحافظ ابن حجر فى مقدمة «بلوغ المرام»: أما بعد فهذا مختصر يشمل على أصول الأدلة الحديثية للأحكام الشرعية، حررته تحريرًا بالغًا، ليصير من يحفظه من بين أقرانه نابغًا[٤].

طرق إحكام المحفوظ:

الطريق فى إحكامه كثرة الإعادة، والناس يتفاوتون فى ذلك: فمنهم من يثبت معه المحفوظ مع قلة التكرار، ومنهم من لا يحفظ إلا بعد التكرار الكثير، فينبغى للإنسان أن يعيد بعد الحفظ ليثبت معه المحفوظ، ولاسيما فى حفظ القرآن الكريم.

فعن أبى موسى رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ قال: «**تعاهدوا هذا القرآن، فو الذى نفس محمد بيده لهو أشد تفلتا من الإبل فى عقلها**» متفق عليه[٥].

وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**إنما مثل صاحب القرآن كمثل الإبل المعلقة إن عاهد عليها أمسكها وإن أطلقها ذهبت**» متفق عليه[٦].

وقد قيل: السبق حرف والتكرار ألف.

وقيل: حفظ حرفين خير من سماع وِقْرَيْن، وفهم حرفين خير من حفظ سطرين، والوِقْر: الحمْل الثقيل.

---

(٤) بلوغ المرام.

(٥) البخارى مع الفتح ٩/٧٩، صحيح مسلم ١/٥٤٣ .

(٦) البخارى مع الفتح ٩/٧٩، صحيح مسلم ١/٥٤٣ .

وقال الخليل بن أحمد الشجرى ـ رحمه الله تعالى: ـ

اخدم العلم خدمة المستفيد ... وأدم درسه بفعل حميد
وإذا ماحفظت شيئًا أعده ... ثم أكده غاية التأكيد
ثم علقه كى تعود إليه ... وإلى درسه على التأبيد
فإذا ماأمنت منه فواتًا ... فانتدب بعده لشىء جديد
مع تكرار ماتقدم منه ... واقتناء لشأن هذا المزيد[(٧)]

يقول الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد فى كلام كأنه نفثة مصدور: «فهل من عودة إلى أصالة الطلب فى دراسة المختصرات المعتمدة، لا على المذكرات وفى حفظها لا الاعتماد على الفهم فحسب، حتى ضاع الطلاب فلا حفظ ولا فهم».

ويعلق الشيخ ابن عثيمين- رحمه الله - على عبارة الشيخ بكر فيقول: «أى علم بلا حفظ يزول سريعًا، وكان زمان يعيبون علينا يقولون: لا تتعب نفسك فى حفظ المتن، وعليك بالفهم الفهم، لكن وجدنا أننا ضائعون إذا لم يكن عندنا حفظ، وما انتفعنا والله إلا بما حفظنا من المتون ولولا أن الله نفعنا بذلك لضاع علينا علم عظيم.

فلا تغتر بمن يقول: الفهم، ولهذا الدعاة القائلون بالفهم لو سألتهم أو ناقشتهم لوجدتهم ضحلاء، ليس عندهم علم.

❊ ❊ ❊

(٧) الحث على حفظ العلم، وتعليم المتعلم ص (١٠١).

ويقول الدكتور محمود الطناحي تحت عنوان: الحفظ وأثره في ضبط قوانين العربية:

«كتب الأستاذ الدكتور محمود الربيعي كلمة فى أسبوعيات الأهرام ٦/ ٧/ ١٩٩٠ بعنوان «ترتيب الأولويات» قال فيها: «إن تلقين المناهج لطلاب العلم الذين يدرسون فى الجامعات لدينا يجعلهم يتحدثون عن «أعوص» المناهج الغربية الأجنبية كأنهم أصحابها، فإذا طلبت إليهم أن يقرأوا «مجرد قراءة» نصًا إبداعيًا باللغة التى يُعدُّون للتخصص فيها «عربية أو أجنبية» لم يقيموا النص قراءة، فضلًا عن التعمق فى فهمه بالتحليل والتركيب والتفكيك».

وهذا كلام حكيم «بالتنوين والإضافة» وهو أيضًا كلام ظاهر الوضاءة والحسن والتيقظ، لأنه يلخص المأساة التى نعيشها منذ نحو ثلاثين عامًا، فى هذا المستوى المتدنى من علوم العربية: قراءة وكتابة، ثم هو كلام يفضى بنا إلى قضية ذات خطر، ليس فى الأدب وحده، بل إن هذا الخطر يمتد ليشمل مختلف فروع التراث العربى، وأعنى تلك الفجوة الواسعة بين النظرية والتطبيق، أو بين المحفوظ والملفوظ فأنت قد تصادف شخصًا دارسًا للأدب: تاريخه ومذاهبه ومدارسه، وإذا فاتشته فى قضية من قضاياه النظرية تلك، صال وجال، ولاك ومضغ، وخلط عربيًا بعجمى، وأتاك بكل عجيبة وغريبة، فإذا أخذته إلى نص مما كتبه السابقون الأولون، وأردته على شىء من التفسير أو التحليل والتذوق حار وأبلس، «وصار لسانه قطعة لحم خرساء تدور فى جوبة الحنك» كما يقول شيخنا محمود محمد شاكر فى سياق آخر.

ومثل ذلك يقال فى نحوى خالطت بشاشة النحو قلبه، وخبر سواده

وبياضه «زعم»، أسهر فيه ليله، وأدأب له نهاره، حتى ظن أنه ملك ناصيته: قواعد وخلافيات ونقدًا، فإذا أخذ فى كلام، أو أدار قلمه على بيان خلَّط واعتسف وأخطأ، وما أتى هذا النحوى وذلك الأديب إلا من قبيل الإغراق فى النظريات والمناهج والقواعد، واطراح الحفظ، وهجر النصوص، وإهمال التطبيق.

وقد سرى هذا الداء الخبيث إلى علمين جليلين فى تراثنا وما كان ينبغى أن يسرى إليهما، لأنهما ملاك الأمر كله وهما التفسير والحديث، ففى ميدان التفسير قد تصادف دارسًا يحدثك بإفاضة وإحاطة عن مدارس التفسير واتجاهاته، من تفسير بالمأثور إلى تفسير بالرأى، والتفسير الموضوعى للقرآن، والتفسير الفقهى، والتفسير الإشارى الصوفى، إلى آخر هذه القائمة، فإذا طلبت منه تفسير شيء من كتاب الله لم تظفر منه بشيء إلا شيئًا لا يعبأ به... وقد اختفت تلك الصورة الجليلة النبيلة، حين كنت تستوقف شيخًا فاضلًا عقب صلاة الجمعة، أو فى طريق عام، فتسأله عن آية من كتاب الله فإذا أنت أمام علم حاضر وإجابة شافية.

وقل مثل هذا فى حديث سيدنا رسول الله ﷺ، فقد اشتغل به كثير من طلبة العلم الآن: دراسة نظرية، تعنى بتدوينه وعلومه وتصانيفه من الصحاح والمسانيد.. إلى غير ذلك مما كان يعرف قديمًا بعلم «الدراية»، لكنك قل أن تجد منهم من اعتنى بهذا العلم الجليل «رواية» من حيث حفظ المتون وإتقان الغريب.

وقد أدى هذا الأمر إلى مصيبة كبرى اجتاحت بعض الشباب المسلم المحب لحديث المصطفى ﷺ، ومعرفة السنة المطهرة، فقد اتجه كثير منهم فى هذه الأيام إلى طلب معرفة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، وتجريح الرواة

وتعديلهم وهذا بحر لا ساحل له، ولا يقوى عليه إلا أولو العزم من الرجال وقد صرفوا فى ذلك جهودًا كثيرة كان الأولى أن تصرف إلى قراءة صحيحى الإمامين الجليلين: البخارى ومسلم، وبقية الكتب الستة التى هى دواوين السنة، ثم بعض المسانيد الأخرى، قراءة فهم وبحث وإمعان، فإذا أتقنوا ذلك كان لهم أن يبحثوا فى الضعيف والموضوع، وقد بلغت السفاهة ببعضهم أن يقول عن حديث رواه الإمام الجليل أبو عبد الله البخارى: «صححه فلان» يشير إلى أحد العلماء المعاصرين. أفبعد إخراج البخارى للحديث، يقال: صحَّحه فلان؟

إن الإسراف فى النظريات والمناهج هو الذى أضعف إحساس أبنائنا بالعربية الأولى، وهو الذى أورثهم العجز الذى يأخذ بألسنتهم وأقلامهم، فلا يستطيعون قولًا ولا بيانًا.

على أن هذا الذى ذكره الدكتور الربيعى، والذى ذكرته أنا، يرجع إلى أننا أهملنا جوانب ضرورية فى تعلم العربية. ومن هذه الجوانب التى أهملت جانب النصوص أو الحفظ... فإنه يشيع فى أيامنا هذه كلام عجيب، يبغض إلى طالب العربية «الحفظ» ويزهده فيه، بل إن الأمر قد تعدى ذلك إلى تثبيت قاعدة تجعل «الحفظ» مقابل «الفهم» وأن الطالب الذى يحفظ «صمام» وغير قادر على الفهم والاستيعاب، ونقرأ لمسؤول كبير عن التعليم فى مصر قوله: «ولابد أن يدرك الطالب أن زمن الحفظ والصمامين قد انتهى».

تراثنا قائم على الرواية:

وهذا الكلام إن صدق على العلوم المعملية والتطبيقية، لا يصدق على علوم العربية، من أدب ولغة ونحو، وذلك لأن تراثنا كله قائم على الرواية

والدراية، والرواية مقدمة، ولذلك قالوا: «الرواية من العشرين والدراية من الأربعين». والجوهرى صاحب «الصَّحاح» يقول فى مقدمته: «قد أودعت هذا الكتاب ما صح عندى من هذه اللغة... بعد تحصيلها بالعراقين رواية وإتقانها دراية».

وقد وصل إلينا تراثنا فى أول مرة عن طريق الحفظ والرواية، فقد وعته صدور الرواة والنقلة، وسلمته أجيال إلى أجيال، حتى أظل زمان التدوين والكتابة، فالحفظ هو الأساس، وقد حثوا عليه ومدحوا أهله، فروى عن الأصمعى أنه قال: «كل علم لا يدخل معى الحمام فليس بعلم» يريد أنه حافظه ومستحضره فى كل وقت وعلى كل حال. وقال محمد بن يسير من شعراء الدولة العباسية الأولى:

أأشهد بالجهل فى مجلس ... وعلمى فى البيت مستودع
إذا لم تكن حافظًا واعيًا ... فجمعك للكتب لا ينفع

وقال بعض أهل العلم:

حفظ اللغات علينا ... فرض كفرض الصلاة
فليس يضبط دين ... إلا بحفظ اللغات

ولولا الحفظ فى تاريخنا التراثى لما أمكن لهذه الطائفة من عباقرة العربية العميان أن يسجلوا لنا هذا القدر الضخم من المعارف الإنسانية، كالذى نقرأه عند أبى العلاء المعرى، وأبو العلاء فوق شاعريته صاحب لغة ونحو وصرف وعروض وابن سيده صاحب المحكم والمخصص، والإمام الترمذى صاحب السنن، وغيرهم كثير، مما ذكره صلاح الدين الصفدى فى كتابه الطريف «نَكْت الهِيمْان فى نُكَت العميان» وحسبك بقراءة القرآن وعلماء القراءات، كالشاطبي صاحب المنظومة الشهيرة فى القراءات السبع

المسمَّاة: «حرز الأمانى ووجه التهانى». وفى هذا العصر الحديث يأتى الدكتور طه حسين رحمه الله على أفذاذ العميان المعاصرين.

إن طبيعة تعلم العربية تقتضى حفظ كثير من النصوص لتثبت القواعد والتمكين للأبنية والتراكب فى ذهن طالب العلم. وقد قيل الحفظ والإتقان وذلك ما رواه أيوب بن المتوكل قال: سمعت عبد الرحمن بن مهدى يقول: كان الرجل من أهل العلم إذا لقى من هو فوقه فى العلم فهو يوم غنيمته، سأله وتعلم منه، وإذا لقى من هو دونه فى العلم علمه وتواضع له، وإذا لقى من هو مثله فى العلم ذاكره ودارسه. وقال: لا يكون إمامًا فى العلم من أخذ بالشاذ من العلم، ولا يكون إمامًا فى العلم من روى كل ما سمع، ولا يكون إمامًا فى العلم من روى عن كل أحد، والحفظ والإتقان».

حفظ كلام العرب:

ويقول ابن خلدون: «ووجه التعليم لمن يبتغى هذه الملكة ويروم تحصيلها أن يأخذ نفسه بحفظ كلامهم القديم الجارى على أساليبهم، من القرآن والحديث وكلام السلف ومخاطبات فحول العرب فى أسجاعهم وأشعارهم، وكلمات المولدين أيضًا فى سائر فنونهم، حتى يتنزل لكثرة حفظه لكلامهم من المنظوم والمنثور منزلة من نشأ بينهم ولقن العبارة عن المقاصد منهم».

ويقول أيضًا: «وتعلم مما قررناه فى هذا الباب أن حصول ملكة اللسان العربى إنما هو بكثرة الحفظ من كلام العرب، حتى يرتسم فى خياله المنوال الذى نسجوا عليه تراكيبهم فينسج هو عليه، ويتنزل بذلك منزلة من نشأ معهم، وخالط عباراتهم فى كلامهم حتى حصلت له الملكة المستقرة فى العبارة عن المقاصد على نحو كلامهم».

ويقول أيضًا عن هذه الملكة التى تحصل بالحفظ والدُّربة: «. . . فإن الملكات إذا استقرت ورسخت فى محالها ظهرت كأنها طبيعة وجبلّة لذلك المحل. ولذلك يظن كثير من المغفلين ممن لم يعرف شأن الملكات أن الصواب للعرب فى لغتهم إعرابًا وبلاغة أمر طبيعى، ويقول: كانت العرب تنطع بالطبع، وليس كذلك، وإنما هى ملكة لسانية فى نظم الكلام تمكنت ورسخت فظهرت فى بادئ الرأى أنها جبلة وطبع. وهذه الملكة كما تقدم إنما تحصل بممارسة كلام العرب وتكرره على السمع، والتفطن لخواص تراكيبه. . . وليست تحصل بمعرفة القوانين العلمية فى ذلك، التى استنبطها أهل صناعة اللسان، فإن هذه القوانين إنما تفيد علمًا بذلك اللسان، ولا تفيد حصول الملكة بالفعل فى محلها».

وهذا الكلام الأخير هو الذى ينتهى إليه كلام الدكتور الربيعى، وهو الذى أدرت عليه مقالتى هذه. فإن «معرفة القوانين العلمية التى استنبطها أهل صناعة اللسان» هى «النظريات والمناهج» فى أيامنا هذه. فكما أن الوقوف عند «معرفة القوانين العلمية» هذه لا يصنع ملكة أدبية لغوية، كذلك الاكتفاء «بالنظريات والمناهج» لا يكسب هذه الملكة.

ويقرر ابن خلدون أيضًا: «أنه لابد من كثرة الحفظ لمن يروم تعلم اللسان العربى، وعلى قدر جودة المحفوظ وطبقته فى جنسه وكثرته من قلته تكون جودة الملكة الحاصلة عنه للحافظ».

ويقول القاضى عبد الرحيم بن على بن شيث الإسنائى القوصى، فى سياق حديثه عن أدوات الكاتب وعدته: «والحفظ فى ذلك ملاك الأمر، فإنه يؤهل ويدرب، ويسهل المطلوب ويقرِّب».

هل الحفظ مطلوب؟!

هذا وقد وقعت على نص خطير جدًا، وهو خير رد وأوفاه على هؤلاء الذين يشترطون للحفظ: الفهم، ويقولون: لا تطلبوا من الصبى حفظ ما لا يفهم، فإن هذا غير مجد فى العملية التعليمية. يقول أبو الفتح عثمان بن جنى: «قال لنا أبو على الفارسى يومًا قال لنا أبو بكر ابن السراج: إذا لم تفهموا كلامى فاحفظوه، فإنكم إذا حفظتموه فهمتموه».

وهذا كلام صحيح، يصدقه الواقع وتؤكده التجربة، فإن الإلحاح بالحفظ الدائم المستمر مما يمهد للفهم لا محالة. وآية ذلك أن صغار التلاميذ فى دور الحضانة والروضة يرددون مع إطلالة كل صباح النشيد الوطنى لبلادهم، وهم بالقطع لا يعرفون شيئًا عن معانى مفرداته فضلًا عن تراكيبه، ولكنهم بمرور الأيام يدركون ويفهمون. والشواهد على ذلك أكثر من أن تحصى فى اكتساب وإدراك المعارف.

ونحن الذين حفظنا القرآن صغارًا نعرف هذا من أنفسنا، فما زلنا نذكر ألفاظ القرآن وتراكيبه الغريبة علينا فى مطالع أيامنا، ثم إضاءة معانيه فى نفوسنا بعد ذلك بالتدريج، وإن كنا لا ندرك بالضبط متى تم هذا، كما لا يدرك الناظر فى السماء انسلاخ النهار من الليل إلا حين يغشاه نوره ويغمره سناه.

وليس أدل على أهمية «الحفظ» فى العملية التعليمية فى تراثنا، من هذا القدر الهائل من المنظومات فى اللغة والنحو والفرائض «المواريث» والقراءات، وعلوم الحديث والأصول والبلاغة والمنطق والعروض والميقات والطب، وكل ذلك لضبط القواعد وتثبيت الأحكام. وما أمر «ألفية ابن مالك» ببعيد!.

ومع المنظومات المطولة فى النحو والصرف كان هناك البيتان والثلاثة

والأربعة لضبط القاعدة وترسيخها . فهذا جمع التكسير ينقسم إلى جموع قلة وإلى جموع كثرة، وللأول أربعة أوزان، وللثانى سبعة عشر وزنًا، ولصعوبة حصر هذه الأوزان صاغها بعضهم شعرًا ليسهل حفظها، فجموع القلة جمعت فى قوله:

بأفعل ثم أفعال وأفعلة ... وفعلة يعرف الأدنى من العدد
كأفلس وكأثواب وأرغفة ... وغلمة فاحفظها حفظ مجتهد

وجموع الكثرة جمعت فى قوله:

فى السفن الشهب البغاة صور ... مرضى القلوب والبحار عبر
غلمانهم للأشقياء عمله ... قطاع قضبان لأجل الفيلة
والعقلاء شرد ومنتهى ... جموعهم فى السبع والعشر انتهى

هذا إلى الضوابط النثرية، مثل «سألتمونيها» لضبط حروف الزيادة، و«سكت فحثه شخص» لضبط الحروف المهموسة. فبهذه الضوابط الشعرية والنثرية تعلمنا الأدب واللغة والنحو، وتعلم من قبلنا، لأننا سلمنا ولأنهم سلموا من زلازل التطوير وأعاصير التيسير. وإنه لواجب علينا إذا أردنا الخير لهذا الجيل أن نحيى فيهم مهارات الحفظ، ونقدم لهم قواعد العربية من خلال النصوص التراثية الموثقة». إلى هنا انتهت درر الطناحى.

❁ ❁ ❁

تحصيل الأسباب المعينة على الحفظ

بعد أن عرفنا أهمية الحفظ ومنزلته فى طلب العلم الشرعى، لابد من بيان ما يُستعان به على الحفظ وأسباب ذلك.

قال أبو الحسين المنادى: «أنا واصف من الآلات ما هو مجمع لكل قاصد إلى حفظ القرآن، وإلى جميع أغراض الحق من العلوم والأعمال، وهو احتشام المناقص جملةً، ذلك أن امرءًا إذ زجر نفسه عن الجريم، وأقبل إلى الله بالموافقة وعت أذنه وصفًا من الرين ذهنه، فإذا بلغ هذه الحال فعليه بإحضار الذهن عند التعلم وإجادة التمييز لما يلقيه إليه المعلم، وحسم القلب عن كل شاغل ليقهر ما قد شرع فيه.

وليس يخلو من كانت هذه الآلات التى وصفتها من شيمه، أو تكلفها حتى صارت للعادة كالطعم، أن ينال الحفظ مراده، ويدرك منه إن شاء الله بغيته. وليجتهد فى كثرة الدرس، فإنه الطريق الثانى للحفظ» أ هـ.

وكذلك كان السلف يتناولون أنواعًا من المطعومات المشتهرة بالإعانة على الحفظ، كما كان الشافعى رحمه الله يأخذ اللبان للحفظ.

ويمكننا صياغة الأسباب المعينة على الحفظ بالصورة التالية:

الأول حسن النية:

فإنها مفتاح كل خير، وسبب التوفيق والتيسير والبركة فى العلم.

وأورد الخطيب فى هذا الباب أثر ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «إنما يحفظ الرجل على قدر نيته»[٨].

وقال معمر بن راشد (ت ١٥٤هـ): «كان يقال: إن الرجل ليطلب العلم لغير الله فيأبى عليه العلم، حتى يكون لله عز وجل»[٩].

الثاني: اجتناب ارتكاب المحرمات ومواقعة المحظورات:

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «إنى لأحسب الرجل ينسى العلم، بالخطيئة يعلمها»[١٠].

وقال رجل للإمام مالك: «يا أبا عبد الله، هل يصلح لهذا الحفظ شيء؟ قال: إن كان يصلح له شيء، فترك المعاصى»[١١].

وفى الأبيات المشهورة:

شكوت إلى وكيع سوء حفظى ... فأرشدنى إلى ترك المعاصى
وقال بأن حفظ العلم نور ... ونور الله لا يؤتاه عاصى

❀ ❀ ❀

(٨) الجامع للخطيب (رقم ١٨٤٣).

(٩) الجامع لمعمر - بذيل مصنف عبد الرزاق - (١١/ ٢٥٦)، والمدخل إلى السنن للبيهقى (رقم ٥١٩).

(١٠) أخرجه البيهقى فى المدخل إلى السنن (رقم ٤٨٧)، وابن عبد البر فى جامع بيان العلم وفضله (رقم ١١٩٥)، والخطيب فى الجامع (رقم ١٨٥٠)، وانظر تخريجه فى المصدرين الأولين.

(١١) الجامع للخطيب (رقم ١٨٤٦).

الثالث: العمل بالحديث الذى يرويه ويحفظه:

قال سفيان الثورى: «العلم يهتف بالعمل، فإن أجابه وإلا ارتحل»(١٢).

وقال جماعة من السلف، منهم الشعبى ووكيع: «كنا نستعين على حفظ الحديث بالعمل به»(١٣).

والسبب الذى من أجله كان العلم بالحديث مثبتا الحفظ، يظهر جليًا فى أن العمل بالحديث يجعل معانى الحديث واقعًا عمليًّا، والمحسوسات أثبت فى الذهن من المعنويات.

وأهم من ذلك أن العمل بالعلم سبب لتوفيق الله تعالى إلى العلم والزيادة منه، وكما قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

الرابع: اغتنام الأوقات المناسبة فى اليوم للحفظ:

للحفظ أوقات ينبغى لمن أراده أن يراعيها وهذا أمر يختلف فيه الأشخاص، باختلاف أحوالهم وظروف طلبهم للمعاش وغير ذلك غير أنا سنبنى على الغالب المشتهر، فأجود أوقاته كما يقول أهل التجربة:

١ - السحر، بشرط أن يكون طالب العلم قد نام من أول الليل، وأخذ

(١٢) جامع بيان العلم لابن عبد البر (رقم ١٢٧٤).
(١٣) انظر جامع بيان العلم لابن عبد البر (رقم ١٢٨٤، ١٢٨٦)، والجامع للخطيب (رقم ١٨٥١، ١٨٥٢).
(١٤) الجامع للخطيب (رقم ١٨٧٢).

حاجته من النوم.

ومن جميل الوصايا فى ذلك، ما ذكر من أن المنذر قال للنعمان ابنه "يا بنى، أحب لك النظر فى الأدب بالليل، فإن القلب بالنهار طائر، وبالليل ساكن، وكلما أوعيت فيه شيئًا علقه»(١٤).

فتعقب الخطيب البغدادى هذه الوصية بقوله: «إنما اختاروا المطالعة بالليل لخلو القلب، فإن خلوه يسرع إليه الحفظ، ولهذا لما قيل لحماد بن زيد: ما أعون الأشياء على الحفظ؟ قال: قلة الغم».

قال الخطيب: «وليس تكون قلة الغم إلا مع خلو السر وفراغ القلب، والليل أقرب الأوقات إلى ذلك»(١٥).

وقال إسماعيل بن أبى أويس: «إذا هممت أن تحفظ شيئًا، فنم، ثم قم عند السحر، فأسرج، وانظر فيه، فإنك لا تنساه - بعد إن شاء الله».

٢ ـ انتصاف النهار.

٣ ـ أول النهار دون آخره.

٤ ـ حفظ الليل أصلح من حفظ النهار.

هذا فى الكثير الغالب، وقد يناسب إنسانًا مالا يناسب آخر، وكل يختار ماهو أصلح له(١٦).

---

(١٥) الجامع للخطيب (رقم ١٨٧٢).

(١٦) الجامع للخطيب (رقم ١٨٧٣).

الخامس: اغتنام أماكن الحفظ المناسبة:

وصفة المكان المناسب: أن يكون مريحًا، لا يشق على النفس المكث به. وأن يكون هادئًا، بعيدًا عن الأصوات العالية. وأن يكون خاليًا من الملهيات وما يلفت الأنظار؛ فلا يجلس فى حديقة، ولا فى ممر الناس وأسواقهم. بل يختار مقصورة أو حجرة فى منزله، يتحفظ فيها[١٧].

فأجود أماكن الحفظ:

١ - الغرف دون السفل.

٢ - كل موضع بعيد مما يلهى ويخلو القلب فيه عما يشغله.

٣ - يتجنب الحفظ على شطوط الأنهار وقوارع الطرق وبحضرة النبات والخضرة[١٨].

السادس: اغتنام فترة الصبا والشباب:

واشتهرت كلمة الحسن البصرى التى يقول فيها: «طلب الحديث فى الصغر كالنقش فى الحجر»[١٩]، وزاد بعضهم ما معناه: والعلم فى الكبر كالنقش فى النهر[٢٠]. ولذلك كان السلف يبكرون بأولادهم إلى مجالس

---

(١٧) الفقيه والمتفقه ٢/ ٢٠٧.

(١٨) الحث على حفظ العلم لابن الجوزى.

(١٩) المرجع السابق ٢/ ١٠٧.

(٢٠) جامع بيان العلم لابن عبد البر (رقم ٤٨٢)، والمدخل إلى السنن للبيهقى (رقم ٦٤٠).

الحديث، حتى قال عبد الله بن داود الخريبي (ت ٢١٣هـ): «ينبغي للرجل أن يكره ولده على سماع الحديث»(٢١).

وقال علقمة بن قيس النخعي (ت٦٢هـ)، في بيان قوة حافظة الشاب ورسوخ حفظه: «ما حفظت وأنا شاب، فكأني أنظر إليه في قرطاس أو ورقة»(٢٢).

السابع: الصدق في اللجأ إلى الله سبحانه ومراعاة حدوده:

قال تعالى: ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ [محمد - ٧].

وقال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة - ١٥٢].

وقال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [البقرة - ٤٠].

الثامن: تطييب الكسب وإصلاح الغذاء وإقلال الطعام.

التاسع: الجد والمواظبة

قال بعضهم:

بقدر الكد تكتسب المعالي ... ومن طلب العلا سهر الليالي
تروم العز ثم تنام ليلًا ... يغوص البحر من طلب اللآلي

(٢١) انظر: المدخل إلى السنن للبيهقي (رقم ٦٤١)، وجامع بيان العلم لابن عبدالبر (رقم ٤٨١).

(٢٢) شرف أصحاب الحديث للخطيب (رقم ١٣٧- ١٣٩).

تركت النوم ربى فى الليالى لأجل رضاك يامولى الموالى
فوفقنى إلى تحصيل علم وبلغنى إلى أقصى المعالي[٢٣]

العاشر: الجهر بقراءة ما يراد حفظه:

ولذلك حكمة، بينها والد الزبير بن بكار القرشي (ت ٢٥٦هـ) عندما رأى ابنه يتحفظ سرا، فقال له: «إنما لك من روايتك هذه (أي: تحفظك سرًا) ما أدى بصرك إلى قلبك. فإذا أردت الرواية (أي: الحفظ)، فانظر إليها، واجهر بها؛ فإنه يكون لك ما أدى بصرك إلى قلبك، وما أدى سمعك إلى قلبك»[٢٤].

(وهذا تعبير رائع صحيح، وهذا ما يقول فيه علماء التربية وعلم النفس: كلما كثرت الحواس المشاركة فى تلقى موضوع أو تعلمه، كان حفظه أسرع وأيسر)[٢٥].

الحادي عشر: إحكام الحفظ بكثرة تكريره

يقول ابن الجوزى فى «الحث على حفظ العلم»: «الطريق إلى إحكامه كثرة الإعادة. والناس يتفاوتون فى ذلك، فمنهم من يثبت معه المحفوظ مع قلة التكرار، ومنهم من لا يحفظ إلا بعد التكرار الكثير. وكان أبو إسحاق الشيرازى (ت٤٧٦هـ) يعيد الدرس مائة مرة، وكان إلكيا الهراسى

(٢٣) جامع بيان العلم لابن عبد البر (رقم ٤٨٣)، والجامع للخطيب (رقم٦٨٣).
(٢٤) انظر الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ٢/٢٥٧، وتعليم المتعلم، ولفتة الكبد، وتذكرة السامع والمتعلم ص (١٦٧)، ومابعدها.
(٢٥) الجامع للخطيب (رقم ١٨٧٤).

(٥٠٤هـ) يعيد سبعين مرة. وقال لنا الحسن بن أبي بكر النيسابورى الفقيه: لا يحصل الحفظ إلى حتى يعاد خمسين مرة. وحكى لنا الحسن أن فقيها أعاد الدرس فى بيته مرارًا كثيرة، فقالت له عجوز فى بيته: قد - والله - حفظته أنا! فقال: أعيديه، فأعادته؛ فلما كان بعد أيام، قال: يا عجوز، أعيدى ذلك الدرس، فقالت: ما أحفظه، قال: إنى أكرر عند الحفظ لئلا يصيبنى ما أصابك»[٢٦].

الثاني عشر: تعهد المحفوظ، بإعادة النظر فيه وتكريره فى أوقات مختلفة:

إذ الحافظة مهما كانت قوية لابد أن تسهو، فالنسيان جبلة الإنسان. ولا يحافظ على ما فى الصدر من العلم، إلا مراجعته من حين لآخر، وعدم الاتكال على الحفظ الأول.

قيل للأصمعى: «كيف حفظت ونسى أصحابك؟! قال: درست وتركوا»[٢٧].

وقال علقمة النخعى: «أطيلوا كر الحديث لا يدرس»[٢٨]، أى: ليكلا يبلى وينسى.

وعلى طالب العلم أن يجعل له جدولًا معينًا لمراجعة محفوظة؛ فمثلًا: يجعل فى نهاية كل أسبوع يومًا لمراجعة ما حفظة فى ذلك الأسبوع، وفى نهاية

(٢٦) تعليق للدكتور محمد عجاج الخطيب على المصدر السابق.

(٢٧) الحث على حفظ العلم لابن الجوزى (٤٨- ٤٩).

(٢٨) الجامع للخطيب (رقم ١٨٧٩)، وجامع بيان العلم لابن عبد البر (رقم ٦٤١).

كل شهر يومًا أو يومين لمراجعة محفوظه خلال الشهر كله، وفى نهاية السنة أسبوعًا أو أسبوعين لمراجعة محفوظه خلال السنة جميعها . وهكذا.

الثالث عشر: مأكولات تعين على الحفظ

عن ابن جريج قال: قال الزهرى عليك بالعسل فإنه جيد للحفظ.

وقال الزهرى أيضًا: من سره أن يحفظ ا لحديث فليأكل الزبيب(٢٩).

وينبغى أن يستعمل ما جعله الله تعالى سببًا لجودة الذهن كمضغ اللبان والمصطكى على حسب العادة وأكل الزبيب بُكْرة(٣٠).

أحكام الحفظ:

يختلف الحكم التكليفى بالنسبة للحفظ تبعًا لاختلاف مايضاف إليه، فهناك أحكام تتعلق بحفظ القرآن وحفظ مايقرأ فى الصلاة وحفظ الوديعة إلى غير ذلك من الأحكام، تراجع فى مظانها من كتب أهل العلم(٣١).

صلاة حفظ القرآن:

اشتهر عن على رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه تفلت القرآن من صدره فأمره النبى ﷺ أن يصلى أربع ركعات وأن يدعو فى آخرها بدعاء خاص.. إلخ.

---

(٢٩) الجامع للخطيب (رقم ١٨٧٥).

(٣٠) الجامع للخطيب (٢/ ٢٦٢).

(٣١) تذكرة السامع والمتكلم ص (١٢٣).

إلا أن هذا الحديث لا يصح عند أهل العلم[(٣٢)].

حفظ متن فى كل فن، وشيء من كلام أهل العلم حول المتون والعناية بها:

من المفيد جدًّا لطالب العلم أن يحفظ متنًا مختصرًا فى كل فن.

قال النووى رحمه الله تعالى: «وبعد حفظ القرآن، يحفظ من كل فن مختصرًا، ويبدأ بالأهم، ومن أهمها الفقه والنحو، ثم الحديث والأصول، ثم الباقى على ماتيسر، ثم يشتغل باستشراح محفوظاته..»[(٣٣)].

وقال ابن جماعة رحمه الله تعالى: «ثم يحفظ من كل فن مختصرًا يجمع فيه بين طرفيه، من الحديث وعلومه، والأصولين، والنحو، و التصريف، ولا يشتغل بذلك كله عن دراسة القرآن، وتعهده، وملازمة ورده منه فى كل يوم، أو أيام، أوجمعة ـ كما تقدم ـ وليحذر من نسيانه بعد حفظه، فقد ورد فيه أحاديث تزجر عنه»[(٣٤)].

وقال مرتضى الزّبيدى رحمه الله تعالى فى ألفية السند:

فإن أنواع العلوم تختلط ... وبعضها بشرط بعض مرتبط
فما حوى الغاية فى ألف سنة ... شخص فخذ من كل فن أحسنه
بحفظ متن جامع للراجح ... تأخذه على مفيد ناصح
ثم مع الفرصة فابحث عنه ... حقق ودقق ماستمد منه
لكن ذاك باختلاف الفهم ... مختلف وباختلاف العلم

(٣٢) انظر الموسوعة الفقهية الكويتيه ١٧/ ٣٢٢.
(٣٣) الجامع للخطيب ٢/ ٢٥٩، الجامع فى الحث على حفظ العلم ص (٢١٨).
(٣٤) المجموع ١/ ٦٩.

فالمبتدى كالفدْم لا يطيق بحثا بعلم وجهه دقيق[٣٥]

وقال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدى - رحمه الله تعالى -:

«الأمور النافعة فى الدين ترجع فى أمرين: علم نافع، وعمل صالح، أما العلم النافع فهو العلم المزكى للقلوب والأرواح، المثمر لسعادة الدارين، وهو ماجاء به الرسول ﷺ من حديث وتفسير، وفقه، ومايعين على ذلك من علوم العربية، بحسب حالة الوقت والموضع الذى فيه الإنسان.

وتعيين مايشتغل به من الكتب يختلف باختلاف الأحوال والبلدان، والحالة التقريبية فى نظرنا هذا: أن يجتهد طالب العلم فى حفظ مختصرات الفن الذى يشتغل به، فإن تعذر، أو قصر عليه حفظه لفظًا، فليكرره كثيرًا، حتى ترسخ معانيه فى قلبه، ثم تكون باقى كتب الفن كالتوضيح والتفسير لذلك الأصل الذى أدركه وعرفه.

فلو حفظ طالب العلم «العقيدة الواسطية» لشيخ الإسلام ابن تيمية، و«ثلاثة الأصول»، و«كتاب التوحيد» للشيخ محمد، وفى الفقه: «مختصر الدليل» و«مختصر المقنع»، وفى الحديث: «بلوغ المرام»، وفى النحو: «الآجرومية»، واجتهد فى فهم هذه المتون وراجع عليها ماتيسر من شروحها، أو كتب فنها، فإنها كالشروح لها لأن طالب العلم إذا حفظ الأصول، وصار له ملكة تامة فى معرفتها، هانت عليه كتب الفن كلها الصغار والكبار، ومن ضيع الأصول حرم الوصول.

فمن حرص على هذه العلوم النافعة، واستعان بالله أعانه وبارك له فى

---

(٣٥) تذكرة السامع والمتكلم.

علمه، وطريقه الذى سلكه. ومن سلك فى طلبه للعلم غير الطريقة النافعة، فاتت عليه الأوقات، ولم يدرك إلا العناء، كما هو معروف بالمشاهدة والتجربة.

أما الثانى وهو العمل الصالح، فالعمل الصالح هو الذى جمع الإخلاص لله، والمتابعة للرسول ﷺ..»[٣٦].

وفى الشقائق النعمانية فى ترجمة علاء الدين على بن محمد القوشجى رحمه الله تعالى: «وقد جمع عشرين متنًا فى مجلدة واحدة، كل متن من علم، وسماه «محبوب الحمائل» وكان بعض غلمانه يحمله ولا يفارقه أبدًا، وكان ينظر فيه كل وقت، يقال إنه حفظ كل مافيه من العلوم»[٣٧].

وكثير من الناس ثكلوا الوصول بتركهم الأصول، وحقه أن يكون قصده من كل علم يتحراه التبلغ به إلى مافوقه حتى يبلغ به النهاية.

قال بعضهم:

لقد أصبحتُ فى ندمٍ وهَمٍ وما يغنى التندم ياخليلى
مُنعت من الوصول إلى مَرامى بما ضيّعت من حفظ الأصولِ[٣٨]

❁ ❁ ❁

---

(٣٦) إضاءة الحالك ص (١٦٣).

(٣٧) الفتاوى السعدية.

(٣٨) انظر: الذريعة إلى مكارم الشريعة ص (٢٣٦ ـ ٢٣٨).

طرق الحفظ

يقول الشيخ حاتم العونى: للحفظ طريقتين، لا يعجز عن إحداهما جميع الناس. ولكل طريقة منهما مميزاتها وعيوبها؛ فيحسن أن نذكرهما، بما لهما من محاسن وعيوب.

الطريقة الأولى (وهى أشهر الطريقتين):

وهى أنفع للصغار والشباب ومن أوتى موهبة الحفظ: وهى بأن يقرر الطالب على نفسه لكل يوم جزءًا يسيرًا من العلم، كأن يكون حديثًا أو حديثين أو أكثر.

ويستحسن أن يكون قدرًا يسيرًا، فإن القليل يثبت والكثير لا يحصل(٣٩)؛ فيتحفظ هذا المقرر يوميًا، حتى يغيبه فى صدره؛ ويستمر على ذلك فترة طويلة، هى سنوات طلبه للعلم؛ مع تعهد المحفوظ دائمًا، على المنهج الذى ذكرناه سابقًا فى التعهد.

ولهذه الطريقة مميزات وعيوب:

فمن مميزاتها: أنها طريقة منهجية منضبطة، يمكن للطالب مع التزامها والمداومة عليها حفظ كتب برمتها، وتغيب مصنفات كاملة.

ومن مميزاتها أيضًا: أنها أسرع حفظًا من الطريقة التالية، إذ قد لا يجلس الطالب للتحفظ إلا ربع ساعة أو نصفها.

---

(٣٩) انظر: الحث على حفظ العلم لابن الجوزى.

ومن عيوبها: أنها أسرع فى التفلت من الطريقة التالية، وأنها أحوج ما تكون للتعهد للمحفوظ والمراجعة له دائمًا، وعدم الانقطاع عنه من فترة لأخرى.

ومن عيوبها: أن الذى يلتزم بها الغالب أضيق فى الاطلاع من صاحب الطريقة التالية، لأن الطالب معها مقيد بمقرر معين.

وأما الطريقة الثانية للحفظ:

وهى أنفع لكبار السن، ولمن لم يؤت موهبة الحفظ: وتتلخص فى إدمان مجالسة كتب السنة، وإدامة القراءة فيها، والجلد فى ذلك والصبر عليه، مع الإكثار من النسخ والكتابة، وتعويد اليد على ذلك.

ولذلك لما قيل للإمام البخارى: ما البلاذر؟ وهو دواء كانوا يظنون قديمًا أنه يقوى الذاكرة وينشط الذهن على الحفظ، فأجاب الإمام البخارى، صارفًا لهم إلى البلاذر حقًا، حيث قال: «هو إدامة النظر فى الكتب»(٤٠).

وقال عبد الله بن المبارك: «من أحب أن يستفيد، فلينظر فى كتبه»(٤١).

وقال الحافظ أبو مسعود أحمد بن الفرات (ت ٢٥٨هـ): «لم نزل نسمع شيوخنا يذكرون أشياء فى الحفظ، فأجمعوا أنه ليس شىء أبلغ فيه من كثرة النظر»(٤٢).

---

(٤٠) جامع بيان العلم لابن عبدالبر (رقم٢٤١٤).
(٤١) الجامع للخطيب (رقم١٨١٣).
(٤٢) الجامع للخطيب (رقم١٨٧٣).

وأما الكتابة وأثرها فى الحفظ، فقد سبق أن ذكرنا أن المحفوظ كلما اشترك فيه أكثر من حاسة، كلما كان ذلك أقوى له وراسخ. فإذا نظر القارىء، وجهر بالقراءة، ثم كتب؛ فإنه - على حد تعبير والد الزبير ابن بكار - يكون له ما أدى بصره إلى قلبه، وما أدى سمعة إلى قلبه، وما أدت يده إلى قلبه؛ فلا ينسى بإذن الله تعالى، لأنه اشترك فى تحفظه ثلاث حواس.

وقد قال الحسن بن على رضي الله عنهما لبنيه وبنى أخيه: «تعلموا العلم، فإنكم صغار قوم، يوشك أن تكونوا كبارهم غدًا، فمن لم يحفظ منكم فليكتب»(٤٣).

وقال الخليل بن أحمد الفراهيدى: «ما سمعت شيئًا إلا كتبته، ولا كتبته إلا حفظته، ولا حفظته إلا نفعنى»(٤٤).

ولهذه الطريقة فى الحفظ مميزات وعيوب:

فمن مميزاتها: أن صاحبها بطيء النسيان لمحفوظه، لأن طريقة حفظه تتضمن التعهد معها، بل هو إنما حفظ بالتعهد الكبير!!

ومن مميزاتها: أن صاحبها أوسع استحضارًا من صاحب الطريقة السابقة، لأنه أوسع اطلاعًا.

ومن عيوبها: أن صاحبها لا يستطيع الجزم بأنه يحفظ كتابًا ما، خاصة المطولات. وأيضًا لا يستطيع فى كثير من الأحيان أن يؤدى ما حفظ باللفظ، وإنما يؤديه بالمعنى؛ وللرواية بالمعنى شروط، وتحوم حولها أخطار.

---

(٤٣) جامع بيان العلم لابن عبدالبر (رقم٤٨٤)، والمدخل إلى السنن للبيهقى (رقم ٦٣٢، ٧٧٢).

(٤٤) جامع بيان العلم لابن عبدالبر (رقم ٤٤٧).

ومن عيوبها: أنها تستلزم وقتًا طويلًا للحفظ، وجلدًا وصبرًا، وانقطاعًا كاملًا؛ إذا أراد صاحبها أن ينافس صاحب الطريقة الأولى.

وأما من جمع بين طريقتى الحفظ هاتين فهو الحافظ الكامل، الذى جمع بين محاسن الحفظ، ونجا من عيوبه كلها.



أسباب النسيان

للنسيان أسباب كثيرة منها:

١ ـ الاستهانة بأداء فرائض الله وتعدى حدوده.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: إنى لأحسب الرجل ينسى العلم كان يعلمه بالخطيئة يعملها.

وقال الضحاك بن مزاحم رحمه الله تعالى: مامن أحد تعلم القرآن ثم نسيه إلا بذنب يحدثه وذلك بأن الله تعالى يقول: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ۝٣٠﴾ [الشورى: ٣٠] ونسيان القرآن من أعظم المصائب.

وسئل سفيان بن عيينة: هل يسلب العبد العلم بالذنب يصيبه؟! قال: ألم تسمع قوله: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾ [المائدة: ١٣].

٢ ـ كثرة الأكل.

٣ـ الإجهاد والسهر المضنى.

٤ ـ كثرة الاهتمام بأمور الدنيا والانشغال عن مراجعة المحفوظ(٤٥).

(٤٥) تعليم المتعلم ص (١٣٢)، والجامع فى الحث على حفظ العلم ص (٢٦٦) وعلاج النسيان.

الحافظ عند المحدثين:

قال ابن سيد الناس رحمه الله تعالى: «وأما المحدث فى عصرنا فهو: من اشتغل بالحديث رواية، ودراية، وجمع رواة، واطلع على كثير من الرواة والروايات فى عصره، وتميز فى ذلك حتى عرف فيه خطه، واشتهر فيه ضبطه، فإن توسع فى ذلك حتى عرف شيوخه، وشيوخ شيوخه، طبقة بعد طبقة، بحيث يكون مايعرفه من كل طبقة أكثر مما يجهله منها، فهذا هو الحافظ..»[٤٦].

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى ـ فى النكت على ابن الصلاح ـ: للحافظ فى عرف المحدثين شروط إذا اجتمعت فى الراوى سموه حافظًا:

١ ـ وهو الشهرة بالطلب والأخذ من أفواه الرجال لا من الصحف.

٢ ـ والمعرفة بطبقات الرواة ومراتبهم.

٣ ـ والمعرفة بالتجريح والتعديل وتميز الصحيح من السقيم حتى يكون مايستحضره من ذلك أكثر مما لا يستحضره مع ا ستحضار الكثير من المتون.

فهذه الشروط إذا اجتمعت فى الراوى سموه حافظًا[٤٧].

والحفاظ من المحدثين كثيرون. وقد ذكر ابن الجوزى جماعة منهم ورتبهم على حروف المعجم فى كتابه «الحث على حفظ العلم وذكر كبار الحفاظ»

---

(٤٦) تدريب الراوى ١/ ٣٠ .

(٤٧) النكت على ابن الصلاح ١/٢٦٨، وانظر تزيين الألفاظ، والسراج المنير فى ألقاب المحدثين ص ١٢٧ .

فانظرهم هناك.

تربية الصبيان على الحفظ:

ينبغي لولي الصبي أن يجتهدمعه في التحفظ للقرآن، وسائر العلوم، في صغره، وكذا كل مبتدئ في طلب العلم، حتى يكون الحفظ سهلًا على الطالب، لأن الحفظ في الصغر كالنقش على الحجر.

وقد جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا وموقوفًا: «حفظ الغلام الصغير كالنقش في الحجر، وحفظ الرجل بعدما يكبر كالكتابة على الماء» وهو صحيح من حيث المعنى وإن لم يصح من جهة الرواية(٤٨).



(٤٨) انظر فردوس الأخبار ٢/ ٢٢١، كشف الخفاء ١/ ٤٣٣.

حفظ القرآن أولًا

تعاهد الطلبة بتعليم القرآن وحفظه هو هدى النبى ﷺ، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «كان رسول الله ﷺ يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن».

وهذا دال على أن تعليم القرآن أصل يشبه به ما كان يتعاهد النبى ﷺ أصحابه بالتعليم.

قال حذيفة رضي الله عنه: حدثنا رسول الله ﷺ حديثين، رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر، حدثنا: «**أن الأمانة نزلت فى جذر قلوب الرجال، ثم علموا من القرآن ثم علموا من السنة**...» الحديث [البخارى: (٧٨٦)].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: قوله: «**ثم علموا من القرآن ثم علموا من السنة**» كذا فى هذه الرواية بإعادة «ثم» وفيه إشارة إلى أنهم كانوا يتعلمون القرآن قبل أن يتعلموا السنن، والمراد بالسنن ما يتلقونه عن النبى ﷺ واجبًا كان أو مندوبًا» أ هـ.

قال الميمونى: «سألت أبا عبد الله أيهما أحب إليك، أبدأ ابنى بالقرآن أو الحديث؟

قال: لا، بالقرآن، قلت: أعلمه كله، قال: إلا أن يعسر، فتعلمه منه.

ثم قال لى: إذا قرأ أولًا تعلم القراءة ولزمها» أ هـ. [«الآداب الشرعية» لابن مفلح (٢/ ٣٣)].

قال ابن مفلح رحمه الله: «وعلى هذا أتباع الإمام أحمد إلى زماننا هذا».

[«الآداب الشرعية» (٢/ ٣٣)].

وقال محمد بن الفضل: «سمعت جدى يقول: استأذنت أبى فى الخروج إلى قتيبة، فقال: اقرأ القرآن أولًا حتى آذن لك، فاستظهرت القرآن، فقال لى: امكث حتى تصلى الختمة، ففعلت، فلما عيدنا أذن لى فخرجت إلى مرو» أهـ. [«تذكرة الحفاظ» (٢/ ٧٢٢)].

وقال أبو عمر بن عبد البر: «طلب العلم درجات ومناقل ورتب لا ينبغى تعديها، ومن تعداها جملة فقد تعدى سبيل السلف رحمهم الله، ومن تعدى سبيلهم عامدًا ضلَّ، ومن تعداه مجتهدًا زل». [«جامع بيان العلم وفضله» (٥٢٦-٥٢٨)].

فأول العلم حفظ كتاب الله جل وعز تفهمه، وكل ما يعين على فهمه فواجب طلبه معه، ولا أقول: إن حفظه كله فرض، ولكن أقول: إن ذلك واجب لازم على من أحب أن يكون عالمًا ليس من باب الفرض» أ هـ.

وقال الخطيب البغدادى: «ينبغى للطالب أن يبدأ بحفظ كتاب الله عز وجل، إذ كان أجل العلوم وأولاها بالسبق والتقديم» أ هـ. [«الجامع» للخطيب (١/ ١٠٦)].

وقال الحافظ النووى رحمه الله: «وأول ما يبتدئ به حفظ القرآن العزيز فهو أهم العلوم، وكان السلف لا يعلِّمون الحديث والفقه إلا لمن حفظ القرآن، وإذا حفظ فليحذر من الاشتغال عنه بالحديث والفقه وغيرهما اشتغالًا يؤدى إلى نسيان شيء فيه أو تعرضه للنسيان أ هـ.

وقال شيخ الإسلام: «وأما طلب حفظ القرآن فهو مقدم على كثير مما تسميه الناس علمًا: وهو إما باطل أو قليل النفع. وهو أيضًا مقدم فى

التعلم فى حق من يريد علم الدين من الأصول والفروع، فإن المشروع فى حق مثل هذا فى هذه الأوقات أن يبدأ بحفظ القرآن، فإنه أصل علوم الدين، بخلاف ما يفعله كثير من أهل البدع الأعاجم وغيرهم، حيث يشتغل أحدهم بشيء من فضول العلم، من الكلام أو الجدال، والخلاف أو الفروع النادرة والتقليد الذى لا يحتاج إليه، أو غرائب الحديث التى لا تثبت ولا ينتفع بها، وكثير من الرياضيات التى لا تقوم بها حجة، ويترك حفظ القرآن الذى هو أهم من ذلك كله» أ هـ. [«الفتاوى الكبرى» (٢/ ٢٣٥)][(٤٩)].



(٤٩) استفدت هذه المباحث المتعلقة بالحفظ من: «الدليل إلى المتون العلمية» و«نصائح منهجية لطالب علم السنة النبوية» للشريف حاتم و«النبذ فى أداب طالب العلم» لحمد العثمان.

المذاكرة

وللمذاكرة معنيان شائعان:

الأول: اصطلاح يستخدمه المحدثون، يعنون بها مطارحات علمية ومساجلات حديثية، يعرض فيها الجلساء من حفاظ الحديث وطلبته لذكر فوائد الأحاديث وغرائب الأسانيد وخفى التعليلات، يسأل بعضهم بعضًا عن ذلك، ويفيد الواحد منهم الآخر ما غاب عنه. وقد كانت المذاكرة هذه من أبرز سمات المحدثين فى عصوره الأولى (مثل الرحلة فى طلب الحديث)، ولها آدابها وشروطها المنصوص عليها وفوائدها، وأخبارها المروية فيها[٥٠].

وللمذاكرة مع الأقران وغيرهم - على المعنى السابق - فائدة عظيمة فى تثبيت الحفظ، من جهة أنه تعهد للمحفوظ بتكريره ومراجعته خلال المذاكرة، وتذكير لما نسى منه، ودون إملال أو إضجار، بل فى جو من النشاط والتنافس العلمى البناء.

ولذلك قال عبد الله بن بريدة: «قال لى على بن أبى طالب رضي الله عنه: تزاوروا، وتذاكروا هذا الحديث، فإنكم أن لم تفعلوا يدرس علمكم»[٥١]، أى: يبلى ويخلق.

---

(٥٠) انظر: معرفة علوم الحديث للحاكم (١٤٠- ١٤٦)، والجامع للخطيب (٢/ ٤٠٤- ٤٢١).

(٥١) جامع بيان العلم لابن عبد البر (رقم ٦٢٣، ٦٨٧)، وشرف أصحاب الحديث للخطيب (رقم ٢٠٢- ٢٠٣).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كنا نكون عند النبي ﷺ، فنسمع منه الحديث، فإذا قمنا تذاكرناه فيما بيننا حتى نحفظه». [«جامع بيان العلم وفضله» لابن عبد البر (١/ ١٠١-١٠٤)، «الجامع» للخطيب (١/ ٢٣٦-٢٣٨)].

وعن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «إذا سمعتم مني حديثًا فتذاكروه بينكم». [المصدر السابق].

وقال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه «تحدثوا وتذاكروا، فإن الحديث يذكر بعضه بعضًا». [المصدر السابق].

وعن ابن أبي ليلى عن عطاء قال: «كنا نكون عند جابر بن عبد الله رضي الله عنهما فيحدثنا، فإذا خرجنا من عنده تذاكرنا حديثه قال: فكان أبو الزبير أحفظنا للحديث» [المصدر السابق].

قال أبو هريرة رضي الله عنه: «جزأت الليل ثلاثة أجزاء: ثلثًا أصلى، وثلثًا أنام، وثلثًا أذاكر فيه حديث رسول الله ﷺ». [المصدر السابق].

وعن ابن جرير: «كان عمرو بن دينار يجزئ الليل ثلاثة أجزاء: ثلثًا ينام، وثلثًا يصلى، وثلثًا يذاكر فيه الحديث». [المصدر السابق].

وقال عبد الله بن المعتز: «من أكثر مذاكرة العلماء لم ينس ما علم، واستفاد ما لم يعلم».

وعن عبد العزيز بن أبي حازم قال: قال لى أبي: «كان الناس فيما مضى من الزمان الأول إذا لقى الرجل من هو أعلم منه قال: اليوم يوم غنمى، فيتعلم منه، وإذا لقى من هو مثله قال: اليوم يوم مذاكرتى فيذاكره، وإذا

لقى من هو دونه علمه ولم يَزْهُ عليه.» قال: «حتى صار هذا الزمان، فصار الرجل يعيب من فوقه ابتغاء أن ينقطع منه حتى لا يرى الناس أن له إليه حاجة، وإذا لقى من هو مثله لم يذاكره، فهلك الناس عند ذلك».
[«الجامع» للخطيب (٢/ ٢٧٦)].

وقال جماعة من السلف عبارة أصبحت شعارًا للمذاكرة، وهى قولهم: «إحياء الحديث مذاكرته»[٥٢].

ومن فوائد المذاكرة أيضًا: أنها سبب كبير وداع عظيم للتنافس المحمود بين طلبة العلم. والتنافس فى الخير هو الأمل الجاهد لبلوغ الغايات العظام، ولولاه لما سعى للعلياء ماجد، ولما سما للرفعة طامح.

ولشدة التنافس أثناء المذاكرة بين المحدثين كانت من لذائذ علم الحديث ومن متعه الجليلة؛ حتى قال الوزير ابن العميد: «ما كنت أظن أن فى الدنيا حلاوة ألذ من الرئاسة والوزارة التى أنا فيها، حتى شاهدت مذاكرة سليمان بن أحمد الطبرانى وأبى بكر الجعابى بحضرتى، (ثم ذكر تلك المذاكرة، التى غلب فيها الطبرانى أبا بكر الجعابى، ثم قال: «فوددت فى مكانى أن الوزارة والرئاسة ليتها لم تكن لى وكنت الطبرانى، وفرحت مثل الفرح الذى فرح به الطبرانى»[٥٣].

وقال على بن المدينى: «ستة كادت تذهب عقولهم عند المذاكرة: يحيى القطان، وعبد الرحمن بن مهدى، ووكيع، وابن عيينة، وأبو داود الطيالسى، وعبد الرزاق؛ من شدة شهوتهم له. وتذاكر وكيع وعبد الرحمن

---

(٥٢) انظر: جامع بيان العلم لابن عبد البر (رقم ٦٢٧، ٦٣١، ٦٣٩)، وشرف أصحاب الحديث للخطيب (رقم ٢١٢، ٢١٤، ٢١٥)، والجامع للخطيب (رقم ١٨٨٤- ١٨٨٥).
(٥٣) الجامع للخطيب (رقم ١٩٠٠).

ليلة فى المسجد الحرام، فلم يزالا حتى أذن المؤذن أذان الصبح»[٥٤].

وقال عبد الله بن المبارك:

ما لذتى إلا رواية مسندا ... ت قيدت بفصاحة الألفاظ
ومجالس فيها تحل سكينة ... ومذاكرات معاشر الحفاظ
نالوا الفضيلة والكرامة والنهى ... من ربهم برعاية وحفاظ
لاظوا برب العرش لما أيقنوا ... أن الجنان لعصبة لواظ

ومن فوائد المذاكرة أيضًا ومن آدابها: إفادة طلبة العلم بعضهم بعضا، وفى ذلك استعجال لأجر وثواب التعليم، قبل بلوغ الدرجة التى يحق فيها لطالب العلم جلوس مجالس المعلمين. وما أدرى طالب العلم؟ لعله يموت قبل أن يصل إلى أن تتحلق حوله الطلبة!!.

يقول عبد الله بن المبارك: «إن أول منفعة الحديث: أن يفيد بعضكم بعضًا»[٥٥].

ويقول الإمام مالك: «بركة الحديث: إفادة بعضهم بعضًا»[٥٦].

ويقول سفيان الثورى: «يا معشر الشباب، تعجلوا بركة هذا العلم، فإنكم لا تدرون، لعلكم لا تبلغون ما تؤملون منه، ليفد بعضكم بعضًا»[٥٧].

---

(٥٤) الجامع للخطيب (رقم ١٨٩٩)، بتصرف يسير.
(٥٥) الجامع للخطيب (رقم ٨٨٥).
(٥٦) المدخل إلى السنن للبيهقى (رقم ١٤٩٣)، ولابن معين عبارة نحوها فى الجامع للخطيب (رقم ١٤٩٤).
(٥٧) الجامع للخطيب (رقم ١٤٩٢).

ينبغى أن يتذاكر مع زملائه ما وقع فى مجلس الشيخ من الفوائد والقواعد والضوابط وغير ذلك، و أن يعيدوا ما سمعوه بينهم، فإن فى المذاكرة نفعًا عظيمًا.

قال الخطيب البغدادى: «وأفضل المذاكرة مذاكرة الليل، وكان جماعة من السلف يبدؤون فى المذاكرة من العشاء فربما لم يقوموا حتى يسمعوا أذان الصبح».

«فإن لم يجد الطالب من يذاكره ذاكر نفسه بنفسه، وكرر معنى ما سمعه ولفظه على قلبه، فإن تكرار المعنى على القلب كتكرار اللفظ على اللسان سواء بسواء، وقل ما يفلح من يقتصر على حضور الفكر والعقل فى مجلس الشيخ خاصة، ثم يتركه ويقوم ولا يعاوده بالمذاكرة.

وقال رحمه الله: «وإذا لم يجد الطالب من يذاكره، أدام ذكر الحديث مع نفسه وكرر على قلبه». [«الجامع للخطيب» (١/ ٢٣٨)].

وأما المعنى الثانى فهو الأكثر شيوعا ويقصد به:

القراءة الواعية المتدبرة، والتى تؤدى إلى الفهم ثم حفظ ما ذاكرت حفظًا يعينك على استحضاره وقت الحاجة.

ثم اعلم أنه ليس كل كتاب يذاكر، فإذا حددنا مثلًا عددًا من الكتب ليدرس أحدها فى مرحلة ما، فإنك تختار واحدا منها لتذاكره، فإن أحببت بعد الانتهاء من هذا الذى اخترته أن تتناول بقية الكتب فليكن تناولك لها تناول مطالعة وقراءة من غير حفظ ولا حرص على الاستذكار، كى لا تقع فى التكرار غير المفيد، فمثلا: إذا خيرناك فى مرحلة ما بين نخبة الفكر

وشرحها، وبين الباعث الحثيث فاخترت الباعث، فيفضل لك أن تتناول النخبة بعد ذلك تناول مطالعة فتقوم بحفظ الفوائد الجديدة فحسب، أما المكررات والمتشابهات التى مررت عليها من قبل فى الباعث، فإنك هاهنا تكتفى بمطالعتها فحسب ولا تذاكرها أو تعاملها معاملة الكتاب الأصلى الذى أقمت درسك عليه. [مستفاد من «من هدى السلف فى طلب العلم» لمحمد مطر الزهرانى، و«التأصيل فى طلب العلم» للشيخ محمد عمر بازمول].



تثبيت العلم هو طريق تحصيل ثمرته

من أهم وسائل تثبيت العلم: العمل به، وتعليمه، والتأليف فيه. وهذه الأصول هى المشار إليها فى قوله تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر: ١-٣].

فقد حكم الله بالخسران على جميع الناس، ثم استثنى من ذلك الذين آمنوا، ما دام آمنوا فقد حصلوا العلم النافع، ثم عملوا، ثم دعوا إلى هذا العمل والعلم النافع الذى كان لديهم.

فأهم وسائل تثبيت العلم: العمل به، وتعليمه، والتأليف والتصنيف.

والعمل بالعلم من أهم ما يثبت العلم، بل هو المقصد الأصلى لطلب العلم.

وقد جاء عن السلف: «هتف العلم بالعمل، فإن أجاب وإلا ارتحل».

قال وكيع: «كنا نستعين على حفظ الحديث بالعمل به». [«سير أعلام النبلاء» (٦/٢٢٨)].

وتحت العمل بالعلم يأتى الكلام عن ترك الذنوب والمعاصى؛ إذ الوقوع فيها خلاف مقتضى العلم.

وفى هذا المعنى الأبيات الشهيرة:

شكوت إلى وكيع سوء حفظى فأرشدنى إلى ترك المعاصى
وأنبأنى أن العلم فضل وفضل الله لا يؤتى لعاصى

عن محمد بن النضر الحارثى قال: «كان يقال: أول التعليم الإنصات له، ثم الاستماع له، ثم حفظه، ثم العمل به، ثم النشر».

قال سفيان: «العالم لا يمارى، ولا يدارى، ينشر حكمة الله، فإن قبلت؛ حمد الله، وإن ردت؛ حمد الله». [«شعب الإيمان» (٢/ ٢٢٨)].

عن جابر قال: «تعلموا الصمت، ثم تعلموا الحلم، ثم تعلموا العلم، ثم تعلموا العمل، ثم انشروا». [المصدر السابق].

وقد كانوا يحرصون على العمل بالأحاديث التى تبلغهم عن رسول الله ﷺ، حتى ولو لم يظهر فيها معنى التعبد؛ اتباعًا لما كان عليه المصطفى ﷺ.

قال عبد الرحمن بن مهدى: سمعت سفيان يقول: «ما بلغنى عن رسول الله ﷺ حديث قط؛ إلا عملت به ولو مرة». [«سير أعلام النبلاء» (٧/ ١٢٤٢)].

وقال أحمد بن حنبل رحمه الله: «ما كتبت حديثًا إلا وقد عملت به، حتى مر بى أن الرسول ﷺ احتجم، وأعطى أبا طيبة دينارًا؛ فأعطيت الحجام دينارًا حين احتجمت». [«سير أعلام النبلاء» (١١/ ٢١٣)].

فإذا أخلص فى العلم والعمل؛كان تطلعه للآخرة، وإنما يمشى على الأرض هونًا.

عن إبراهيم بن أدهم يقول: «من طلب العلم خالصا، ينفع به عباد الله، وينفع نفسه؛كان الخمول أحب إليه من التطاول، فذلك الذى يزداد فى

نفسه ذلًّا، وفى العبادة اجتهادًا، ومن الله خوفًا ، وإليه اشتياقًا، وفى الناس تواضعًا، لا يبالى على ما أمسى وأصبح من هذه الدنيا». [«شعب الإيمان» (٢/ ٢٨٨)].

وتعليم العلم يثبته، وليس معنى هذا أن يحرص الحدث على التصدر، ولكن المراد أن يسعى إلى أن يذاكر بعلمه، ويبذله لمن يسأله من زملائه ومن هم دونه، فيعلمهم ويعيد عليهم الدرس، لا سعيًا للمشيخة عليهم، والتصدر قبل الأوان، فإن هذا من المخاطر العظيمة.

حتى قالوا: «تَزبَّبَ قبل أن يُحصرم».

وقال الشافعى: «إذا تصدر الحدث؛ فاته خير كثير».

والتصنيف فيه أن يدون المسائل ويرتبها، ويقيم بحثه فيها على أساس الدليل، وجمع كلام أهل العلم فى كل مسألة مصنفًا ومرتبًا، متجنبًا الغرائب والشواذ، حريصًا على طلب الحق.

وليس المقصود من اشتغال الطالب بالتصنيف أن يسعى ويقصد إخراجه للناس؛ فإن الطالب فى هذه المرحلة لما يبلغ هذا الحد بعد، وإنما يعرض كتبه ومصنفاته على أهل العلم ومن فوقه وقبله فى الطلب؛ مسترشدًا مستأنسًا بكلامهم وتوجيهاتهم.

المقصود: أن التصنيف فى العلم يساعد على حفظ العلم والمسائل.

❃ ❃ ❃

ومن وسائل التثبيت أيضا:

أ ـ **حسن الفهم**: وقد سبقت الإشارة إلى اهتمام السلف به.

ب ـ **حفظه والعمل به**: قال عامر بن شراحيل الشعبي (ت١٠٣هـ): «كنا نستعين على حفظ الحديث بالعمل، ونستعين على طلبه بالصوم». [«جامع بيان العلم» (٢/ ١١)].

وقد أثر عن غير واحد من السلف واشتهر عن إمام أهل السنة أحمد بن حنبل قوله: «ما بلغني حديث إلا عملت به، وما عملت به إلا حفظته». وقال وكيع بن الجراح (ت١٩٧هـ): «إذا أردت أن تحفظ الحديث فاعمل به». [«علوم الحديث» لابن الصلاح (ص٢٢٣)].

ج ـ **مذاكرته مع الشيوخ والأقران**:

لم يكتفى السلف رحمهم الله بالحث على المذاكرة وبيان أهميتها وأوقاتها المناسبة، بل تجاوزوا ذلك إلى التطبيق العملى، فمارسوا مذاكرة العلم بشتى الصور مع الشيوخ والأقران.

قال أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كنا نكون عند النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فنسمع منه الحديث، فإذا قمنا تذاكرناه فيما بيننا حتى نحفظه». [«الجامع للخطيب» (١/ ٢٣٦)].

وقال الخطيب: «وأفضل المذاكرة مذاكرة الليل، وكان جماعة من السلف يبدؤون فى المذاكرة من العشاء، فربما لم يقوموا حتى يسمعوا أذان الصبح». [«تذكرة السامع والمتكلم» (ص١٤٤)].

د ـ **الصبر والمثابرة والدأب فى التحصيل**: ولا أدل على ذلك من تلك الرحلات إلى البلدان المختلفة وتحمل المشاق فى سبيل تحصيل العلم، وقد بدأها الصحابة الكرام رضي الله عنهم حيث كان أحدهم يرحل فى الحديث مسيرة شهر. [انظر في ذلك: كتاب «الرحلة» للخطيب البغدادي وقد خصه لرحلات من رحل لحديث واحد].

قال سعيد بن المسيب (ت ٩٤ هـ): «إن كنت لأسير فى طلب الحديث الواحد مسيرة الليالى والأيام». [«طبقات ابن سعد» (٥/ ١٢٠)، و«المعرفة والتاريخ» (١/ ٤٦٨)].

وكان كثير من السلف يوصى تلاميذه بالصبر والتحمل وعدم التعجل. قال يونس بن يزيد: «قال لى الزهرى: لا تأخذ العلم جملة، فإن من رام أخذه جملة ذهب عنه جملة، ولكن الشىء بعد الشىء مع الأيام والليالى». [«جامع بيان العلم» (١/ ١٠٤)].

وفى رواية معمر عن الزهرى: «من طلب العلم جملة فاته جملة، وإنما يدرك العلم حديث وحديثان». [«الجامع» للخطيب (١/ ٢٣٢)].

هـ ـ **الورع مع الحرص على نشر العلم وإخفاء العمل**:

عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: «أدركت عشرين ومائة من أصحاب رسول الله ﷺ من الأنصار ما فيهم من أحد يسأل عن شىء إلا ود أن أخاه كفاه، ولا يحدث حديثًا إلا ود أن أخاه كفاه».

وعن مطرف بن عبد الله بن الشخير قال: «فضل العلم أحب إلى من فضل العبادة، وخير دينكم الورع» [«كتاب العلم» لأبي خيثمة (ص٨ ج١٣)].

وفى باب «كيف يقبض العلم» من كتاب العلم من صحيح البخارى: «كتب عمر بن العزيز إلى أبى بكر بن حزم: انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ فاكتبه، فإنى خفت دروس العلم وذهاب العلماء، ولتفشوا العلم، ولتجلسوا حتى يُعلَّم من لا يعلم فإن العلم لا يهلك حتى يكون سرًّا».

وقال بشر بن الحارث: «إنما يراد من العلم العمل، اسمع وتعلم واعلم وعلم واهرب، ألم تر إلى سفيان الثورى كيف طلب العلم، فعلم وعلم وهرب، وهكذا العلم إنما يدل على الهروب عن الدنيا ليس على طلبها». [«جامع بيان العلم» (٨/٢)].

٦ ـ **ومن تلك المعالم أيضًا ترك الجدل والمماراة فى العلم والبعد عن مجادلة ومجالسة أهل الأهواء**، وقد أكثر السلف رحمة الله عليهم من ذم أصحاب الأهواء والتحذير من مجالستهم، أو مجادلتهم، أو الاشتغال بالرد عليهم. وقد أورد عبد الله بن بطة العكبرى (ت ٣٨٧ هـ) فى كتاب «الإبانة الكبرى» عن ذلك أكثر من ثلاثمائة وأربعين نصًّا ثم عقب على ذلك بقوله:

«فاعلم يا أخى أنى لم أر الجدال والمناقصة والخلاف والمماحلة والأهواء المختلفة والآراء المخترعة من شرائع النبلاء، ولا من أخلاق العقلاء، ولا من مذاهب أهل المروءة، ولا مما حكى لنا عن صالحي هذه الأمة، ولا من سير السلف، ولا من شيمة المرضيين من الخلف، وإنما هو لهو يتعلم ودراية يتفكه بها، ولذة يستراح إليها، ومهارشة العقول وتذريب اللسان بمحق الأديان، وضراوة على التغالب واستمتاع بظهور حجة المخاصم، وقصد إلى قهر المناظر، ومغالطة فى القياس، وبهت فى المقالة، وتكذيب الآثار، ومكابرة لنص التنزيل، وتهاون بما قال الرسول، ونقض لعقدة الإجماع، وتشتيت الألفة وتفريق لأهل الملة، وشكوك تدخل على الأمة وضرواة

السلامة وتوغير للقلب، وتوليد للشحناء في النفوس عصمنا لله وإياكم وأعاذنا من مجالسة أهلة». [«الإبانة» (٢/ ٥٣١)].

❁ ❁ ❁

أهمية الوقت

الوقت هو رأس مال طالب العالم، وما أفلح قط طالب علم مضيع لوقته، وما أنجح من أنجح من طلبة العلم إلا بمحافظتهم على أوقاتهم وبضنهم بساعات زمانهم على القاصي والدانى، ودونك درر ملتقطات ونماذج منتخبات من صور حفاظ أهل العلم على وقتهم:

ابن عبد القيس: أمسك الشمس

١- جاء رجلٌ إلى عامر بن عامر بن عبد القيس - وهو أحد العابدين التابعين الزهاد - وقال له: كلِّمنى.

فقال له عامر: أمسك الشمس. [قيمة الزمن عند العلماء لأبى غدة ١٤].

ومعنى كلام ابن عبد القيس: أن الشمس دائمة الجرى، لا تتوقف، وهذا يعنى أن العمر لا يتوقف، فكيف تريدُنى أن أقف وأكلمك؟!

أبو يوسف والمدارسة وهو يحتضر

قال القاضى إبراهيم بن الجراح: مرض أبو يوسف، فأتيته أعوده، فوجدته مغمى عليه. فلما أفاق قال لى: يا إبراهيم: ما تقول فى مسألة؟

قلت: وأنت فى هذه الحالة؟ قال: لا بأس بذلك، ندرس، لعلَّه ينجو به

ناج!

ثم قال لى: يا إبراهيم: أيها أفضل فى رمى الجمار، أن يرميها ماشيًا أو راكبًا؟

قلت: يرميها راكبًا. قال: أخطأت.

قلت: يرميها ماشيًا. قال: أخطأت!

قلت: قُلْ فيها، يرضى الله عنك.

قال: أما ما كان يوقف عنده للدعاء، فالأفضل أن يرميه ماشيًا. وأما ما كان لا يوقف عنده للدعاء فالأفضل أن يرميه راكبًا.

ثم قمت من عنده. فما بلغت باب داره حتى سمعت الصراخ عليه. فإذا هو قد مات. رحمة الله عليه. [المرجع السابق: ١٥].

كتاب الوزير ابن خاقان فى كمه

٣- كان الفتحُ بن خاقان أديبًا شاعرًا، حريصًا على طلب العلم، وقد اتخذه المتوكل وزيرًا عنده. ومع ذلك كان شديد الحرص على وقته، وعلى طلب العلم.

فكان يكون بين يدى المتوكل - الخليفة العباسي- وكان يُخفى الكتاب فى كُمِّه.أو خُفه، فإذا قام من أمام المتوكل للبول أو للصلاة، أخرج الكتاب فنظر فيه وهو يمشى، حتى يبلغ الموضوع الذى يريده، ثم يصنع مثل ذلك فى رجوعه، إلى أن يأخذ مجلسه. فإذا أراد المتوكل القيام لحاجة، أخرج الفتحُ

الكتاب من كُمِّه أو خُفه، وقرأه فى مجلس المتوكل، إلى حين عودتِه. [المرجع السابق: ١٦].

برنامج الطبرى اليومى

٤- كان الإمام محمد بن جرير الطبرى رحمه الله حريصًا على وقته وعلى تقييد العلم.

قال السمسمى: مكث ابن جرير أربعين سنة، يكتب كل يوم منها أربعين ورقة. [المرجع السابق: ١٨].

وقال القاضى أبو بكر بن كامل - تلميذ الطبرى - عن نوم الطبرى ويقظته وحسن تقسيمه لوقته:

كان الطبرى فى الصباح إذا أكل نام فى الخيش - وهى ثياب فى نسجها رقة، وخيوطها غلاظ، تُتخذ من مشاقة الكتان، تُلبس فى الحرِّ عند النوم، لبرودتها على الجسم - ويلبسُ قميصًا قصير الأكمام، مصبوغًا بالصندل وماء الورد.

ثم يقوم فيصلى الظهر فى بيته، ويكتب فى تصنيفه إلى العصر، ثم يخرج فيصلى العصر، ويجلس للناس يُقرئ ويُقرأ عليه، إلى المغرب، ثم يجلس للفقه والدرس بين يديه إلى العشاء الآخرة. ثم يدخل منزله.

وقد قسَّم ليله ونهاره فى مصلحة نفسه، ودينه، والخَلْق. [المرجع السابق: ١٩].

وما ضيَّع الإمام الطبرى دقيقة من حياته بدون فائدة أو إفادة أو استفادة.

قال المُعافى بن زكريا: كنت بحضرة أبي جعفر بن الطبرى رحمه الله تعالى قبل موته، وتوفى بعد ساعة أو أقلَّ منها، فَذُكِرَ أمامه دعاءٌ عن جعفر الصادق، فاستدعى ابن جرير محبرة وصحيفة فكتبه!

فقيل له: أتكتُبُه وأنت فى هذه الحال؟ فقال: ينبغى للإنسان أن لا يدع طلب العلم حتى الممات! [المرجع السابق: ١٩- ٢٠].

البيرونى يحفظ العلم قبيل موته

٥- وحدَّثَ الفقيه أبو الحسن بن عيسى عن اهتمام أبي الريحان البيرونى بالعلم، فقال: دخلتُ على أبي الريحان وهو يجودُ بنفسه، وقد حشرج نَفَسُه، وضاق به صدره - وقد بلغ من العمر ثمانية وسبعين عامًا-.

فقال لى فى تلك الحال: كيف قلت لى يومًا فى حساب الجَدّات الفاسدة فى الميراث؟

فقلت له إشفاقًا عليه: أفى هذه الحالة؟

فقال لى: يا هذا: أُودِّعُ الدنيا وأنا عالمٌ بهذه المسألة، خيرٌ من أن أودِّعها وأنا جاهل بها!!

فأعدتُ المسألة عليه، وحَفِظ، وعلَّمنى، وخرجْتُ... ولما كنت فى الطريق سمعت الصراخ عليه، حيث مات، رحمه الله. [المرجع السابق: ٢١- ٢٢].

سُلَيم الرازى وقراءته القرآن

٦- وكان الإمام سُليمُ الرازى مهتمًا بوقته. قال عنه التاجُ السبكى: كان رحمه الله من الورع على جانب قوى، يحاسب نفسه على الأوقات، لا يَدَعُ وقتًا يمضى بغير فائدة، إما يدرس، أو ينسخ، أو يقرأ.

قال سُلَيم الرازى وقد نزل إلى داره يومًا ورجع: لقد قرأت جزءًا فى طريقى.

وحدَّثَ المؤمِّلُ بن الحسن أنه رأى سُليم الرازى وقد حفى عليه القلم، فإلى أن أصلحه كان يحركُ شفتيه، فعلم أنه يقرأ القرآن أثناء إصلاح القلم، لئلا يمضى عليه زمانٌ وهو فارغ. [المرجع السابق: ٢٢-٢٣].

متى ينام الجوينى ويأكل؟

٧- قال الإمام عبد الملك الجوينى - إمام الحرمين - أنا لا أنامُ ولا آكلُ عادة، وإنما أنام إذا غلبنى النوم، ليلًا كان أونهارًا، وآكلُ إذا اشتهيت الطعام، أيَّ وقتٍ كان.

فكانت لذته ونزهته فى مذاكرة العلم، وطلب الفائدة. [المرجع السابق: ٢٣].

❋ ❋ ❋

أبو الوفاء بن عقيل في طعامه وفكره

٨- كان الإمام أبو الوفاء على بن عقيل البغدادى الحنبلى يقول: إنى لا يحلُّ لى أن أُضيع ساعةً من عمرى، حتى إذا تعطَّلَ لسانى عن مذاكرة أو مناظرة، وبصرى عن مطالعة، أعملت فكرى فى حال راحتى، وأنا منطرح، فلا أنهض إلا وقد خطر لى ما أسطره.

وإنى لأجد من حرصى على العلم، وأنا فى عشر الثمانين، أشد مما كنت أجده وأنا ابن عشرين سنة.

وأنا أُقَصِّرُ بغاية جهدى أوقات أكلى، حتى أختار سَفَّ الكعك وتحسّيه بالماء على الخبز، لأجل ما بينهما من تفاوت المضغ، توفُّرًا على مطالعة، أو تسطير فائدة، وإن أجلَّ تحصيل عند العقلاء - بإجماع العلماء- هو الوقت، فهو غنيمة تُنتهز فيها الفرص، فالتكاليف كثيرة.

ولما احتضر الإمام ابن عقيل وأدركته الوفاة، بكت النساءُ حزنًا على فراقه، فقال لهن: قد وَقَّعْتُ عن الله خمسين سنة - لأنه كان يوقِّعُ الفتاوى التى يبين فيها أحكام الله للسائلين - فدَعونى أهنأ بلقاء الله!.

ولما تُوفى هذا الإمام، لم يُخلِّف من الدنيا كتبه وثياب بدنه، وكانت بمقدار كفنه وأداء دينه. [المرجع السابق: ٢٥ - ٢٦].

❁ ❁ ❁

نقول لابن الجوزى فى صيد الخاطر

٩- أورد الإمام أبو الفرج بن الجوزى فى كتابه اللطيف «صيد الخاطر» أقوالًا لبعض السابقين حول الاهتمام بالأوقات. من هذه الأقوال:

- قال الفضيل بن عياض رحمه الله: أعرف من يَعُدُّ كلامه من الجمعة إلى الجمعة.

- ودخل قومٌ على رجل عابد من السلف، فقالوا: لعلنا شغلناك؟ فقال: أصدقكم القول نعم! كنت أقرأ، فتركت القرآن لأجلكم!!.

- وجاء عابدٌ إلى السَّرىِّ السقطى، فرأى عنده جماعة جالسين، فقال له: صرت مُناخ البطالين!! ثم مضى ولم يجلس.

- وقعد قومٌ عند معروف الكرخى، فأطالوا، فقال لهم: إن مَلَكَ الشمس لا يَفْتُرُ عن سوقها، فمتى تُريدون القيام؟!

- وكان داود الطائى يستفُّ الفتيت، ويقول: بين سَفِّ الفتيت وأكل الخبز قراءة خمسين آية.

- وكان عثمان الباقلاوى دائم الذكر لله، وقال يومًا: إنى وقت الإفطار أُحسُّ بروحى كأنها تخرج! لأنى أشتغل بالأكل عن الذكر.

- وأوصى أحدُ السلف أصحابه فقال: إذا خرجتم من عندى فتفرَّقوا، لعلَّ أحدكم يقرأ القرآن فى طريقه، ومتى اجتمعتم تحدثتم!! [المرجع السابق: ٢٩].

براية أقلام ابن الجوزى

١٠- وكان الإمام ابن الجوزى يجمع براية الأقلام التى كان يكتب بها، ويحتفظ بها فى مكان خاص. ولما حضرته الوفاة أوصى أن يُسخَّنَ الماء الذى سيُغَسِّلُ به ببراية تلك الأقلام!.

ولما مات نفذوا وصيته، فكفت براية أقلامه لتسخين مائه، وزاد منها شيء بعد ذلك!! [المرجع السابق: ٣٢].

البرنامج النموذجي للحافظ المقدسي

١١- روى الضياء المقدسى عن برنامج شيخه الحافظ عبد الغنى المقدسى، فقال: كان لا يُضيعُ شيئًا من زمانه: فكان يصلى الفجر، ثم يُلقن ويعلِّم الناس القرآن، وربما لقَّنهم الحديث، ثم يقوم، فيتوضأ ويصلى ثلاثمائة ركعة، بالفاتحة والمعوذتين إلى قبيل الظهر، ثم ينام نومة، فيصلى الظهر، ويشتغل بالتسميع أو النسخ إلى المغرب، فيفطر إن كان صائمًا، ويصلى العشاء، ثم ينام إلى نصف الليل أو بعده، ثم يتوضأ ويصلى، ويتوضأ ويصلى، إلى قريب الفجر، وربما توضأ سبع مرات أو أكثر، ويقول: تطيبُ لى الصلاة مادامت أعضائى مبتلَّة، ثم ينام نومة يسيرة قبل الفجر. [المرجع السابق: ٣٣ - ٣٤].

❀ ❀ ❀

تأسف الرازى على وقت الأكل

١٢- كان الإمام المفسر فخر الدين الرازى يقول: والله إنى لأتأسف فى الفوات عن الاشتغال بالعلم فى وقت الأكل، فإن الوقت والزمان عزيز! [المرجع السابق: ٣٤].

ابن مالك يحفظ الشعر ساعة موته

١٣- مما ورد فى ترجمة الإمام النحوى ابن مالك صاحب الألفية فى النحو «ألفية ابن مالك»: كان رحمه الله كثير المطالعة، سريع المراجعة، لا يكتب شيئًا من محفوظه حتى يراجعه فى محلِّه - وهذه حالة المشايخ الثقات والعلماء الأثبات - وكان ابن مالك لا يُرى إلا وهو يُصلى، أو يتلو، أو يصنِّف، أو يقرأ!.

ومن أغرب الأمثلة على اعتنائه بالعلم أن ابنه جاءه فى اليوم الذى مات فيه، ومعه ثمانية أبيات من الشعر، فطلب من ابنه أن يلقنه الأبيات الثمانية رغم مرضه، فحفظها قبل وفاته رحمه الله!.

ويصدق فيه قول القائل: بقدر ما تتعنى، تنال ما تتمنى... [المرجع السابق: ٣٤- ٣٥].

ابن النفيس يدون العلم فى الحمام

١٣- الإمام علاء الدين ابن النفيس هو الطبيب المشهور، الذى اكتشف

الدورة الدموية فى القرن السابع.

وكان إذا أراد التأليف والتصنيف، توضعُ له الأقلام مبريّة، ويُدير وجهه إلى الحائط، ويأخذ فى التصنيف إملاءً من خاطره، ويكتب مثل السيل إذا انحدر، فإذا كَلَّ القلم وخفى، رمى به وتناول غيره، لئلا يضيع عليه الزمان فى برى القلم. وكان يكتب - إذا صنف - من صدره، من غير مراجعة للكتب.

ودخل مرة الحمام ليغتسل، وبينما كان يغتسل خرج إلى مكان نزع وارتداء الملابس، واستدعى بدواة وقلم وورق، وكتب مقالة فى النبض إلى أن أنهاها! ثم عاد وكَمَّلَ اغتساله!!! [المرجع السابق: ٣٧ - ٣٨].

ابن عساكر الزاهد فى المناصب

١٥- أما الإمام المؤرخ أبو القاسم ابن عساكر صاحب «تاريخ دمشق» فقد حدَّث ابنه القاسم عنه قائلًا: كان أبى رحمه الله مواظبًا على الجماعة والتلاوة، يختم كل جمعة، ويختم فى رمضان كل يوم، ويعتكف فى المنارة الشرقية من جامع دمشق وكان كثير النوافل والأذكار.

وقال عنه تلميذه أبو المواهب: لم أَرَ مثله، ولا من اجتمع فيه ما اجتمع فيه، من لزوم طريقة واحدة مدة أربعين سنة، من لزوم الصلوات فى الصف الأول إلا من عذر، والاعتكاف فى شهر رمضان وعشر ذى الحجة، وعدم التطلع إلى تحصيل الأملاك وبناء الدور، حيث أسقط ذلك عن نفسه، وأعرض عن طلب المناصب من الإمامة والخطابة، وأباها بعد أن عُرضت عليه، وأخذ نفسه بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، لا تأخُذه فى الله

لومة لائم. . . [المرجع السابق: ٥٠-٥١].

أبيات فريدة في الاهتمام بالوقت والعلم:

١٦- وقد أورد الشيخ عبد الفتاح أبو غدة بعض الأبيات الشعرية في الاهتمام بالوقت والحرص على طلب العلم، منها:

❑ قال بهاء الدين ابن النحاس:

اليوم شيءٌ وغدًا مثله ... من نُخب العلم التي تُلتقط
يُحصِّل المرء بها حكمة ... وإنما السيل اجتماع النُّقط

- وقال ابن نباتة السعدى:

أعاذلتى على إتعاب نفسى ... ورعيى فى الدُّجى روض السُّهاد
إذا شام الفتى برق المعالى ... فأهون فائتٍ طيب الرُّقاد

❑ وقال الإمام السيوطى:

حدَّثنا شيخُنا الكنانى ... عن أبهِ صاحب الخطابة
أسرع أخا العلم فى ثلاث ... فى الأكل والمشى والكتابة

❑ وقال الأديب عمارة اليمنى:

إذا كان رأس المال عُمرك فاحترز ... عليه من الإنفاق فى غير واجب
فبين اختلاف الليل والصبح معركٌ ... يَكُرُّ علينا جيشه بالعجائب

❑ وقال أمير الشعراء أحمد شوقى:

دقات قلب المرء قائلة له ... إن الحياة دقائق وثوانى
فارفع لنفسك بعد موتك ذكرها ... فالذكر للإنسان عُمر ثانى

وقال الإمام أحمد بن فارس الرازى صاحب «مقاييس اللغة»:

إن كان يؤذيك حر المصيف ويبس الخريف وبرد الشتا
ويُلهيك حسن زمان الربيع فأخذك للعلم قل لى: متى؟!

❏ وقال الوزير الصالح الفقيه يحيى بن هبيرة:

والوقت أنفس ما عُنيت بحفظه وأراه أسهل ما عليك يضيع

هذه بعض النماذج التى انتقيناها من رسالة الأستاذ الشيخ عبد الفتاح أبو غدة: «قيمة الزمن عند العلماء». وننصح الإخوة القراء بقراءة هذه الرسالة، وقراءة كتابه اللطيف المفيد «صفحات من صبر العلماء على شدائد العلم والتحصيل»، فإنه فريدٌ فى بابه، يثير حماسَ الراغب فى العلم والمعرفة.

ونقدم هذه النماذج للإخوة القراء، لتكون حافزًا لهم لبذل المزيد من الحرص والاهتمام بالعلم، والاهتمام بالوقت، وليقتدوا بالعلماء الأعلام، الذين صدرت عنهم تلك التعبيرات، أو حصلتْ منهم تلك المواقف واللقطات. [مستفاد من كتاب «خطة براقة» للدكتور صلاح الخالدى].

❁ ❁ ❁

التدرج والتأنى مفتاحا الوصول

اعلم أن من رام العلم جملة، ذهب عنه جملة، واعلم أن آفة العلم النسيان وعلة النسيان العجلة، وآفة كثير من المتعلمين اليوم إنما تكمن فى العجلة فما إن تطأ قدمه رحاب علم من العلوم حتى يرجع بصره فى كتبه وفنونه وعلمائه فيرتد عليه بصره مشيرًا عليه برأى فاسد مفاده: أسرع اقرأ هذا بسرعة، وذاك فى ليلة والمهم هو الفهم فالحفظ يضيع الوقت، نريد أن نصل، لا تقعد هكذا؟

إلى آخر وساوس السوء هذه، فترى الواحد من هؤلاء يمسك بكتاب اليوم وبآخر غدًا، ويضع البرنامج بالليل، ليهدمه بالنهار اليوم أصول، لا بل حديث، لا لا بل فقه، فإذا بالعام يمر تلوالعام، وهو فى مكانه كما يقول أهل الحروب «محلك سر» فالله المستعان.

وقد بدا لى أن أنقل لك أخى الكريم بعضًا من وصايا أهل العلم للمعلمين فى الرفق والحث على التدرج فى تعليم الطلاب عساك تستفيد منها:

قال عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (ت ٨٠٨ هـ): «اعلم أن تلقين العلوم للمتعلمين إنما يكو مفيدًا إذا كان على التدريج شيئًا فشيئًا، وقليلًا قليلًا. يلقى عليه أولًا مسائل من كل باب من الفن هى أصول ذلك الباب، ويقرب له شرحها على سبيل الإجمال، ويراعى فى ذلك قوة عقله واستعداده لقبول ما يرد عليه حتى ينتهى إلى آخر الفن وعند ذلك يحصل له ملكة فى ذلك العلم إلا أنها جزئية وضعيفة، وغايتها أنها هيأتها لفهم الفن وتحصيل

مسائله. ثم يرجع به إلى الفن ثانية فيرفعه فى التلقين عن تلك الرتبة إلى أعلى منها، ويستوفى الشرح والبيان ويخرج عن الإجمال، ويذكر له ما هنالك من الخلاف ووجهه، إلى أنْ ينتهى إلى آخر الفن، فتجود ملكته، ثم يرجع به وقد شدَّ فلا يترك عويصًا ولا مهمًّا ولا مغلقًا إلا وضحه وفتح له مقفله، فيخلص من الفن وقد استولى على ملكته ثم قال: «هذه وجه التعليم المفيد، وهو كما رأيت إنما يحصل فى ثلاث تكرارات وقد يحصل للبعض فى أقل من ذلك» [المقدمة ص/ ٥٣٣].

قال الشيخ عبد الحميد بن باديس (ت ١٣٥٩ هـ): «فهم قواعد العلم وتطبيقها حتى تحصل ملكة استعمالها، هذا هو المقصود من الدرس على الشيوخ، فأما توسيع دائرة الفهم والاطلاع فإنما يتوصل إليها الطالب بنفسه بمطالعته للكتب، ومزاولته للتقرير والتحرير. ثم إن الدروس إنما تحصل فيها قواعد بعض العلوم، وتبقى فنون كثيرة من فنون العلم يصل إليها الطالب بمطالعته بنفسه وحده، أو مع بعض رفاقه، فلا ينتهى من مدة دراسته العلمية فى الدروس إلا وقد اتسع نطاق معلوماته بفنون كثيرة. ونرى الطلاب اليوم فى أكبر المعاهد - كالزيتونة - لا يخرج الطالب عن كتبه الدراسية إلى مطالعة شيء بنفسه مما يكسبه علمًا أو خبرة بالحياة، فيخرج الطالب بعد تحصيل الشهادة وهو غريب عن الحياة. فعلى الطلبة والمتولين أمر الطلبة أن يسيروا على خطة التحصيل الدرسى، والتحصيل النفسى ليقتصدوا ويتسعوا فى العلم، ويوسعوا نطاق التفكير.

❋ ❋ ❋

إرشاد المعلم فى تعليمه

عن ذلك يقول ابن خلدون: «وقد شاهدنا كثيرًا من المعلمين فى هذا العهد الذى أدركنا يجهلون طرق التعليم وإفادته، ويحضرون للمتعلم فى أول تعليمه المسائل المقفلة من العلم، ويطالبونه بإحضار ذهنه فى حلها، ويخلطون عليه بما يلقون له من غايات الفنون فى مبادئها، وقبل أن يستعد لفهمها. فإن قبول العلم والاستعداد لفهمه تنشأ تدريجيًا، ويكون المتعلم أول الأمر عاجزًا عن الفهم بالجملة إلا فى الأقل، وعلى سبيل التقريب والإجمال والأمثال الحسية. ثم لا يزال الاستعداد فيه يتدرج قليلًا بمخالفة مسائل ذلك الفن وتكرارها عليه، وإذا ألقيت عليه الغايات فى البداءات وهو حينئذ عاجز عن الفهم والوعى، وبعيد عن الاستعداد له كلَّ ذهنه عنها وحسب ذلك من صعوبة العلم فى نفسه، فتتكاسل عنه وانحرف عن قبوله، وتمادى فى هجرانه، وإنما أتى ذلك من سوء التعليم. [الفصل التاسع والعشرون من «مقدمة ابن خلدون» (ص٥٣٣، ٥٣٤)].

١- ويرى الشيخ عبد القادر بن بدران أن من أسباب تنفير الطالب من العلم: الجهل بطرق التعليم فيقول: «وهذا وقع فيه غالب المعلمين، فتراهم يأتى إليهم الطالب المبتدئ ليتعلم النحو مثلًا فيشغلونه بالكلام على البسملة، ثم على الحمدلة أيامًا بل شهورًا ليوهموه سعة مداركهم، وغزارة علمهم. ثم إذا قدر له على الخلاص من ذلك أخذوا يلقنونه متنًا أو شرحًا بحواشيه وحواشى حواشيه. ويحشرون له خلاف العلماء، ويشغلونه بكلام من رد على القائل، وما أجيب به عن الرد، ولا يزالون يضربون له على ذلك الوتر حتى يرتكز فى ذهنه أن نوال هذا الفن من قبيل الصعب الذى لا

يوصل إليه». ثم ذكر صنفًا آخر من المعلمين على عكس الصنف السابق، وهم من أنزل نفسه منزلة العلماء المحققين وجلس للتعليم، فيأتيه الطالب بكتاب مطول أو مختصر، فيتلقاه منه سردًا لا يفتح له منه مغلقًا، ولا يحل له طلسمًا فإذا سأله ذلك الطالب المسكين عن مشكل انتفخ أنفه وورم، وقابله بالسب والشتم، وأشاع عنه أنه يطلب الاجتهاد. ثم قال: «ومن هؤلاء من يقول: إنما نقرأ الكتب للتبرك بمصنفيها!! [«المدخل إلى مذهب الإمام أحمد» (ص٢٦٥)].

٢- قال ابن خلدون أيضًا: «وهو لا ينبغى للمعلم أن يزيد متعلمه على فهم كتابه الذى أكب على التعلم منه بحسب طاقته، وعلى نسبة قبوله للتعليم، مبتدئًا كان أو منتهيًا. ولا يخلط مسائل الكتاب بغيرها حتى يعيه من أوله إلى آخره، ويحصِّل أغراضه ويستولى منه على ملكة بها ينفذ فى غيره، لأن المتعلم إذا حصَّل ملكة ما فى علم من العلوم استعد بها لقبول ما بقى، وحصل له نشاط فى طلب المزيد والنهوض إلى ما فوق، حتى يستولى على غايات العلم. وإذا خلط عليه الأمر عجز عن الفهم، وأدركه الكلال، وانطمس فكره ويئس من التحصيل، وهجر العلم والتعليم، والله يهدى من يشاء». ثم قال: «وكذلك ينبغى لك أن لا تطول على المتعلم فى الفن الواحد بتفريق المجالس، وتقطيع ما بينها لأنه ذريعة إلى النسيان، وانقطاع مسائل الفن بعضها من بعض، فيعسر حصول الملكة بتفريقها..، ومن المذاهب الجميلة والطرق الواجبة فى التعليم أن لا يخلط على المتعلم علمان معًا، فإنه قل أن يظفر بواحد منهما، لما فيه من تقسيم البال، وانصرافه عن كل واحد منهما إلى تفهم الآخر فيستغلقان معًا.. وإذا تفرغ الفكر لتعليم ما هو بسبيله مقتصرًا عليه، فربما كان ذلك أجدر لتحصيله والله سبحانه وتعالى الموفق للصواب. [«مقدمة ابن خلدون» (ص٥٣٤)].

٣- يرى الشيخ عبد القادر بن بدران أن الواجب على المعلم إذا أراد إقراء المبتدئين أن يقرئهم متنًا مختصرًا، ويشرح لهم ذلك المتن بلا زيادة ولا نقصان، بحيث يفهم ما اشتمل عليه، وأن يصور مسائله فى ذهنه، ولا يشغله بما زاد على ذلك. ثم ذكر عن شيخه محمد بن عثمان الحنبلى المعروف بخطيب دوما (ت ١٣٠٨هـ) أنه قال: «لا ينبغى لمن يقرأ كتابًا أن يتصور أنه يريد قراءته مرة ثانية، لأن هذا التصور يمنعه عن فهم جميع الكتاب، بل يتصور أنه لا يعود إليه مرة ثانية أبدًا». وكان يقول: «كل كتاب يشتمل على مسائل ما دونه وزيادة فحقق مسائل ما دونه لتوفر جدك على فهم الزيادة» أ هـ. ثم قال: «ولما أخذت نصيحته مأخذ القبول لم أحتج فى القراءة على الأساتذة فى العلوم والفنون إلى أكثر من ست سنين، فجزاه الله خيرًا...». [«المدخل إلى مذهب الإمام أحمد» (ص٢٦٦)].

وقال رحمه الله: «ثم إن الأولى فى تعليم المبتدئ أن يجنبه أستاذه عن إقرائه الكتب الشديدة الاختصار العسرة على الفهم ك «مختصر الأصول» لابن الحاجب، و«الكافية» له فى النحو، لأن الاشتغال بمثل هذين الكتابين المختصرين إخلال بالتحصيل لما فيهما وفى أمثالهما من التخليط على المبتدئ بإلقاء الغايات من العلم عليه، وهو لم يستعد لقبولها بعد، وهو من سوء التعليم. ثم فيه مع ذلك شغل كبير على المتعلم بتتبع ألفاظ الاختصار العويصة للفهم بتزاحم المعانى عليها وصعوبة استخراج المسائل من بينها، فينقطع فى فهمها حظ صالح من الوقت...». ثم قال: «وحاصل الأمر أن الأستاذ ينبغى أن يكون حكيمًا يتصرف فى طرق التعليم بحسب ما يراه موافقًا لاستعداد المتعلم، وإلا ضاع الوقت بقليل الفائدة، وربما لم توجد الفائدة أصلًا. وطرق التعليم أمر ذوقى، وأمانة مودعة عند الأساتذة، فمن أداها أثيب على أدائها، ومن جحدها كان مطالبًا بها». [المصدر السابق

(ص٢٦٨، ٢٦٩)].

قال الشيخ عبد الحميد بن باديس (ت ١٣٥٩ هـ): «أغلب المعلمين فى المعاهد الإسلامية الكبرى كالأزهر لا يتصلون بتلامذتهم، إلا اتصالًا عامًّا لا يتجاوز أوقات التعليم، فيتخرج التلامذة فى العلوم والفنون، لكن بدون تلك الروح الخاصة التى ينفحها المعلم فى تلميذه إذا كان للمعلم روح ويكون لها الأثر البارز فى أعماله العلمية فى سائر حياته. فعلى المعلم الذى يريد أن يكون من تلامذته رجالًا أن يشعرهم واحدًا واحدًا أنه متصل بكل واحد منهم اتصالًا خاصًّا زيادة على الاتصال العام، وأن يصدق لهم هذا بعنايته خارج الدرس بكل واحد منهم عناية خاصة فى سائر نواحى حياته حتى يشعر كل واحد منهم أنه فى طور تربية وتعليم، فى كفالة أب روحى يعطف عليه ويُعنى به مثل أبيه أو أكثر». [«ابن باديس، حياته وآثاره» للدكتور عمار الطالبي (٤/ ٢٠٢)].



طالب العلم والقول على الله بلا علم

قال تعالى مخاطبًا نبيه ﷺ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ٣٦].

وقال تعالى عن نوح عليه السلام لما سأله نجاة ابنه: ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [هود: ٤٦].

وقال تعالى معاتبًا أهل الكتاب: ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [آل عمران: ٦٦].

ففي الآية الأولى أدّب الله نبيه ﷺ بأدب عظيم، وهو الإمساك عمّا ليس له به علم، وعدم الخوض فيه، وفي الآية الثانية نهى الله نبيه نوحًا عليه السلام عن سؤال ما ليس له به علم، وفي الآية الثالثة أنكر الله على أهل الكتاب محاجتهم فيما ليس لهم به علم، وعدّ ذلك من جهالاتهم، فالواجب على من جهل شيئًا أن يمسك عن الخوض فيه، وليعلم أن هذا من مناقبه وليس من مثالبه، وقد قرر أهل العلم من السابقين واللاحقين هو خطورة هذا الباب، وهو التكلم بلا علم. وأسوق إليك قليلًا من كثير من كلامهم حول هذا البحث:

قال ابن جماعة: «إذا سئل عما لا يعلمه قال: لا أعلمه، أو: لا أدري، فمن العلم، أن يقول: لا أعلم، وعن بعضهم: «لا أدري» نصف العلم.

وعن ابن عباس رضي الله عنه: إذا أخطأ العالم «لا أدرى» أصيبت مقاتله.

وقيل: ينبغى للعالم أن يورّث أصحابه «لا أدرى»؛ لكثرة ما يقولها.

واعلم أن قول المسؤول: «لا أدرى» لا يضع من قدره، كما يظنه بعض الجهلة، بل يرفعه؛ لأنه دليل على عظم محله، وقوة دينه، وتقوى ربه، وطهارة قلبه، وكمال معرفته، وحسن تثبته، وقد روينا معنى ذلك عن جماعة من السلف، وإنما يأنف من قول: «لا أدرى» من ضعفت ديانته، وقلت معرفته؛ لأنه يخاف من سقوطه من أعين الحاضرين، وهذه جهالة ورقّة دين، وربما يشهر خطأه بين الناس، فيقع فيما فرّ منه، ويتصف عندهم بما احترز عنه.

وقد أدّب الله تعالى العلماء بقصة موسى مع الخضر عليهما السلام، حين لم يَرُدَّ موسى عليه السلام العلم إلى الله تعالى لما سئل: هل فى الأرض أعلم منك؟. [تذكرة السامع (ص٤٢- ٤٣)].

وقال الشيخ السعدى - رحمه الله - تعالى: «ومن أعظم ما يجب على المعلمين: أن يقولوا لما لا يعلمونه: الله أعلم، وليس هذا بناقص لأقدارهم، بل مما يزيد قدرهم، ويُستدل به على كمال دينهم، وتحريهم للصواب.

وفى توقفه عما لا يعلم فوائده كثيرة:

منها: أن هذا هو الواجب عليه.

ومنها: أنه إذا توقف وقال: الله أعلم، فما أسرع ما يأتيه علم ذلك من

مراجعته أو مراجعة غيره؛ فإن المتعلم إذا رأى معلمه قد توقف؛ جدّ واجتهد في تحصيل علمها وإتحاف المعلم بها، فما أحسن هذا الأثر!

ومنها: إذا توقف فيما لا يعرف؛ كان دليلًا على ثقته وأمانته وإتقانه فيما يجزم به من المسائل، كما أن من عُرف منه الإقدام على الكلام فيما لا يعلم؛ كان ذلك داعيًا للرَّيب في كل ما يتكلم به، حتى في الأمور الواضحة.

ومنها: أن المعلم إذا رأى منه المتعلمون التوقف فيما لا يعلم؛ كان ذلك تعليمًا لهم وإرشادًا لهذه الطريقة الحسنة، والاقتداء بالأقوال والأعمال أبلغ من الاقتداء بالأقوال. [الفتاوى السعدية (ص٦٢٨- ٦٢٩)].

قال الإمام ابن مفلح - رحمه الله - تعالى:

فصل في قول العالم: لا أدرى، واتقاء التهجم على الفتوى، ثم قال: قال ابن عباس رضي الله عنه: إذا ترك العالم «لا أدرى» أصيبت مقاتله. وكذا قال على بن الحسين.

وقال مالك: كان يقال: إذا أغفل العالم «لا أدرى» أصيبت مقاتله.

وقال أيضًا: كان رسول الله ﷺ إمام المسلمين وسيّد العالمين يُسأل عن الشيء، فلا يجيب حتى يأتيه الوحى من السماء.

وقال الشعبي: «لا أدرى» نصف العلم.

وصحّ عن ابن عمر رضى الله عنهما: العلم ثلاثة: كتاب ناطق، وسنّة ماضية، ولا أدرى.

وبإسناد حسن عن على بن أبي طالب رضي الله عنه قال: مِن عِلْمِ الرجل أن يقول

لما لا يعلم: الله أعلم؛ لأن الله عز وجل قال لرسوله ﷺ: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ۝٨٦﴾ [ص: ٨٦].

وقال أحمد في رواية المروذي: ليس كل شيء ينبغي أن يتكلم فيه، وذكر أحاديث النبي ﷺ، كان يُسأل فيقول: لا أدري، حتى أسأل جبريل.

وقال سفيان: من فتنة الرجل إذا كان فقيهًا: أن يكون الكلام أحبّ إليه من السكوت.

وقال المروذي: قلت لأبي عبد الله: العالم يظنونه عنده علم كل شيء!

فقال: قال ابن مسعود رضي الله عنه: إن الذي يفتي الناس في كل ما يستفتونه لمجنون.

وعن علي رضي الله عنه تعالى عنه قال: خمس لو سافر الرجل فيهن إلى اليمن لكُنّ عوضًا عن سفره: لا يخشى عبد إلا ربه، ولا يخاف إلا ذنبه، ولا يستحي من لا يعلم أن يتعلم، ولا يستحي من تعلّم إذا سئل عما لا يعلم أن يقول: الله أعلم، والصبر من الدين بمنزلة الرأس من الجسد، وإذا قطع الرأس توى الجسد.

وقال القاسم وابن سيرين: لأن يموت الرجل جاهلًا خير له من أن يقول ما لا يعلم.

وقال سعيد بن جبير: ويل لمن يقول لما لا يعلم: إني أعلم.

وقال مالك: من فقه العالم أن يقول: لا أعلم؛ فإنه عسى أن يهيأ له الخير. [الآداب الشرعية (٢/ ٦٤ إلى ٦٩) باختصار].

وقال الغزالى: لو سكت من لا يعرف؛ قَلّ الاختلاف، ومن قصر باعه وضاق نظره عن كلام علماء الأمة والاطلاع عليه، فما له وللتكلّم فيما لا يدريه، والدخول فيما لا يعنيه؟ وحق مثل هذا أن يلزم السكوت. [الحاوى للفتاوى (٢/ ١١٦)].

وقال مالك - رحمه الله - تعالى: وينبغى للمرء أن لا يتكلم إلا فيما أحاط به خُبرًا. [التراتيب الإدارية (١/ ٤٠٤)].

وقال السيوطى - رحمه الله - تعالى: «... رد الجواب على من عَلِمَه فرض، كما قال الله لآدم: ﴿أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ﴾، والسؤال عما من لا يعلم فرض، قال الله تعالى: ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [«الحاوى للفتاوى» (١/ ٢٨٤- ٢٨٥)].

وعن ابن عمر رضى الله عنهما أنه سأله أعرابى: أترث العمّة؟

فقال: لا أدرى، قال: أنت لا تدرى؟! قال: نعم، اذهب إلى العلماء فاسألهم.

وسأل رجل عمرو بن دينار عن مسألة فلم يجبه، فقال الرجل: إنَّ فى نفسى منها شيئًا فأجبنى، فقال: إن يكن فى نفسك منها مثل أبى قبيس أحبّ إلى من أن يكون فى نفسى منها مثل الشعرة.

وقال ابن مهدى: سأل رجل مالك بن أنس عن مسألة، فطال ترداده إليه فيها، وألحّ عليه، فقال: ما شاء الله، يا هذا، إنى لم أتكلّم إلا فيما أحتسب فيه الخير، ولست أحسن مسألتك هذه. [الآداب الشرعية (٢/ ٦٤- ٦٩)].

وقال محمد بن عبد الحكم: سألت الشافعي - رحمه الله - تعالى عن المتعة: أكان فيها طلاق أو ميراث أو نفقة تجب أو شهادة؟ فقال: والله ما ندري. [تذكرة السامع (ص٤٢)].

ولما تكلم الإمام الذهبي - رحمه الله - تعالى عن عُمُرِ سلمان الفارسي رضي الله عنه قال ما نصه: «وما أراه بلغ المائة، فمن كان عنده علمٌ فليفدنا، وقد نقل طول عمره أبو الفرج بن الجوزي وغيره، وما علمت في ذلك شيئًا يركن إليه. . .، وقد ذكرت في تاريخي الكبير أنه عاش مائتين وخمسين سنة! وأنا الساعة لا أرتضي ذلك ولا أصححه» [«سير أعلام النبلاء» (١/ ٥٥٦)].

قال أبو إسحاق: بلغني أن رجلًا جاء إلى عمرو فقال: عليّ رقبة من ولد إسماعيل، فقال: ما أعلمها إلا الحسن والحسين، قلت - أي الذهبي -: ما فهمته. [سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٨٦)].

قال ابن عيينة: كان أبو الحصين إذا سُئل عن مسالة قال: ليس لي بها علم، والله أعلم. [تهذيب التهذيب (٧/ ١٢٧)].

وأورد ابن كثير أثرًا عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في تفسير قوله تعالى: ﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم﴾ [النساء: ٢٣]. ثم قال ابن كثير: وحكى لي شيخنا الحافظ أبو عبد الله الذهبي: أنه عرض هذا على الشيخ الإمام تقي الدين ابن تيمية فاستشكله وتوقف في ذلك، والله أعلم. [تفسير ابن كثير (١/ ٤٩٨)].

وقال القاسم بن محمد: وكنت أجالس البحر ابن عباس، وقد جلست مع أبي هريرة وابن عمر رضي الله عنهم فأكثرت، فكان هناك - يعني ابن عمر - ورع

وعلم جمّ، ووقوف عما لا علم له به. [«سير أعلام النبلاء» (٥/ ٥٥)].

ومن ذلك اعتراف الذهبي بعدم معرفته. [«انظر سير أعلام النبلاء» (١٣/ ٤١) مع الحاشية (١٣/ ١٥٨)]، مستفاد من «معالم فى طريق طلب العلم» (ص٢٠١ - ٢١٣).

وهذا الشيخ العلامة الفقيه المفسر الأصولى محمد الأمين وهو من هو علمًا وفضلًا ومع ذلك فقد كان من آخر ما كان عليه الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ التجافى الشديد والحذر من الفتوى فى غير مواقع النصوص، وتوقفه وعدم جزمه بالترجيح فى المسائل التى ليس فيها نصوص واضحة من الكتاب والسنة، وحرصه الشديد على التميز لطالب العلم بين مواقع النصوص وغيرها من المسائل الاجتهادية.

قال الشيخ عطية فى ترجمته ما نصه: «ومما لوحظ عليه فى سنواته الأخيرة تباعده عن الفتيا، وإذا اضطر؛ يقول: لا أتحمل فى ذمتى شيئًا، العلماء يقولون كذا وكذا».

وسألته مرة عن ذلك، فقال: إن الإنسان فى عافية ما لم يبتل، والسؤال ابتلاء؛ لأنك تقول عن الله ولا تدرى أتصيب حكم الله أم لا؟ فما لم يكن عليه نصٌ من كتاب الله أو سنة رسول الله ﷺ وجب التحفظ فيه. ويتمثل بقول الشاعر:

إذا ما قتلت الشيء علمًا فقل به ... ولا تقل الشيء الذى أنت جاهله

فمن كان يهوى أن يُرَى متصدِّرًا ... ويكره «لا أدرى» أصيبت مقاتله

وقد أخبرنى ابنه عبد الله، وكذلك تلميذه الشيخ محمد الخضر بن الناجى الشنقيطي؛ كل منهما على انفراد؛ قال:

«جاءه وفد من الكويت فى أواخر حياته رَحِمَهُ ٱللَّهُ فسألوه فى مسائل، فقال: أجيبكم بكتاب الله ثم جلس مستوفزًا، وقال: الله أعلم، ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ لا أعلم فيها عن الله ولا عن رسوله ﷺ شيئًا، وكلام الناس لا أضعه فى ذمتى، فلما ألحوا عليه، قال: فلان قال كذا، وفلان قال كذا، وأنا لا أقول شيئًا».

وفى شوال أو ذى القعدة من عام ثلاث وتسعين وثلاث مئة وألف وهى السنة التى توفى فى آخرها بعد أن رجع من جلسة هيئة كبار العلماء بالرياض، وكان قد نوقش فيها السعى فى الدور الثانى بين الصفا والمروة؛ يقول ابنه عبد الله:

«وجدته جالسًا فى البيت منفردًا، فلما دخلت عليه؛ قال: الحمد لله الذى نحن رائحون عن هذا الزمن»، وكان له رَحِمَهُ ٱللَّهُ رأى فى مسألة السعى بالدور الثانى بالمسعى.



أمثلة لشحذ الهمة

الهمة هى القوة الدافعة لطالب العلم فى مسيرته، وقد صنف فيها عدد من أفاضل أهل العلم، وأكتفى هنا بذكر أمثلة تشحذ الهمم وتعليها، وأذكرها؛ لأنها تعين على ترك اليأس والقنوط، وعلى عدم احتقار الذات؛ لأن بعض الناس يقنِّط نفسه ويثبطها، ويجعل لليأس طريقًا ومسلكًا إلى نفسه، وقد سبق ذكر هذا، فعلى الإنسان أن يكثر من قراءة سيرة السلف؛ ففيها خير عظيم؛ لتعرف قدر نفسك واهتمامك وحرصك، ولا تحقرن شيئًا؟ فقد أعطاك الله عقلًا وجوارح تعينك على مقصدك.

فكن رجلًا رِجلُه فى الثرى وهامَةُ همّته فى الثُريا

فلا تحقرن من المعروف شيئًا؛ فإن بعض الناس تشحذ همَّتهم كلمة واحدة وتفعل فى نفوسهم الأفاعيل، وأذكر لك أمثلة ثلاثة على تأثير الكلمة الواحدة:

١- **كتاب البخارى: الصحيح** أصح كتاب فى الإسلام بعد القرآن الكريم، هذا الكتاب الذى إذا خَرَّجَ لأحد من الرواة رواية فيه فقد جاوز القنطرة، وإذا قيل: رواه البخارى؛ يقع فى النفس هيبة له، ما سبب تأليفه؟ إنها كلمة واحدة فى مجلس واحد، وقعت فى آذان البخارى، فيسر الله له تأليف هذا الكتاب الذى رفع منزلة البخارى فى طبقة عالية، فلقد ذُكر لتأليفه الصحيح ثلاثة أسباب.

أشهرها: أنه كان فى حلقة إسحاق بن راهويه فقال: لو أن أحدكم يجمع كتابًا فيما صح من سنة الرسول ﷺ جملة واحدة» قالها إسحاق، فوقع ذلك

فى نفس البخارى فصنف هذا الكتاب العظيم الذى أصبح أصح كتب السنة على الإطلاق. [«هدى السارى» (ص٩)].

٢- **الإمام الذهبى**: هذا الإمام الفحل، الذى يقول عنه السُّبكى: «أما أستاذنا أبو عبد الله فبصرٌ لا نظير له، وكنز هو الملجأ إذا نزلت المعضلة، إمام الوجود حفظًا، وذهب العصر معنىً ولفظًا، وشيخ الجرح والتعديل، ورجل الرجال فى كل سبيل، كأنما جمعت الأمة فى صعيد واحد فنظرها، ثم أخذ يخبر عنها إخبار من حضرها. [سير أعلام النبلاء (١/ ١٦٩) من المقدمة].

سبب طلبه لعلم الحديث كلمة واحدة يقول هو بنفسه عن الإمام البرزالى: أنه لما رأى خطّه، قال له: «إن خطك هذا يشبه خط المحدثين» قال: فحبب الله إلَّى علم الحديث. [«سير أعلام النبلاء» (١/ ٣٦)].

فانظر ماذا فعلت هذه الجملة فى الإمام الذهبى؟! فقد صار من أئمة الحديث وحفّاظه ونقاده.

٣- ما ذكره محمد بن نصر فى «مختصر قيام الليل» قال: وكان صلة بن أشيم يخرج إلى الجبان يتعبَّد، فكان يمر على شباب يلهون ويلعبون فيقول لهم: أخبرونى عن قوم أرادوا سفرًا فجاروا النهار عن الطريق وناموا الليل، متى يقطعون سفرهم؟! فكان كذلك... يمر بهم فيقول لهم: فمر بهم ذات يوم، فقال لهم هذه المقالة، فانتبه شابٌ منهم فقال: يا قوم إنه والله ما يعنى غيرنا، نحن بالنهار نلهو وبالليل ننام، ثم اتبع صلة فلم يزل يختلف معه إلى الجبان فيتعبد معه حتى مات. [مختصر قيام الليل (ص٣٧)].

إذن لا تحقرن من المعروف شيئًا؛ فربما تقرأ كتابًا صغيرا ً أو تحضر

مجلس علم لطالب علم صغير، فتسمع كلمة تحدث فى نفسك أمرًا لا تعلم مداه، فتحصّل خيرًا كثيرًا من العلم.

ثم أذكر لك شيئًا من الأمثلة على همّة بعض العلماء؛ علّها أن تشحذ هممنا وتزكى نفوسنا:

١- **شيخ الإسلام ابن تيمية**: كلنا يعرفه، فقد ذُكر عنه - رحمه الله - من قوة همّته: أنه كان إذا أعيته مسألة ما، لم يقر له قرار حتى يجد بغيته، وذكر عن نفسه فى آخر «تفسير سورة النور» قال: إن جميع ما فى القرآن من آيات الصفات فليس عن الصحابة اختلاف فى تأويلها، وقد طالعت التفاسير المنقولة عن الصحابة وما رووه من الحديث، ووقفت من ذلك على ما شاء الله تعالى من الكتب الكبار والصغار، وأكثر من مائة تفسير، فلم أجد إلى ساعتى هذه عن أحد من الصحابة، أنه تأول شيئًا من آيات الصفات، أو أحاديث الصفات بخلاف مقتضاها المفهوم المعروف. [تفسير سورة النور (ص٢١٠)].

٢- **الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى**: هذا الرجل عجيب أمره، لو قُسمت الأوراق التى كتبها على عمره منذ أن خُلق، لأصبح مقدار ما يكتبه كل يوم ستين ورقة أو أكثر! وهذا عجيب. ولقد أشار على تلاميذه أن يكتبوا تاريخ الإسلام أو تفسير القرآن، فأمر بإحضار ثلاثين ألف ورقة! فقالوا: هذه مدة تنقطع دونها رقاب المطيّ.

فقال لهم معاتبًا: الله أكبر! ماتت الهمم، أحضروا ثلاثة آلاف ورقة!!. [«تذكرة الحفاظ» (٢/ ٧١٢)].

٣- **الإمام النووى**: وأمره عجيب أيضًا، فقد كان عمره عند موته قرابة

خمس وأربعين سنة، وله فى المكتبات ما يقارب عشرين مجلدًا وأكثر، ومع هذا كان يحضر فى اليوم اثنى عشر درسًا، وله شرح على «صحيح مسلم»، وله تهذيب الأسماء واللغات، وروضة الطالبين، والمجموع، ولعله يعد عند الشافعية كالمغنى عند الحنابلة، فضلًا عن الرسائل الصغيرة ورياض الصالحين، والأذكار، والأربعين وغيرها.

٤- **الإمام الحافظ أبو الفضل أحمد بن حجر العسقلانى**: صاحب «فتح البارى فى شرح صحيح البخارى»، وقد كان شرح البخارى دينًا على الأمة حتى وفى به الحافظ، قال ابن خلدون: إن شرح البخارى إلى الآن دين على هذه الأمة.

قال أبو الخير السخاوى: لو أن ابن خلدون رأى شرح البخارى لابن حجر لقرَّت عينه ولعلم أن الدين قد وُفِّى حق الوفاء [«سيرة الإمام البخارى» (ص١٢٣)].

هذا الإمام كُتُبُهُ بالعشرات، ومع هذا كله كان متفرغًا للتدريس والفتاوى وللخطابة، وكانت همته عالية حتى أنه ذكر عن نفسه أنه تتبع طرق حديث «**إنما الأعمال بالنيات**» [رواه البخارى ومسلم] فى أكثر من مائة جزء، كما ذُكر عنه: أنه قرأ «معجم الطبرانى الصغير» فى جلسة ما بين الظهر والعصر! إنها همة شحذها وعود نفسه عليها فنفعته - بعد توفيق الله تعالى - بقية دهره.

٥- **الإمام الجليل محمد بن شهاب الزهرى**: نسبة إلى بنى زُهرة من قريش -: يقول الحافظ ابن حجر فى «التقريب»: «متفق على جلالته وإتقانه» وقال الشيخ مقبل الوادعى: أصاب ابن تحجر وأحسن فى اختيار هذه العبارة: متفق على جلالته وإتقانه؛ لأن الحافظ بهذا طرح جميع الأقوال

الشاذة والضعيفة التى تشير إلى قدح فى الزهرى رحمه الله.

هذا الإمام - الزهرى - يقولون عنه: كان يأتى إلى العجائز والأشياخ، والصبيان وذوات الخدور، والصغير والكبير، فيسألهم ويباحثهم، حتى حوى علمًا عظيمًا. [«بستان العارفين» للنووى (١١٤/ ١١٥)].

٦- **أبو العلاء الحسن بن أحمد**: قال أبو الفضل بن نبهان الأديب: رأيت الحافظ أبا العلاء فى مسجد من مساجد بغداد وهو قائم على رجليه؛ لأن السراج كانت عالية. [«ذيل طبقات الحنابلة» (١/ ٣٢٦)].

وهذه همَّة عجيبة جعلت صاحبها من مشاهير علماء الإسلام، وما أتى له هذا العلم بالتمنى والتحلى، ولكن بشىء وقر فى القلب وصدّقه اللسان والجوارح.

٧- **الأنماطى «محدث بغداد»**: من همّته - رحمه الله -: أنه كان ينسخ كتب العلم الكبار، فنسخ كتاب «الطبقات» لابن سعد، ونسخ كتاب «تاريخ بغداد» [«تذكرة الحفاظ» (٤/ ١٢٨٣)].

ولو جمعنا أجزاء هذين الكتابين لتثاقل - أو لعجز - كثير منا عن حملها، فكيف بمن كتبها ورتبها وهذّبها؟

٨- **الإمام المزنى**: من همته - رحمه الله -: أنه قرأ كتاب الرسالة فى أصول الفقه للشافعى، خمسين مرة. [انظر: مقدمة محقق «الرسالة» للشافعى (ص٤)].

٩- **عبد الله بن محمد «فقيه العراق»**: طالع كتاب «المغنى» ثلاثًا وعشرين مرة. [«ذيل طبقات الحنابلة» (٢/ ٤١١)].

١٠- **الحر بن عبد الرحمن**: قال: طلبت إعراب القرآن خمسًا وأربعين سنة، أو أربعين سنة. [«التاريخ الكبير» (٣/ ٨٢)].

١١- **إبراهيم الحربى**: قال أبو العباس ثعلب: ما فقدتُه فى مجلس نحو ولا لغة نحوًا من خمسين سنة. خمسون سنة وإبراهيم الحربى يتردد على حلقات العلم، حتى بلغ فى العلم والمنزلة أن شبهه بعض أصحابه بالإمام أحمد - رحمه الله -. [«طبقات الحنابلة» (١/ ٨٩)].

١٢- **محمد بن أحمد بن قدامة**: كَتَبَ بخطه أشياء كثيرة: فكتب تفسير البغوى، والمغنى، وحلية أبى نعيم، والإبانة لابن بطة، والخرقى، وكتب مصاحف كثيرة. [«ذيل طبقات الحنابلة» (٢/ ٥٣)].

١٣- **إبراهيم الجوهرى** يقول الجوهرى: كل حديث لا يكون عندى من مائة وجه فأنا فيه يتيم. [«تذكرة الحفاظ» (٢/ ٥١٦)].

فهو يرحل لأبى الطلب والتتبع والاستقراء والسبر حتى يجمع أكبر قدر من الطرق.

١٤- **أبو الحصين الأسدى**: كان يبذل نفسه للتعليم، فقد جلس خمسين سنة فى مسجد واحد يُعلِّم الناس ويُفقههم فى دين الله. [«تهذيب التهذيب» (٧/ ١٢٧)].

ولم تفتر له عزيمة، ولم تُكسر له قناة، وليس هذا بغريب، فإذا اجتمع صدقُ النية وبذل السبب؛ يسر الله ما كان عسيرًا، وقرب ما كان بعيدًا.

١٥- **خلف بن هشام**: قال حمدان بن هانئ المقرى: سمعته يقول: أشكل علَّى باب من النحو، فأنفقت فيه ثمانية آلاف درهم حتى حذقته. [«معرفة

القراء الكبار» (١/ ١٧٢)، و«سير أعلام النبلاء» (١/ ٥٧٨)].

ولم يتهاون به؛ لأنه عِلمٌ، فلهذا لا تتهاون بمسألة مرت عليك دون أن تحاول فهمها، ولو لم يكن من ذلك إلا أنْ تُعوِّد نفسك الحرص والبحث عما لم تفهمه لكفى، وقد يأتيك همّ وغمّ إذا مرت عليك مسالة أو مر عليك بحث لم تفهمه، فهذا الهمّ الذى فيك بحد ذاته نعمة؛ لأنه يدلّ إن شاء الله على حُرْقةٍ من عدم تحصيل هذه المسألة.

١٦- **أبو الوفاء بن عقيل الحنبلى**: ذكر الذهبى فى كتاب «معرفة القراء الكبار» أنه ألّف كتاب «الفنون» وقد بلغ أربعمائة وسبعين مجلدًا! [«معرفة القراء الكبار» (١/ ٣٨٠)].

وهذا ليس مستحيلًا؛ لأنه كان يكتب فى هذا الكتاب ما يعلق بذهنه من الشوارد والفرائد والفوائد، مما يحضر أو مما يقرأ أو مما يسمع من الدروس والتعليقات.

١٧- **زيد بن الحسن الكندى**: ذكر الذهبى أنه قرأ بالقراءات العشر وعمره عشر سنين! قال الذهبى: وما علمت هذا وقع لأحد أصلًا. [«معرفة القراء الكبار» (٢/ ٤٦٨)].

وأنا قد رأيت بعض الشبيه يقرؤون بعض الآيات بأكثر من قراءة بعد أن قرأوا القرآن بقراءة حفص عن عاصم، القراءة التى نقرأ بها هنا، وهذا ليس بعجيب، وليس بعزيز، فلا تحقرن نفسك، واستعن بالله ولا تعجز.

والمصيبة: أن بعضنا هو الذى يثبط نفسه، وهذه الأمثلة أسوقها حتى تكون سببًا فى شحذ الهمم، والإنسان إذا ما قرأ مثل هذه الأمثلة علم أنه بشر يستطيع أن يحصِّل كما حصلوا، بل ربما أكثر مما حصلوا.

١٨- قالون: هذا الرجل بلغ حفظه للقرآن مبلغًا عظيمًا (وكان له حلقة فيُقرأ عليه) فمن ذلك ما قال على بن الحسن الهسنجانى: «كان شديد الصَّمم فكان ينظر إلى شفتى القارئ ويرد!» وهكذا ذكر النقلة. [«سير أعلام النبلاء» (١٠/ ٣٢٧)، «معرفة القراء الكبار» (١/ ١٢٩)].

١٩- عمرو بن ميمون قال الذهبى: وكان يقول: لو علمت أنه بقى علىّ حرف من السنة باليمن لأتيتها. قلت: [أى: الذهبي]، هذه الدعوى تدل على سعة علمه. [«سير أعلام النبلاء» (٦/ ٣٤٦)، «تهذيب الكمال» (٨/ ١٠٨)].

٢٠- سعيد بن عبد العزيز قال: كنت أجلس بالغدوات إلى ابن أبى مالك، وأجالس بعد الظهر إسماعيل بن عبيد الله، وبعد العصر مكحولًا. [«سير أعلام النبلاء» (٨/ ٣٣)]. فكل وقته مشغول بالطلب والتحصيل.

وقد ترد شبهة وهى: أن أوقاتنا مشغولة بأمور لابد منها، ولكن سبق أن ذكرت لك - يارعاك الله - أنك لو فتشت الساعات التى لا تُشغل فيها يومك فسترى أن هناك وقتًا لو استغللته بالطلب والتحصيل - بل والله لو استغللت نصفه، والنصف كثير - لرأيت أنك تحصِّل علمًا كثيرًا فى وقت قليل، والموفق من وفقه الله.

٢١- نعيم المجمر: جالس الصحابى الجليل أبا هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عشرين سنة متوالية، فأصبح من أخص تلاميذه. [«سير أعلام النبلاء» (٥/ ٢٢٧)].

٢٢- عبد الله بن نافع: جالس الإمام مالكًا خمسًا وثلاثين سنة. [«سير أعلام النبلاء» (٨/ ١٠٨)].

٢٣- الإمام إسماعيل الجرجانى: كان يكتب كل ليلة تسعين ورقة بخط

دقيق [«سير أعلام النبلاء» (١٣/ ٥٤)].

أى: أنه كان متأنيًا فى الكتابة، قال الذهبى: هذا يمكنه أن يكتب صحيح مسلم فى أسبوع.

أخى طالب العلم:

لقد تيسرت لنا وسائل وأمكنة وأزمنة وصحة وعافية قد حُرِمها قبلنا كثير، وحرمها الآن أيضًا كثير من الناس، فلا تفرط، فربما ترى بعد حين بعض أقرانك الذين أنت معهم، قد بلغوا منزلة رفيعة فى العلم، وأنت لا تزال فى أول الطلب، وهذا يعود - بعد الإخلاص لله - إلى الهمة والعزيمة.

ولقد أخبرنى أحد الإخوة بشيء من هذا فقال - بما معناه -: كنت أعرف فلانًا وفلانًا، صبية صغارًا يلعبون الكرة فى الشوارع، فكنت أنهاهم عن اللعب وقت الصلاة، يقول: حتى رأيتهم من بعدُ من طلبة العلم، وممن حووا علمًا كثيرًا، حتى إن بعضهم إذا أظلنا سقف واحد فألقى كلمة، أكون عنده كالعامى وكالجاهل، مع أنى أكبر منه سنًّا، وأقدم منه التزامًا فى هذا الطريق! لا يقول هذا من باب الحسد، ولكن من باب الغبطة.

وبكل حال: ما أحسن ما روى عن الإمام مالك - رحمه الله - تعالى: بأن العلم لا يأتى بالوراثة، ولا بالنسب، ولا بالحسب، ولكنه منح إلهية وعطايا ربانية، يتفضل الله بها على من يشاء من عباده. أو كما ورد عنه - رحمه الله تعالى -.

فحذارِ حذارِ من احتقار الذات، وحذرا حذار من دخول الضعف

والخور إلى النفوس، الله الله في الإخلاص والتشمير عن ساعد الجد لاستغلال ما نستطيع من الثواني والدقائق في التحصيل، سواءً سماعًا أو قراءةً أو حضورًا، وأنت تستطيع - ولله الحمد - أن تُسخِّر نفسك في طلب العلم.

فهذه الوسائل متوفرة: فالحلقات كثيرة، والكتب كثيرة، والأشرطة السمعية كثيرة، والبلاد التي تضم لفيفًا من طلاب العلم والمشايخ فتحوا صدورهم قبل بيوتهم. فلا تفرط في هذه الأمور، واستغل ما تستطيع، وسترى أنك تزداد علمًا بفضل الله تعالى. [«مستفاد من معالم في طريق طلب العلم» (ص٨١ - ٩١)].



حسن البيان:

قال تعالى حاكيًا عن موسى : ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾﴾ [طه: ٢٧، ٢٨].

وقال: ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾﴾ [القصص: ٣٤].

وقد امتن الله تعالى على الإنسان بتعليمه البيان فقال: ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾﴾ [الرحمن: ٤].

من سمة الفقيه بيانه، وحسن عبارته وسهولتها:

اعلم - رحمنا الله وإياك - أن العلم الشرعى هو فى الذورة من المكانة والشرف، والمعانى الشريفة لابد من صوغها فى الألفاظ الشريفة.

ولهذا كان الفقهاء فى السابق يبدؤون بتعليم الصغار بعد القرآن، النحو ويحفظونهم شيئًا من الشعر والنثر يقومون به ألسنتهم، ويطرقون مسامعهم بالألفاظ الحسنة والجمل البليغة، فيعتادون سماع الفصيح والاستئناس به وفهمه والطرب للبيان الأدب.

ومن هنا تعرف السبب فى انصراف الكثير من طلبة العلم عن كتب الأسبقين، وهو استيحاشهم من ألفاظهم، وصعوبة تعابيرهم على فهوم اعتادت سماع العامية، والقراءة بالسافل من التعبير والنازل من البيان.

ولهذا كان من الواجب على طالب الفقه أن يجعل جزءًا كبيرًا من همه الرياضة والدّربة على مطالعة الكتب الصفراء، [هذه حكاية حال فحسب لا ذم، وللدكتور محمود الطناحى كلام عالٍ فى مجموع مقالاته عن هذه الكتب ودلالتها الحضارية] والتعب فى فهمها، وتحليل ألفاظها.

ولا بأس بالاستعانة على ذلك بالرجوع لأهل العلم، بل إن هذا هو عملهم فى الحقيقة، شرح ألفاظ الكتب وبيان معانيها وما تحويه من العلم.

ثم إذا عرف الطالب ألفاظهم ومرادهم وتدرّب على ذلك انطلق وحده فى الانتفاع بتلك المصادر التى هى فى واقع الأمر خزائن ومواريث تركها لنا السلف وقل عليها الطلب، فطوبى لمن نال منها حظًا، واكتسب منها علمًا.

والقصد من هذا أن يتعلم الفقيه لغة الفقه والفقهاء، فإن للفقهاء لغة لا يحسنها فهمًا وتفهيمًا من لم يستغرق الوقت فى مطالعة كتبهم وحواراتهم ومناظراتهم المختصر منها والمطول.

وقد كان الفقهاء يتبارون فى تأليف المختصرات كدلالة على البراعة فى ضم المسائل الكثيرة فى الجمل المختصرة، حتى خرج الحال بكثير منهم إلى الإغلاق والغموض فى العبارات مما يحتاج الطالب معه إلى دقائق علم النحو والبلاغة ليستطيع فهم بعض تلك المختصرات قبل أن يعرف ما فيها من المسائل.

غير أن الحق يُقال: إن فى ذلك دربة كبيرة للمتفقه على تعلم لغة الفقه وتحريك غريزة الفهم والتفكر لديه، فيصبح له ملكة على الفقه فى مدلول الكلام وما تحويه العبارة من العلم والفقه، ويتمرس على صعب الكلام وسهله، فلا تمنعه العبارات والجمل القوية من القراءة، ولا تصده الإشارة

والرمز عن الاستمتاع بتحليل المسائل والغوص فى أعماق مواضيع الفقه، وإدراك أغوارها.

ومن شأن الفقيه أن يتنوع بتنوع من يتعامل معهم، فللعلماء لغتهم، ولطلاب العلم لغتهم، ولعامة الناس لغته، وللمناطقة لغتهم، كما أن للمتكلمين لغتهم، وأخيرًا للفكر الحديث لغته وأدواته، وكلّما كان الفقيه بصيرًا بأساليب الآخرين وألفاظهم واصطلاحاتهم كلما كان أشمل وأعمق وأقدر على مجاراة الآخرين نفعًا لهم إن كانوا مجالًا للدعوة أو دفعًا لهم إن كانوا أصحاب فتنة وشر.

وللحق فإن حسن البيان تزداد حاجة الفقيه إليه، كلما كان أكثر انفتاحًا واجتهادًا فى الحور والدعوة إلى الله تعالى، ويحتاج حينها لبيان من نوع آخر، وهو إتقان لغة الخطاب، وأعجب بشيخ الإسلام - رحمه الله -، اقرأ له عند جدله للمناطقة: لا تحسب إلا أنه من كبارهم، ومن واضعى علم المنطق.

لا أقصد علمه بمقدمات المنطق صحيحها من سقيمها: وإنما أقصد استعماله لألفاظهم وبراعته فى توظيف جملهم وكلماتهم فى إيصال الحق الذى يريد دعوته إليه، وهم الذين تمرسوا وتعمقوا فى لغة المناطقة وألفاظهم حتى أصبح يستعسر عليه الحوار باللفظ العربى الفصيح الذى تعرفه العرب من وضعها ولسانها.

وإذا قرأت له فى السلوك وأحوال القلوب لا تقول إلا أنه شيخ طريقتهم: فتراه يستعمل ألفاظ من مثل: صاحب الحال، شيوخ الطريق، السالكين، الفناء، السّكر، ونحو هذا ويصحح المعنى لكل لفظ، ويوظف تلك الألفاظ لبيان الحق الذى يريد دعوة هؤلاء القوم إليه.

وإذا تكلم فى الفقه والأصول قلت: هو من أصحاب الأوجه فلا يقول إلا: قال أصحابنا وقال أحمد وهو وجه، وتلك رواية، وهذا يتخرج على ذلك ونحو هذا من عبارات الفقهاء.

وإذا تكلم بشخصية المجتهد، وأخذ فى دلالات الكتاب والسنة وأقوال الصحابة، قلت: هذا هو المجتهد المطلق.

والحق الذى يصل إليه فى كل هذا واحد، وإنما نوّع عبارته بحسب حال من يتكلم معهم وإليه، وهكذا فليكن الفقه فى الدعوة والبيان، فإن البيان إنما كان بيانًا لبيانه مراد المتكلم بكلامه على أحسن وجه، وهذا أمر نسبى بحسب المستمع، فكلّما ناسب الكلام حاله كان أكثر بيانًا له.

بل إنك تطالع فى فتاويه المسائل التى لا تزيد فى جوابها عن السطر فى مكان، ويبلغ بها عشرات الصفحات فى مكان آخر، وهذا فيما يظهر بحسب حال المستفتى وحاجته للبيان، فليس العامى الذى يريد الحكم ولا يحسن فهم الاستدلال، كحال طالب العلم الذى يبحث عن القول بدليله وتعليله.

والشاهد أن الفقيه لابد أن يملك من أدوات البيان ما يعينه على إيصال فكرته للآخرين، وإلا فبحسب نقص بيانه ينقص النفع بعلمه وفقهه.

والبيان نوعان: بين لسان، وبيان كتاب.

فمن الناس من بيانه بلسانه خطابة، وتدريسًا، وموعظة، ومجادلة.

ومن الناس من بيانه ببنانه، فإذا صنف صنف، وإذا بحث بحث، وانتفع الناس به، فلا ينبغى للفقيه أن يوقف نفيه عن أحدهما إن نشط وبرع فى

الآخر، ومن كمل فيه النوعان فذلك المبرز.

وبعض المصنفين من البارزين كان عيى اللسان لا يكاد يبين، فسيبويه إمام النحو وحجة العرب كما وصفه الذهبي - رحمه الله - في ترجمته. قيل: كان فيه مع فرط ذكائه حبسة في عبارته، وانطلاق في قلمه. [السير (٨/ ٣٥٢)].

والجبائى المعتزلى كان صاحب تصنيف وقلم، وقدره على التأليف، إلا أنه لم يكن قويًا فى المناظرة، فكان إذا عرضت له مناظرة قال لأبى الحسن الأشعرى نُب عنى. طبقات الشافعية الكبرى (٣/ ٣٤٩)].

وننبه أخيرًا إن نقص بيان الفقيه إنما يكون عيبًا إذا كان بحيث لا يفهم، فهذا حده الأدنى، وما زاد ففضل.

ذكر ابن أبى حاتم أن محمد بن كعب القرظى قال له بعض قرابته: ما بك بأس لولا أنك تلحن فى كلامك، ولست تعرب فى قراءتك؟ فقال له القرظى: يا ابن أخى ألست أفهمك إذا حدثتك؟ قال: نعم.

قال: فإن موسى عليه السلام إنما سأل ربه أن يحل عقدة من لسانه كى يفقه بنوا إسرائيل كلامه ولم يزد عليها. [تفسير ابن أبى حاتم (٧/ ٢٤٢١)].

مطلب: لغة الخطاب فى العصر الحاضر

تتأثر الأوساط العلمية والثقافية إلى حدّ بعيد باللغة التى تُخاطب بها: وأنا أتكلم عن لغة المصطلحات والألفاظ والتراكيب.

يعلم الجميع: أن الفقهاء لهم لغة خاصة، وأن المناطقة والمتكلمين لهم لغة خاصة، والمتصوفة لهم لغة خاصة، ولعل شخصًا من غيرهم لا يتمكن من الوصول لمرامى المتكلمين بجمهلم الخاصة إلا إذا أتقنها ولو فى العموم.

ولذلك لا تعجب إذا رأيت فقيهًا يستعصى عليه كتاب منطقى؛ ولا تعجب إذا رأيت نحويًا لا يدرك كلام الفقهاء، ولا تعجب إذا علمت أن عالمًا ينقطع فى بيداء ألفاظ المتصوفة.

بل إنك تستطيع أن تميز اللغة التى يكلمك بها شخص واحد فى مقامين مختلفين.

مثال ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -، فكما مرّ قريبًا لو اطلعت على بعض القطع من كلامه - رحمه الله - دون أن تعلم أنها له لقلت هذه قطعة من كتاب صوفى، ولو اطلعت على قطعة من كلام آخر لقلت هذا كتاب من كتب الفلاسفة، أما لو اطلعت على قطعة أخرى، فستقول: هذه من كتاب المغنى لابن قدامة. تراه يقول: قال الأصحاب: وللأصحاب تخريجات على هذه الرواية: والإمام عنه روايتان: ولنا: ولهم: ونحو هذا من ألفاظ الفقهاء.

والذى أريد قوله من هذه التقدمة: أن مسألة العبارة واللفظ لا تعدو كونها وسيلة لإيصال المعنى المراد، ولكنها ليست هامشية أو ثانوية فى عملية التوجيه والتربية.

بل إن المعانى الفاضلة الشرعية يجب أن يُسلك فى إيصالها للمتلقى عبر القنوات اللفظية السائدة؛ لأن ذلك أحرى بالفهم وحسن الامتثال من جهة.

ولأن فيه تأليف بين المتلقى واللفظ، فلا يكون اللفظ سببًا فى نفرة المتلقى عن تلك المعانى من جهة أخرى ليست أقل من الأولى أهمية.

تراجع إلى الوراء وانظر كيف يسر الله تعالى قراءة القرآن بالأحرف المتعددة: بغض النظر عن ماهية تلك الأحرف، وهل هى لغات متعددة أم ألفاظ متباينة، أم هى قراءات مختلفة للفظ واحد، فالجميع متفق على أصل: ألا وهو أن الغرض من هذه التوسعة هو تأليف العرب وإزالة النفرة بينهم وبين الألفاظ التى قد تكون غريبة عليهم، مع أنهم عرب فى الجملة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾ [القمر: ١٧]. وتيسر الخطاب واللغة التى يُوجه بها الناس تابع لتيسير الذكر: فكأن الله تعالى يأمر فى هذه الآية بتيسير الذكر للناس كذلك بيانه البيان الذى يفهمونه ويعونه ويعينهم على الامتثال والتدبر والاقتناع.

وإذا تدبرت قليلًا وتأملت عرفت أن جزءًا كبيرًا من الخلاف الاعتقادى الذى حدث فى الأمة راجع إلى التحدث بالألفاظ والمصطلحات الحادثة الغريبة على الناس فى بيان ما هو أهم المهمات من أمور التوحيد والامتثال: فانقسم الناس قسمين: قسم عجز عن فهم اللغة الجديدة، وكان المتكلمون بها هم غالب المتولين لعصا التوجيه والتعليم، فأعرض عن التعلم وانصرف لغيره.

وقسم انساقوا مع اللغة الجديدة وأتقنوها لكنهم للأسف جعلوها أصلًا فى باب التعلم والتعليم: فكانت لغة المتكلمين هى اللغة السائدة، فأفسدت على أهل العلوم علومهم من جهتين:

الأولى: أنها زادت من صعوبات التعلم فسببت إعراض الناس عن الفن المعين: وانظر كمثال كتب أصول الفقه، والتوحيد كذلك.

والأخرى: أن هذه الألفاظ تحتمل كثيرًا من المعانى الباطلة التى استعملها المبتدعة فى إسقاط العلوم الأساسية كالتفسير والأصول عليها، فأصبحت ترى النصوص الشرعية تُفسر بحسب الاصطلاحات الحادث، وهو ما نبّه له شيخ الإسلام - رحمه الله - كثيرًا. [انظر كلام الشهرستانى فى «الملل» (ص٨١)].

وقد كان جزء من المشروع الإصلاحى الكبير الذى قام به شيخ الإسلام - رحمه الله - وأتباعه: إعادة صياغة العلوم الشرعية وخوادمها بالأسلوب العربى الذى يفهمه العامة من الناس قبل الخاصة، سواء فى المعتقد والتوحيد أو فى الفقه وأصوله، فأزاحوا عن المعانى الأساسية ركام الألفاظ الغربية والمصطلحات التعسفية التى أخفت وغطّت بريق المعنى الفاضل وسذاجته.

لكن هل حارب شيخ الإسلام تلك اللغة العرفية الحادثة ورفضها مطلقًا؟

الجواب: كما أسلفت: أنه - رحمه الله - تكلم بتلك اللغة مع أصحاب كل فن واستخدمها فى البيان والحوار معهم، وهذا بطبيعة الحال لأن أصحاب الفنون المختلفة بسبب إغراقهم أصبحوا يستغلق عليهم كثير من الحق إذا سمعوه باللغة العربية العادية، فكان من واجب الدعاة إلى الحق، ويمثلهم هنا شيخ الإسلام، أن يتقنوا أدوات اللغة المعينة، لكى يستطيعوا تبليغ الحق لهذه الشرائح، وليقيموا حجة الله، وما تعين سبيلًا لإقامة الواجب أخذ حكمه.

ولذلك لا يُنكر أن تجد لأصحاب الدعوة الحق كلامًا بلغات لا يعرفها العامة، وربما طلاب العلم إذا كان المراد تضمين تلك الألفاظ معانى

فاضلة، وكذلك إزالة الاشتباه وتفصيل المعانى من الألفاظ المبهمة والمجملة.

ثم ماذا؟

شريطة أن لا تصبح تلك اللغة هى الأصل فى باب التوجيه والتربية، بل يكون الأصل مخاطبة الناس على قدر عقولهم وفهومهم إذا كنا فعلًا حريصين على هداية الناس وإبعادهم عن الإبهام والإجمال المنافى لشرط البيان فى الدعوة إلى الله ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

قال شيخ الإسلام - رحمه الله -: فالواجب أن ينظر فى هذا الباب فما أثبته الله ورسوله أثبتناه، وما نفاه الله ورسوله نفيناه، والألفاظ التى ورد بها النص يعتصم بها فى الإثبات، والنفى فنثبت ما أثبتته النصوص من الألفاظ والمعانى، وننفى ما نفته النصوص من الألفاظ والمعانى، وأما الألفاظ التى تنازع فيها من ابتدعها من المتأخرين مثل لفظ الجسم والجوهر والمتحيز والجهة ونحو ذلك، فلا تطلق نفيًا، ولا إثباتًا حتى يُنظر فى مقصود قائلها، فإن كان قد أراد بالنفى والإثبات معنى صحيحًا موافقًا لما أخبر به الرسول صوب المعنى الذى قصده بلفظه، ولكن ينبغى أن يعبر عنه بألفاظ النصوص لا يعدل إلى هذه الألفاظ المبتدعة المجملة إلا عند الحاجة مع قرائن تبين المراد بها والحاجة مثل أن يكون الخطاب مع من لا يتم المقصود معه إن لم يخاطب بها، وأما إن أريد بها معنى باطل نفى ذلك المعنى، وإن جمع بين حق وباطل أثبت الحق وأبطل الباطل. [«منهاج السنة» (٢/ ٥٥٤)].

وبعد:

فقد طغت الاصطلاحات الفكرية على كتابات الإسلاميين فى هذه الأيام.

والذى دعانى للتركيز على هذا أنى رأيت مقالات شتى لبعض الدعاة، بل هم من أهل العلم فى الحقيقة، موجهة لطلاب العلم وأفراد الصحوة، أنا شخصيًا أجزم أن الذين فهموها تفصيلًا قلة، مع أن ما فيها حق.

لكن عجبت لأن هؤلاء الدعاة يصرون على استعمال الخطاب الفكرى الذى لا يتقنه أكثر الناس، مع أن المعانى التى يدعون إليها يحتاجها كل مسلم.

وليس مجال الإنكار هنا على استعمال الخطاب الفكرى عمومًا بالعكس، فنحن نعرف أن شريحة كبيرة من المثقفين فى العالم الإسلامى انحرفت بهم السفن عن طريق الله بسبب موجة من الكتب، والفكرية التى استخدمت تلك اللغة بقوة بعد أن ابتعد الناس عن لغة القرآن، فى فرض المناهج الدخيلة الغربية والترويج لها، وصبغها بالصبغة المعرفية والعقلية، بل والدينية أحيانًا.

وهذه الشرائح قد يصعب عليها من حيث واقعها، أو ثقافتها أن تتلقى الحق من مصادر علمية صرفة، فلابد لمخاطبتها إذًا من الأسلوب الذى تفهمه وتعيه ويوقعها فى الحرج أمام أنفسها، ويعرى لها الحق أمام عينيها، ولهذا نعوّل كثيرًا على كتاب فى الساحة الإسلامية، كان لهم أثر بارز فى هذا المجال، فقرروا المعانى الشرعية والأصول السلفية بخطاب فكرى راق لا يملك المثقف المنصف أمامه إلا التسليم والخضوع، إلا من أضلّه الله على علم.

قال شيخ الإسلام: وأما من جهة العقل، فلأن اللفظ المجمل يدخل فيه نافية معانى يجب إثباتها لله، ويدخل فيه مثبته ما ينزه الله تعالى عنه، فإذا لم يدر مراد المتكلم به لم ينف ولم يثبت، وإذا فسر مراده قبل الحق وعبر عنه بالعبارات الشرعية، ورد الباطل، وإن تكلم بلفظ لم يرد عن الشارع، للحاجة إلى إفهام المخاطب بلغته مع ظهور المعنى الصحيح لم يكن بذلك بأس، فإنه يجوز ترجمة القرآن والحديث للحاجة إلى الإفهام، **وكثير ممن قد تعود عبارة معينة إن لم يخاطب بها لم يفهم، ولم يظهر له صحة القول وفساده، وربما نسب المخاطب إلى أنه لا يفهم ما يقول، وأكثر الخائضين فى الكلام والفلسفة من هذا الضرب ترى أحدهم يذكر له المعانى الصحيحة بالنصوص الشرعية، فلا يقبلونها لظنهم أن فى عبارتهم من المعانى ما ليس فى تلك، فإذا أخذ المعنى الذى دل عليه الشرع وصيغ بلغتهم وبين به بطلان قولهم المناقض للمعنى الشرعى خضعوا لذلك** وأذعنوا له كالتركى والبربرى والرومى والفارسى الذى يخاطبه بالقرآن العربى ويفسره فلا يفهمه حتى يترجم له شيئًا بلغته، فيعظم سروره وفرحه، ويقبل الحق ويرجع عن باطله؛ لأن المعانى التى جاء بها الرسول أكمل المعانى وأحسنها وأصحها لكن هذا يحتاج إلى كمال المعرفة ولهذا كالترجمان الذى يريد أن يكون حاذقًا فى فهم اللغتين. [منهاج السنة ٠٢/ ٦١٢)].

لكن مجال الإنكار أن يكون هذا الخطاب أصلًا فى توجيه الناشئة والناس عامة لمعانى الشريعة، فهذا فيه خطأ كبير، وأقله إبعاد المتعلمين والمتلقين عن لغة القرآن وأساليب النصوص الشرعية والنصوص المفسرة لها، **فنتسبب من حيث لا نشعر فى إحداث عجمة متسترة فى العالم العربى.**

نحتاج كثيرًا إلى وقفة أمام هذا الموضوع، إذ أنك ترى إعجابًا كبيرًا بهذه اللغة وإصراراً على استعمالها فى كافة حواراتنا حتى مع بعضنا البعض،

وهذا خطأ فى رأيى، وعلى أهل العلم من الدعاة أن يتنبهوا لهذا المزلق، فلا ينسيهم حرصهم على دعوة الناس والشمولية فى الطرح، وتوسيع نطاق الحوار مع الناس بكافة شرائحهم، أقول لا ينسيهم ذلك أنهم أهل علم وفقه، وأهل العلم لهم لفظهم، ولهم لغتهم التى يميزها الجميع، وهى الأصل وغيرها استثناء، ولا يجوز أن يكون الاستثناء أصلًا. [«وسم الفقيه» (ص٣٢٤ - ٣٣٦].



كثرة التآليف فى العلوم عائقة عن التحصيل

قال ابن خلدون: اعلم أنه مما أضر بالناس فى تحصيل العلم والوقوف على غايته كثرة التآليف واختلاف الاصطلاحات فى التعليم، وتعدد طرقها، ثم مطالبة المتعلم والتلميذ باستحضار ذلك. وحينئذ يسلم له منصب التحصيل. فيحتاج المتعلم إلى حفظها كلها أو أكثرها، ومراعاة طرقها، ولا يفى عمره بما كتب فى صناعة واحدة إذا تجرد لها، فيقع القصور، ولابد، دون رتبة التحصيل، ويمثل ذلك من شأن الفقه فى المذهب المالكى بكتاب المدونة مثلًا وما كتب عليها من الشروحات الفقهية مثل كتاب ابن يونس واللخمى وابن بشير والتنبيهات والمقدمات والبيان والتحصيل على العتْبية وكذلك كتاب ابن الحاجب وما كتب عليه. ثم إنه يحتاج إلى تمييز الطريقة القيروانية من القرطبية والبغدادية والمصرية وطرق المتأخرين عنهم، والإحاطة بذلك كله، وحينئذ يسلم له منصب الفُتيا، وهى كلها متكررة والمعنى واحد، والمتعلم مطالب باستحضار جميعها وتمييز ما بينها **والعمر ينقضى فى واحد منها.**

ولو اقتصر المعلمون بالمتعلمين على المسائل المذهبية فقط لكان الأمر دون ذلك بكثير، وكان التعليم سهلًا، ومأخذه قريبًا. ولكنه داء لا يرتفع لاستقرار العوائد عليه. فصارت كالطبيعة التى لا يمكن نقلها ولا تحويلها. ويمثل أيضًا علم العربية من كتاب سيبويه، وجميع ما كتب عليه، وطرق البصريين والكوفيين والبغداديين والأندلسيين من بعدهم، وطرق المتقدمين

والمتأخرين مثل ابن الحاجب وابن مالك وجميع ما كتب فى ذلك، وكيف يطالب به المتعلم وينقضى عمره دونه ولا يطمع أحد فى الغاية منه إلا فى القليل النادر؛ مثل ما وصل إلينا بالمغرب لهذا العهد من تأليف رجل من أهل صناعة العربية من أهل مصر يعرف بابن هشام، ظهر من كلامه فيها أنه استولى على غاية من ملكة تلك الصناعة لم تحصل إلا لسيبويه وابن جنى وأهل طبقتها لعظم ملكته وما أحاط به من أصول ذلك الفن وتفاريعه وحسن تصرفه فيه، ودل على أن الفضل ليس منحصرًا فى المتقدمين سيما مع ما قدمناه من كثرة الشواغب بتعدد المذاهب والطرق والتآليف؛ ولكن فضل الله يؤتيه من يشاء؛ وهذا نادر من نوادر الوجود. وإلا فالظاهر أن المتعلم ولو قطع عمره فى هذا كله فلا يفى له بتحصيل علم العربية مثلًا الذى هو آلة من الآلات ووسيلة؛ فكيف يكون فى المقصود الذى هو الثمرة: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ﴾.



كثرة الاختصارات المؤلفة في العلوم مخلة بالتعليم

قال ابن خلدون: ذهب كثير من المتأخرين إلى اختصار الطرق والأنحاء في العلوم يولعون بها ويدونون منها برنامجًا مختصرًا في كل يشتمل على حصر مسائله وأدلتها باختصار في الألفاظ وحشو القليل منها بالمعاني الكثيرة من ذلك الفن.

وصار ذلك مخلًا بالبلاغة وعسرًا على الفهم. وربما عمدوا إلى الكتب الأمهات المطولة في الفنون للتفسير والبيان فاختصروها تقريبًا للحفظ كما فعله ابن الحاجب في الفقه وأصول الفقه وابن مالك في العربية والخونجي في المنطق وأمثالهم. وهو فساد في التعليم وفيه إخلال بالتحصيل. وذلك لأن فيه تخليطًا على المبتدئ بإلقاء الغايات من العلم عليه، وهو لم يستعد لقبولها بعد؛ وهو من سوء التعليم كما سيأتي. ثم فيه مع ذلك شغل كبير على المتعلم بتتبع ألفاظ الاختصار العويصة للفهم بتزاحم المعاني عليها وصعوبة استخراج المسائل من بينها. لأن ألفاظ المختصرات تجدها لأجل ذلك صعبة عويصة، فينقطع في فهمها حظ صالح من الوقت. ثم بعد ذلك فالملكة الحاصلة من التعليم في تلك المختصرات إذا تم على سداده ولم تعقبه آفة فهي ملكة قاصرة عن الملكات التي تحصل من الموضوعات البسيطة المطولة بكثرة ما يقع في تلك من التكرار والإحالة المفيدين لحصول الملكة التامة. وإذا اقتصر عن التكرار قصرت الملكة لقلته كشأن هذه الموضوعات المختصرة. فقصدوا إلى تسهيل الحفظ على المتعلمين فأركبوهم صعبًا يقطعهم عن

تحصيل الملكات النافعة وتمكنها . ومن يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له .



حسن الفهم طريق العلم

اعلم أن الفهم والتدبر والدراية هى من أجل مفاتيح العلم، وأما علم الحديث فله مع الفهم شأن أى شأن، حتى كان من مأثور كلام مشايخنا: «إن هذا العلم لا يعطى مفاتيحه لغبى، ولا يستطيعه إلا الفطن الذكى».

وقد كان الحرص على التأكيد على أن من أسس طلب العلم حسن الفهم: هو ديدن أئمة السلف.

قال تعالى: ﴿وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ۚ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنبياء: ٧٨، ٧٩].

وعن أبى جحيفة وهب بن عبد الله السوائى قال: قلت لعلى: هل عندكم شئ من الوحى مما ليس فى القرآن؟ فقال: لا والذى فلق الحبة وبرأ النسمة، إلا فهمًا يعطيه الله رجلًا فى القرآن وما فى الصحيفة، قلت: وما فى هذه الصحيفة؟ قال: العقل، وفكاك الأسير، وأن لا يقتل مسلم بكافر. [البخارى (١١١)].

وعن عبد الرحمن بن أبى بكرة عن أبيه، ذكر النبى ﷺ قعد على بعيره وأمسكه إنسان بخطامه قال: «**أى يوم هذا؟**» فسكتنا حتى ظننا أنه سيسميه سوى اسمه قال: «**أليس يوم النحر؟**» قلنا: بلى، قال: «**فأى شهر هذا؟**» فسكتنا حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، فقال: «**أليس بذى الحجة؟**» قلنا:

بلى، قال: «فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا، في بلدكم ليبلغ الشاهد الغائب، فإن الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى له منه». [البخاري (٦٧)، ومسلم (١٦٧٩)].

وعن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضًا، فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصابت منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء، ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلّم من لم يرفع بذلك رأسًا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به». [البخاري (٧٩)، ومسلم (٢٢٨٢)].

قال الخطيب البغدادي:

«قد جمع رسول الله ﷺ في هذا الحديث مراتب الفقهاء والمتفقهين من غير أن يشذ منها شيء فالأرض الطيبة: هي مثل الفقيه الضابط لما روى، الفاهم للمعاني المحسن لرد ما اختلف فيه إلى الكتاب والسنة، والأجادب الممسكة للماء التي يستسقي منها الناس هي مثل الطائفة التي حفظت ما سمعت فقط وضبطته وأمسكته حتى أدته إلى غيرها محفوظًا غير مغير دون أن يكون لها فقه تتصرف فيه، ولا فهم بالرد المذكور وكيفيته لكن نفع الله بها في التبليغ، فبلّغت إلى من لعله أوعى منها كما قال رسول الله ﷺ: «رب مبلغ أوعى من سامع، ورب حامل فقه ليس بفقيه».

ومن لم يحفظ ما سمع ولا ضبط فليس مثل الأرض الطيبة ولا مثل الأجادب، بل هو محروم، ومثله مثل القيعان التي لا تُنبت كلأ ولا تمسك

ماء» أ هـ. [«الفقيه والمتفقه» (١/ ٤٩)].

وقال سفيان الثورى: «معرفة معانى الحديث وتفسيره أشد من حفظه».
[«الآداب الشرعية» (٢/ ١١٩)].

وقال على بن المدينى: «التفقه فى معانى الحديث نصف العلم، ومعرفة الرجال نصف العلم». أ هـ. [«مقدمة تهذيب الكمال» (١/ ١٦٥)].

وقال أبو عبد الله الحاكم: «بعد معرفة ما قدمنا ذكره من صحة الحديث إتقانًا ومعرفة لا تقليدًا وظنًّا معرفة فقه الحديث؛ إذ هو ثمرة هذه العلوم، وبه قوام الشريعة» أ هـ. [«معرفة علوم الحديث» (ص٦٣)].

قال ابن القيم:

«**صحة الفهم وحسن القصد** من أعظم نعم الله التى أنعم بها على عبده، بل ما أعطى عبدٌ عطاء بعد الإسلام أفضل ولا أجل منهما، بل هما ساقا الإسلام، وقيامه عليهما، وبهما يأمن العبد طريق المغضوب عليهم الذين فسد قصدهم، وطريق الضالين الذين فسدت فهومهم، ويصير من المنعم عليهم الذين حسنت أفهامهم وقصودهم، وهم أهل الصراط المستقيم الذين أُمرنا أن نسأل الله أن يهدينا صراطهم فى كل صلاة، **وصحة الفهم نور يقذفه الله فى قلب العبد، يميز به بين الصحيح والفاسد، والحق والباطل**، والهدى والضلال، والغى والرشاد، ويمده حسن القصد، وتحرى الحق، وتقوى الرب فى السر والعلانية، ويقطع مادته اتباع الهوى وإيثار الدنيا، وطلب محمدة الخلق، وترك التقوى» أ هـ. [«إعلام الموقعين» (١/ ٨٧)].

وقال أيضًا: «والمقصود تفاوت الناس فى مراتب الفهم فى النصوص، وإن منهم من يفهم من الآية حكمًا أو حكمين، ومنهم من يفهم عشرة أحكام أو أكثر من ذلك.

ومنهم من يقتصر فى الفهم على مجرد اللفظ دون سياقه ودون إيمائه وإشارته، وتنبيهه واعتباره، وأخص من هذا وألطف ضمه إلى نص آخر متعلق به فيفهم من اقترانه به قدرًا زائدًا على ذلك اللفظ بمفرده. وهذا باب عجيب من فهم القرآن: لا يتنبه له إلا النادر من أهل العلم، فإن الذهن قد لا يشعر بارتباط هذا بهذا وتعلقه به، كما فهم ابن عباس من قوله تعالى: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَٰلُهُ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ مع قوله: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ أن المرأة قد تلد لستة أشهر...» أهـ. [اختصره العلامة محمد الأمين الشنقيطى فى «أضواء البيان» (٤/ ٧٢١)].

فمن أجل هذا لا يكفى مجرد حفظ النص دون فهمه، فأكمل الناس منْ منَّ الله عليهم بالحفظ والفهم معًا. قال شيخ الإسلام: «فرب رجل يحفظ حروف العلم التى أعظمها حفظ حروف القرآن، ولا يكون له من الفهم، بل ولا، الإيمان ما يتميز به على من أوتى القرآن ولم يؤت حفظ حروف العلم». أهـ. [«مجموع الفتاوى» (١١/ ٣٩٧ - ٣٩٨)].

وعن عبد الله بن وهب عن مالك بن أنس قال: «إن العلم ليس بكثرة الرواية، وإنما العلم نور من الله يجعله فى القلب». [«الجامع» للخطيب (ص١٧٤)].

وقال الخطيب البغدادى: «العلم هو الفهم والدراية، وليس بالإكثار والتوسع فى الرواية». [المصدر نفسه].

وقال أيضًا: «وليجعل حفظه للحديث حفظ رعاية لا حفظ رواية، فإن رواة العلوم كثير، ورعاتها قليل. ورب حاضر كالغائب، وعالم كالجاهل، وحامل للحديث ليس معه منه شيء، إذ كان فى اطِّراحه لحكمة بمنزلة الذاهب عن معرفته وعلمه». [«الجامع» (١/ ٨٧)].

وروى بإسناده إلى الحسن البصرى (ت ١١٠هـ) رحمه الله قال: «تعلموا ما شئتم أن تعلموا، فلن يجازيكم الله على العلم حتى تعملوا، فإن السفهاء همتهم الرواية، وإن العلماء همتهم الرعاية». [المصدر نفسه (١/ ٩١)].

وقال أبو عمر يوسف بن عبد البر (ت ٤٦٣ هـ): «... أما طلب الحديث على ما يطلبه كثير من أهل عصرنا اليوم دون تفقه فيه ولا تدبر لمعانيه، فمكروه عند جماعة أهل العلم». [«جامع بيان العلم وفضله» لابن البر (٢/ ١٢٧)].

وقال أيضًا: «الذى عليه جماعة فقهاء المسلمين وعلمائهم ذم الإكثار دون تفقة ولا تدبر، والمكثر لا يأمن مواقعة الكذب على رسول الله ﷺ لروايته عمن يؤمن وعمن لا يؤمن» ثم ذكر بإسناده إلى ابن شبرمة قال: «أقلل الرواية وتفقه». [المصدر نفسه (٢/ ١٧٢)].

وقال الحافظ ابن القيم (ت ٥٧١ هـ): «صحة الفهم وحسن القصد من أعظم نعم الله التى أنعم الله بها على عبده، بل ما أُعطى عبد عطاءً بعد الإسلام أفضل، ولا أجل منهما، بل هما ساقا الإسلام، وقيامه عليهما، وبهما يأمن العبد طريق المغضوب عليهم الذين فسد قصدهم، وطريق الضالين الذين فسدت فهومهم، ويصير من المنعم عليهم الذين حسنت أفهامهم وقصودهم، وهم أهل الصراط المستقيم الذى أُمرنا أن نسأل الله أن يهدينا صراطهم فى كل صلاة. وصحة الفهم نور يقذفه الله فى قلب

العبد، يميز به بين الصحيح والفاسد، والحق والباطل. . ، ويمده حسن القصد وتحرى الحق وتقوى الرب فى السر والعلانية، ويقطع مادته اتباع الهوى وإيثار الدنيا، وطلب محمدة الخلق، وترك التقوى». [«أعلام الموقعين» (١٥/ ٨٧)].

قلت: والفهم يحتاج إلى صبر وأدب وحسن تدسس للألفاظ والمعانى، وقبل ذلك ومعه وبعده، وهو رزق يؤتيه الله من يشاء. وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: إذا استعصت عليه آية مرغ وجهه فى التراب وقال: «يا معلم إبراهيم علمنى، يا مفهم سليمان فهمنى» وقد كانت للعلامة الشيخ عبد القادر بن بدران عليه رحمة الله طريقة حسنة فى تناول ما يدرس نذكرها هنا للفائدة، قال رحمه الله: «واعلم أن المطالعة وللتعليم طرقًا ذكرها العلماء، وإننا نثبت هنا ما أخذناه بالتجربة، ثم نذكر بعضًا من طرقهم لئلا يخلو كتابنا هذا من هذه الفوائد. إذا تمهد هذا فاعلم أننا اهتدينا بفضله تعالى أثناء الطلب إلى قاعدة، وهى أننا كنا نأتى إلى المتن أولًا، فنأخذ منه جملة كافية للدرس، ثم نشتغل بحل تلك الجملة من غير نظر إلى شرحها، ونزاولها حتى نظن أننا فهمناها، ثم نقبل على الشرح فنطالعه المطالعة الأولى امتحانًا لفهمنا فإن وجدنا فيما فهمناه غلطًا صححناه، ثم أقبلنا على تفهم الشرح على نمط ما فعلناه فى المتن، ثم إذا ظننا أننا فهمناه راجعنا حاشيته إن كان له حاشية مراجعة امتحان لفكرنا، فإذا علمنا أننا فهمنا الدرس تركنا الكتاب واشتغلنا بتصوير مسائله فى ذهننا فحفظناه حفظ فهم وتصور، لا حفظ تراكيب وألفاظ. ثم نجتهد على أداء معناه بعبارات من عندنا غير ملتزمين تراكيب المؤلف، ثم نذهب إلى الأستاذ للقراءة. وهناك نمتحن فكرنا فى حل الدرس، نقوّم ما عساه أن يكون من اعوجاج، ونوفر الهمة على ما يورده الأستاذ مما هو زائد على المتن والشرح. وكنا نرى أن من قرأ كتابًا

واحدًا من فن على هذه الطريقة سَهُلَ عليه جميع كتب هذا الفن مختصراتها ومطولاتها، وثبتت قواعده فى ذهنه» [المدخل ص/ ٢٦٧- ٢٦٨)].

وجل هذا المبحث مستفاد من كتاب الشيخ محمد مطر الزهرانى «من هدى السلف فى طلب العلم» ومن كتاب «التأصيل فى طلب العلم» الشيخ محمد عمر بازمول.



العلوم الشرعية كالجسد الواحد

لقد أتى على الناس زمان كان رجال من المحدثين فيه يستخفون بالفقه ويسمونه رأيًّا وفقهاء يستخفون بالحديث ويسمونه علم المفاليس، ومفسرون يستخفون بلغويين، ولغويون يستخفون بقراء، إلى آخر هذا الغثاء البارد والاستخفاف الجاهل.

ولله در الشوكانى إذ يقول:

أتانا أن سهلًا ذم جهلًا ‌‌‌ علومًا ليس يعرفهن سهل

علوم لو دارها ما قلاها ‌‌‌ ولكن الرضى بالجهل سهل

وأحسب أننا اليوم قد تخطينا مراحل كثيرة فى سبيل الخروج من هذا المنحدر السخيف، فأحببت أن أنبه طلبة العلم إلى أن العلوم الشرعية آخذ بعضها بحجز بعض، فهن أخوة لعلات، وليس بينهن خصام ولا فرقة.

فها هو اليونيني يضبط صحيح البخارى بمحضر من أهل العلم والفضل يزنيهم النحوى الشهير ابن مالك صاحب الألفية، ليصحح ويرجح وليخرج بعدها بكتابه الفذ «شواهد التوضيح لمشكلات الجامع الصحيح».

ويقول الحافظ الكبير أبو الحجاج المزى فى مقدمة كتابه الجليل «تهذيب الكمال» (١/ ١٥٦): «وينبغى للناظر فى كتابنا هذا أن يكون قد حصل طرفًا صالحًا من علم العربية: نحوها ولغتها وتصريفها، ومن علم الأصول والفروع، ومن علم الحديث، والتواريخ، وأيام الناس، فإنه إذا كان كذلك كثر انتفاعه به، وتمكن من معرفة صحيح الحديث وضعيفه، وذلك

خصوصية الحديث التى من نالها وقام بشرائطها وأهل زمانه فى هذا العلم، وحشر يوم القيامة تحت اللواء المحمدى إن شاء الله تعالى.

إذن: فطالب علم الحديث لا يصح له الزعم بأنه مريد للتخصص فى هذا العلم الشريف، فيستظل بهذا الزعم ويفىء إليه ويطرح عن ظهره عبء النظر فى العلوم الشرعية الأخرى، بل إنا نقول: ولو كنت مريدًا للتخصص فلابد أن تأخذ من بقية العلوم بطرف، بل إنى أزعم أنك ستظل قاصرًا ولا تسمى متخصصًا ما لم تفعل ذلك.



الكتب العربية كتاب واحد

استدل أحد الفضلاء على جواز مواد التجميل (المكياج) بخبر جابر رضي الله عنه أنه أتى النبي ﷺ وعليه أثر صفرة فقال الرسول إليه: ما هذا يا جابر؟ فقال: «تزوجت يا رسول الله».

فقال هذا الفاضل: فهذه الصفرة مما علق بوجهه من وجه امرأته.

فقلت له: يا شيخنا لعل هذه الصفرة زعفران، وقد كان من عادتهم إذا تزوج الرجل أن يتزعفر حتى نهى النبي ﷺ عن التزعفر، وذكرت له قول سعد بن زيد مناة فى أخيه مالك لما تزوج:

يظل يوم وردها مزعفرا ... وهى خناطيل تجوس الخضرا

فقال لى: من أين جئت بهذا الكلام؟ فقلت له: من «طبقات فحول الشعراء» لمحمد بن سلام الجمحى (١/ ٣٠).

فقال لى: أو نأخذ ديننا من هذا العبث؟

فمنعنى أدبى من إكمال الحوار وبيان الحجة.

هذا مثال واحد على حالة الانفصال المشئومة التى يتزعم لواءها بعض المشتغلين بالعلم الشرعى اليوم، وهى تحتاج فى كشف زيفها إلى مكان أرحب من هذا المكان، ومقام أسمح من هذا المقام وسأجتزأ هنا بذكر كلام غال نفيس للدكتور محمود الطناحى، يقول رحمه الله: تحت عنوان:

مجاز كتب التراث مجاز الكتاب الواحد:

بمعنى أن هذه الكتب متشابكة الأطراف، متداخلة الأسباب فمع الإقرار بنظرية التخصص، وانفراد كل فن من فنون التراث بطائفة من الكتب والمصنفات. إلا أنك قل أن تجد كتابًا من هذه الكتب مقتصرًا على الفن الذى يعالجه، دون الولوج إلى بعض الفنون الأخرى، بدواعى الاستطراد والمناسبة، وهذا يؤدى لا محالة، إلى أن تجد الشيء فى غير مظانه. وقد ضربت لذالك مثلًا ـ فى بعض ما كتبت ـ بعلم النحو، فليست مسائل هذا العلم فى كتب النحو فقط، ففى كتب التفسير والقراءات نحو كثير، وفى كتب الفقه وأصوله نحو كثير. وفى معاجم اللغة، وكتب البلاغة، وشروح الشعر نحو كثير. بل إنك واجد فى بعض كتب السير، والتاريخ، والتراجم، والأدب، والمعارف العامة، والطرائف والمحاضرات، من مسائل النحو وقضاياه، مالا تكاد تجد بعضه فى كتب النحو المتداولة.

واقرأ أن شئت: الإمتاع والمؤانسة، ومثالب الوزيرين، كلاهما لأبى حيان التوحيدى، ورسالة الملائكة، ورسالة الغفران، الاثنان للأبى العلاء المعرى، والروض الأنف للسهيلى، و بدائع الفوائد لابن القيم الجوزية، والغيث المسجم فى شرح لامية العجم، لصلاح الذين الصفدى. ثم انظر كم من مسائل النحو أفدت.

ومما يستطرف ذكره هنا أن الشاهد النحوى المعروف «أكلونى البراغيث» لم أجده منسوبًا لقائل، فى كتاب من كتب النحو التى أعرفها، على حين وجدته فى كتاب أبى عبيدة «مجاز القرآن» منسوبًا لأبى عمرو الهذلى.

وخذ كتابًا لغويًا مثل «المخصص» لابن سيده وهو من معاجم المعانى كما

عرفت تجد فيه نحوًا كثيرًا، وصرفًا كثيرًا، بل إن هذا الكتاب اللغوى يعد توثيقًا كبيرًا لآراء أبي على الفارسى، فى النحو والصرف، حيث تراه قد أكثر من النقل عنه كثرة ظاهرة.

وإنك لتقضى العجب حين ترى كثيرًا من الدراسات النحوية المعاصرة والتى هوجم النحو العربى فيها هجومًا كاسحًا أكولًا وقد اتكأت على كتب النحو المتأخرة، ابتداء بابن هشام، وانتهاء بالصبان، تاركة وراءها كتب النحو الأولى، وكتب الفنون التراثية الأخرى، التى تمت إلى النحو بأسباب وعلائق كثيرة. ومع التسليم بجدوى مصنفات ابن هشام ومن جاء بعده، فإن ذلك لا يغنى عن الجهود السابقة، ولا يقوم مقامها.

وما قيل عن النحو وانسياحه فى الفنون الأخرى، يقال فى سائر العلوم؛ وقد حدثنى شيخى الجليل محمود محمد شاكر، حفظه الله، أنه استخرج عَلَوِيَّه أبى الطيب المتنبى من خبر صغير، فى ثنايا خزانة الأدب للبغدادى، وقد خفى هذا الخبر على كل الذين كتبوا عن المتنبى، من عرب وعجم، مع أن هذا الكتاب قد طبع فى مطبعة بولاق بمصر، سنة ١٢٩٩ هـ ولكنه فى نظر الناس كتاب شواهد ونحو، ليس غير، للذى علموه من أنه شرح شواهد الرضى على الكافية، وترجمة المتنبى عند هؤلاء تلتمس من كتب التراجم والأدب.

وحدثنى أيضًا، حفظه الله، أن المفكر الأديب الأستاذ عباس محمود العقاد، رحمه الله، سأله ذات يوم، عن خبرٍ أو كلام لعمرو بن العاص، رضي الله عنه كان قد قرأه الأستاذ العقاد، ونسى موضعه، وأنه قد وجد هذا الخبر فى كتاب الكشكول، أو المخلاة، لبهاء الدين العاملى، المتوفى سنة ١٠٣١ هـ. ويا بعد ما بين العاملى ومظان ترجمة عمرو بن العاص ! والكشكول،

والمخلاة عند بعض المحدثين إن علموا بأمرهما من سواقط الكتب وكواذب الأحاديث.

إن فى الكتب الموسوعية، مثل شرح نهج البلاغة، لابن أبى الحديد، المتوفى سنة ٦٥٦ هـ. ونهاية الأرب للنُّوَيْرىّ، المتوفى سنة ٧٣٣ هـ، وصبح الأعشى، للقلقشندى، المتوفى سنة ٨٢١ هـ، من غرائب العلوم والفنون، ما لا يأتى عليه حصر.

وبعد:

فإن من الظواهر الجديرة بالتأمل، فى هذه الأيام، تلك العناية البالغة بالتراث: نشرًا لما لم ينشر، وتصويرًا لما نشر، ويقبل القراء على شراء كتب التراث إقبالًا زائدًا، ولم يستطع الكتاب الحديث برغم ما أحيط به من مظاهر الإعلان والإعلام أن يزاحم الكتاب التراثى، بالرغم أيضًا مما يتعرَّض له من تجريح وتوهين.

ولكن هذه العناية بنشر التراث، والإقبال على شرائه، لم يواكبها قراءة له، وانتفاع به، فكثرت الكتب وقلت القراءة.

ومهما يكن من أمر، فإن هذه الظاهرة دالة بوضوح، على أن للتراث بريقًا أخّاذًا. ولم يبق إلا أن نعمق فى أبنائنا الإحساس النبيل به وأن نأخذ بأيديهم إلى آفاقه الرحبة، وآماده المتطاولة. [إلى هنا انتهت درر الطناحى].

❊ ❊ ❊

إذا أردت التخصص فاعلم أنه لا يغنى كتاب عن كتاب

هل يعنى كون «تهذيب الكمال» قد اختصره ابن حجر فأخذ زبدته وزاد عليه، هل يعنى ذلك الاستغناء عن الأصل؟

ابن حجر اعتمد «إكمال تهذيب الكمال» لمغلطاى، فذكر ما فيه من الزيادات فهل يعنى ذلك عدم الرجوع لكتاب مغلطاى؟

التلخيص الحبير هو اختصار «البدر المنير» فهل الرجوع إلى البدر يغنى عن الرجوع إلى التلخيص.

والجواب فى ذلك وأكثر منه هو «لا».

نعم «لا» كبيرة جليلة.

فلا يغنى كتاب عن كتاب، فلن تعدم تصحيح تحريف، أو تصويب تصحيف، أو استدراك المختصر على صاحب الأصل، أو زيادة تعليق فى كلام صاحب الأصل أعرض عنها المختصر، وإنى لأعلم رجالًا من فحول علم الحديث وغيره، يستخرجون من مضابئ الكتب علومًا وفوائد يغفل عنها من يستغنون ببعض الكتب عن بعض.

يقول الدكتور محمود الطناحى: قد شاع فى كتابات بعض الدارسين المحدثين، أن كتب التراث ذات الموضوع الواحد، تتشابه فيما بينها، وأن غاية اللاحق أن يدخل على ما تركه السابق، يدور حوله، ويردد مباحثه

وقضاياه. ثم أفضى ذلك الزعم إلى دعوة صاخبة، تنادى بغربلة التراث وتصفيته؛ بالإبقاء على النافع المفيد، وترك ما عداه مستقرًّا فى المتاحف كمومياء الفراعنة، يذكر بتطور الخطوط، وقواعد الرسم، وتاريخ صناعة الورق.

فإذا قلت لهم الزاعم: ماذا نأخذ وماذا ندع؟ حار وأبلس، واعتصم بسراديب التفكير الموضوعى، ومناهج البحث العلمى، وأشباه ذلك من تلك التهاويل الفارغة من الحقيقة. فإذا اضطررته إلى أضيق الطرق، وأخذته إلى فن واحد من فنون التراث، ونثرته أمامه مصنفات ذلك الفن، ثم طلبت إليه أن يختار ما يستحق أن يبقى عليه، وما هو جدير بأن ينحى، شغب ونازع، لأنه لا يملك أدوات الحكم على هذا الموروث؛ لبعده عنه، وخفائه عليه، ولم يجد بدًّا من العودة كرة أخرى إلى التفكير الموضوعى، والبحث العلمى، يسلبهما منك، ملقيًا بك فى ردغة الخبال، وظلمات الجهل، وبيداء التخلف.

وقد يسايرك بعضهم، آخذًا بالنصفة والبراءة، قائلًا: نقف عند القرون الخمسة الأولى؛ لأنها قرون الإبداع والخلق. فقل له: إن الخالفين من القرون اللاحقة قد أضافوا إلى ميراث تلك القرون السابقة إضافات صالحة، كشفت عن خبيئه، بل إنهم قد استخرجوا من علم الأوائل علمًا آخر، مصبوغًا بصبغتهم، موسومًا بسمتهم، ملبيًّا حاجات عصرهم، مفجرًا طاقات عظيمة من هذا العقل العربى، الذى مافتئ يغلى ويموج، كالبحر الهادر.

وعلى سبيل المثال، فإن القرن الثامن وهو فى تقديرك ورأيك مما ينبغى أن ينبذ ويطرح قد شهد أعلامًا شوامخ، مثل شيخ الإسلام ابن تيمية،

ومؤرخ الإسلام الحافظ الذهبي، ومجتهد عصره تقى الدين السبكى، وولده تاج الدين، والحافظ أبي الحجاج المزى، وختنه الحافظ المفسر المؤرخ عماد الدين بن كثير، والحافظ الكبير علم الدين البرزالى، والأديب المؤرخ صلاح الدين الصفدى، واللغوى الجامع ابن منظور، وإمامى النحو: أبى حيان وابن هشام.

وإن القرن التاسع قد شهد أمير المؤمنين فى الحديث، الحافظ ابن حجر العسقلانى، وشيخ الإقراء فى زمانه شمس الدين بن الجزرى، وعالم الاجتماع الكبير ابن خلدون، والمؤرخ الجغرافى تقى الدين المقريزى.

وإن القرن العاشر قد شهد الحافظ المؤرخ الحجة شمس الدين السخاوى، والحافظ المفسر النحوى، الجامع للفنون والمعارف جلال الدين السيوطى، ولا تقل: إنه جماع، فقد حفظ لنا فى تصانيفه التى بلغت نحو ستمائة مصنف (٦٠٠) كثيرًا مما عدت عليه عوادى الناس والأيام، من علوم الأوائل وفنونها، واستخراج من كل ذلك علمًا عرف به ونسب إليه.

فإذا جئنا إلى القرن الحادى عشر وهو عندك مما لا يلتفت إليه، ولا يعاج به؛ لأن هذا العصر فى رأيك عصر انحطاط وانحدار، من حيث كانت الغلبة فيه للأتراك العثمانيين. وهم من كرام هذه الأمة الإسلامية، شئت أم أبيت: رأينا علماء كبارًا، منهم شهاب الدين الخفاجى، صاحب المصنفات الكبيرة: ريحانة الألبا؛ تراجم أدباء عصره، وشفاء الغليل فيما فى كلام العرب من الدخيل، وشرح درة الغواص، للحريرى، وطراز المجالس، ونسيم الرياض فى شرح شفاء القاضى عياض. ومن أعظم تصانيفه وأبقاها: حاشيته على تفسير البيضاوى، المسماة: عناية القاضى وكفاية الراضي. فى ثمانى مجلدات كبار.

والعلامة عبد القادر البغدادى، صاحب «الخزانة» وهى من مفاخر التأليف العربى.

وفى القرنين الثانى عشر والثالث عشر، نلتقى بعلمين كبيرين: المرتضى الزّبيدى، صاحب «تاج العروس»، و«إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين». والشوكانى، صاحب «فتح القدير»، و«نيل الأوطار»، إلى علماء الهند، الذين توفّروا على السنة المطهرة، شرحًا ونشرًا.

وكل هؤلاء؛ من ذكرت ومن لم أذكر، قد فسروا، وأضافوا، واستخرجوا.

فهل نلقى بهم جميعًا فى غيابات الجب، ومتاحف الآثار؟.

وهل من المقبول فى موازين العقل والعدل، أن تطالب إنسانًا خلف له أهله ثروة طائلة، ثم أقبل عليها، يثمرها وينميها بجهده وعرقه، حتى أضاف إليها أضعافها. هل من المقبول أن تطالبه بأن يتخلى عن هذا الذى أضافه، ويقنع بما تركه له أهله؟.

وقد يبدو هذا التشبيه لك ساذجًا، ولكن الضرورة ألجأتنا إليه وللضرورة أحكامها.

ثم أعود مرة أخرى إلى قضية «أن كتب التراث يغنى بعضها عن بعض»

وقد شغلتنى هذه القضية، وعشت مخدوعًا بها زمانًا، حتى ظهر لى زيفها وبطلانها، بشواهد ومثل كثيرة، وبخاصة فى كتب التراجم، ومصنفات اللغة. وأكتفى بعرض مثال واحد فى كتب اللغة:

من المعروف أن أكمل المعاجم اللغوية وأوسعها، كتابان، هما: لسان

العرب، لجمال الدين أبى الفضل محمد بن مكرم بن منظور، المتوفى بمصر سنة ٧١١ هـ، وتاج العروس فى شرح القاموس، لأبى الفيض محمد بن محمد بن محمد. المرتضى الزبيدى المتوفى بمصر أيضًا سنة ١٢٠٥ هـ.

فقد جمع ابن منظور فى كتابه أصول المعاجم: الصحاح للجوهرى، وحواشيه لابن بَرِّى، والتهذيب للأزهرى، والمحكم لابن سيده، والنهاية فى غريب الحديث والأثر، لابن الأثير. وعوّل المرتضى الزبيدى على اللسان، مع ما أضافه من كتب الصاغانى: التكملة، والعباب. وكتب شيخ محمد بن الطيب محمد الفاسى المالكى، المتوفى بالمدينة المنورة سنة ١١٧٠ هـ. إلى كتب أخرى صغار وكبار.

فكان النظر فى هذين المعجمين الكبيرين مغنيًا عن النظر فيما سواهما، للذى قيل: «كل الصيد فى جوف الفرا». لكنى وقعت على ما يقتضى التوقف فى هذا الحكم:

وذلك ما أثاره ابن الأثير، فى النهاية، حين عرض لشرح حديث: «**أتاكم أهل اليمن، هم أرق قلوبًا وأبخع طاعة**».

قال: «أى أبلغ، وأنصح فى الطاعة من غيرهم، كأنهم بالغوا فى بخع أنفسهم، أى قهرها وإذلالها بالطاعة».

ثم قال: «قال الزمخشرى: هو من بخع الذبيحة: إذا بالغ فى ذبحها، وهو أن يقطع عظم رقبتها، ويبلغ بالذبح البخاع بالباء وهو العرق الذى فى الصلب، والنخع، بالنون: دون ذلك، وهو أن يبلغ بالذبح النخاع، وهو الخيط الأبيض، الذى يجرى فى الرقبة. هذا أصله، ثم كثر حتى استعمل فى كل مبالغة. هكذا ذكره فى كتاب الفائق فى غريب الحديث وكتاب الكشاف

فى تفسير القرآن، ولم أجده لغيره، وطالما بحثت عنه فى كتب اللغة والطب، والتشريح، فلم أجد البخاع بالباء مذكورًا فى شىء منها».

هذا كلام ابن الأثير، والأمر على ما قال، فى كتابى الزمخشرى: الفائق، والكشاف، وأيضًا جاء بعضه فى أساس البلاغة.

قلت: هذا الذى تعقب به ابن الأثير، الزمخشرى، قد شاع فى معاجم المتأخرين: ابن منظور، والفيروزابادى، والمرتضى الزّبيدى.

ويدل سياق هؤلاء جميعًا فى كتبهم، على أن الزمخشرى منفرد دون اللغويين بذكر «البخاع» بالباء الموحدة، حتى ليقول الزبيدى، بعد حكاية كلام ابن الأثير والفيروزابادى: «قال شيخنا: وقد تعقب ابن الأثير قومٌ، بأن الزمخشرى ثقة ثابت، واسع الاطلاع، فهو مقدم».

فهذا كلام دال بوضوح، على أن الزمخشرى منفرد بذكر هذا القول، وأن انفراده به لا يطعن فيه، لأنه ثقة مأمون.

وقد وقعت على نص عال موثق، يدل على أن هذه التفرقة بين «البخاع» بالباء الموحدة، و«النخاع» بالنون، تفرقة قديمة، سابقة على الزمخشرى المتوفى سنة (٥٣٨). وذلك ما ذكره ابن فارس، المتوفى سنة (٣٩٥)، فى كتابه معجم مقاييس اللغة:

قال رحمه الله: «قال أبو على الأصفهانى، فيما حدثنا به أبو الفضل محمد ابن العميد، عن أبى بكر الخياط، عنه، قال: قال الضبى: بخعت الذبيحة: إذا قطعت عظم رقبتها، فهى مبخوعة، ونخعتها: دون ذلك؛ لأن النخاع: الخيط الأبيض الذى يجرى فى الرقبة وفقار الظهر. والبخاع، بالباء: العرق الذى فى الصلب.

فأنت ترى أنَّ الزمخشرى مسبوقٌ فيما ذهب إليه، بهذا الذى حكاه ابن فارس، بإسناده إلى الضبى، وقد خفى هذا على ابن الأثير، ومن جاء بعده: ابن منظور، والفيروزابادى، والمرتضى الزَّبيدى، وشيخه محمد بن الطيب الفاسى، وإن كان هذا قد أحال على الثقة بالزمخشرى وسعة اطلاعه.

وواضح أن هناك فرقًا بين أن تفزع إلى المعاجم؛ لتصيب معنى لغويًّا لما يعرض لك من ألفاظ، وبين أن تكون بإزاء قضية لغوية، تريد أن تنتهى فيها إلى رأى حاسم قاطع. هنا لا يغنيك النظر فى هذين الكتابين اللسان والتاج، مع سعتهما وإحاطتهما عن الرجوع إلى غيرهما، من صغار الكتب وأوساطها، وهنا أيضًا لا يفيدك قول أبى الطيب:

ومن ورد البحر استقل السواقيا

إن علماءنا الأوائل، رحمهم الله ورضى عنهم، لم يكونوا يعبثون حتى يتوفَّرون على الفن الواحد، من فنون التراث، فيكثرون فيه التأليف والتصنيف، ويدخل الخالف منهم على السالف.

ونعم، وقد تجمع بعضهم جامعة المنزع والمنهج العام، ولكن يبقى لكل منهم مذاقه ومشربه، كالذى تراه من اجتماع أبى جعفر الطبرى، وعماد الدين بن كثير على تفسير القرآن الكريم بالمأثور، وافتراقهما فى أسلوب التناول ومنهج العرض.

ولم يكن النحاة يعانون من الفراغ، أو قلة الزاد، حين عكفوا على كتاب مثل «الجمل» لأبى القاسم الزجاجى، فوضعوا له مائة وعشرين شرحًا.

ومن الغريب حقًّا أننا لا نجد بأسًا أن يكثر الدارسون المحدثون من التأليف فى الفن الواحد، كتبًا ذاهبةً فى الكثرة والسعة، كالذى تراه من

التأليف فى فنون الشعر والقصة والمسرح، ثم نحجر على أسلافنا ! ونعيب عليهم مثل ذلك، ثم ننعتهم بالثرثرة والدوران حول أنفسهم ! ولكنها آفة الذين يلتمسون المعابة لأسلافهم بالظن الخادع، والوهم الكذوب.

وإنه لحق أن بعض ما تركه الأوائل، منتزعٌ من جهود سابَقة، وتعدُّ إضافته إلى الفن إضافةً محدودة، ولكنَّ مثل ذلك معروف مسطورٌ، ومدلول عليه أيضًا بكلام الأوائل أنفسهم، وأكثر ما ترى ذلك فى مقدمات الكتب، كهذا الذى صنعه ابن الأثير، فى مقدمة «النهاية» حين قضى على تأليف ابن الجوزى، فى غريب الحديث، بأنه مسلوخٌ من كتاب أبى عبيد الهروى.

قال رحمه الله:

«ولقد تتبعت كتابه، فرأيته مختصرًا من كتاب الهروى، منتزعًا من أبوابه، شيئًا فشيئًا، ووضعًا فوضعًا، ولم يزد عليه إلا الكلمة الشاذة واللفظة الفاذة. ولقد قايست ما زاد فى كتابه على ما أخذه من كتاب الهروى، فلم يكن إلا جزءًا يسيرًا من أجزاء كثيرة.

وأحب أن أشير إلى أن هذه المختصرات التى تشغل حيزًا من التأليف العربى، قد تجد فيها ما لست تجده فى الأصول. ومن ذلك وهو كثير كتاب «مختار الأغانى فى الأخبار والتهانى» لابن منظور صاحب «اللسان» وقد طبع هذا المختصر فى ثمانية أجزاء، وفى الجزء الثالث منه ترجمة موسعة لأبى نواس، تضمنت أخبارًا وأشعارًا لأبى نواس، لا تجدهما فى الأصل المختصر، وذلك أن لابن منظور كتابًا مفردًا لأخبار أبى نواس، وهو مطبوع.

وكذلك صنع ابن منظور، فى ترجمة جميل بن معمر، حيث أورد له بعض

أشعار وأخبار لم ترد فى الأغانى.

والظن بابن منظور أن يكون قد فعل مثل ذلك، فيما اختصره من كتب التراث، فقد كانْ مُغرىً باختصار كتب الأدب المطولة، كما يقول ابن حجر، وقال صلاح الدين الصفدى: «ما أعرف فى كتب الأدب شيئًا إلا وقد اختصره». ومن مختصراته مختصر مفرادات ابن البيطار، فى الأدوية، ولطائف الذخيرة مختصر الذخيرة لابن بسام. ومختصر تاريخ دمشق لابن عساكر. ومختصر تاريخ بغداد للسمعانى. ومختصر الحيوان للجاحظ. ومختصر أخبار المذاكرة ونشوار المحاضرة للتنوخى.

ومن حديث المختصرات ما لاحظته، أنا وأخى الدكتور عبد الفتاح الحلو، فى أثناء عملنا فى تحقيق طبقات الشافعية الكبرى، لتاج الدين بن السبكى: أن الطبقات الوسطى للمؤلف قد اشتملت على فوائد لم ترد فى الطبقات الكبرى، بل إن فيها من التراجم ما لم يذكر أصلًا فى الطبقات الكبرى.

وكتاب تقريب التهذيب، لابن حجر العسقلانى، فيه من التقييد والضبط، ما لست تجده فى أصله: تهذيب التهذيب، للمؤلف نفسه، وقد أحسن ناشرو تهذيب التهذيب، فى دائرة المعارف العثمانية، بالهند حين أنزلوا هذا الضبط والتقييد فى حواشى الكتاب.

ومثل ذلك يقال فى مصنفات شمس الدين الذهبى التاريخية: تاريخ الإسلام وسير أعلام النبلاء، والعبر فى خبر من غبر، وتاريخ دول الإسلام.

إن تراثنا لم يأخذ مكانه بين تراث الإنسانية إلا بما صنفه الأوائل،

مضافًا إليه تلك الشروح والمختصرات والذيول، والصِّلات، والحواشي والتقريرات.

نقول هذا لأبنائنا طلبة العلم، ونذكر به أيضًا العقلاء من إخواننا أساتذة الجامعات العربية. أما الذين يلتمسون تراجم الرجال من «دوائر المعارف»، و«الموسوعة العربية الميسرة» ويطلبون الشروح اللغوية من «المنجد» و«أقرب الموارد»، ويجمعون تراجم الشعراء، من «شعراء النصرانية»، فقد سقطت كلفة الحديث معهم.



اعرف فرق ما بين الطبعات كما تعرف فرق ما بين المخطوطات

طالب العلم فيما أزعم هو أكثر طلبة العلم احتياجًا إلى الدقة فى اختيار طبعات الكتب التى يقرأها أو يدرسها أو يرجع إليها، بل إن قضية التصحيف والتحريف إنما تظهر أهميتها وتظهر عظم مغبتها فى العلم الشرعى بالذات، والحديث فى ذلك ذو شجون.

يقول الدكتور محمود الطناحى:

«واجب على طالب العلم أن يعرف فرق ما بين الطبعات، فإن كثيرًا من كتب التراث قد طبع مرتين أو أكثر وتتفاوت هذه الطبعات فيما بينها؛ كمالًا ونقصًا، وصحة وسقمًا، ولا بد أن يكون رجوع الطالب إلى الطبعة المستوفية لشرائط الصحة والقبول، وهذه الشرائط ظاهرة لائحة لمن يتأملها، وتتمثل فى التقديم للكتاب، وبيان وزنه العلمى، وفهرسته فهرسةً فنية، تكشف عن كنوزه وخباياه، والعناية بضبطه الضبط الصحيح، والتعليق عليه بما يضيئه، ويربطه بما قبله وبما بعده، فى غير سرف ولا شطط، ثم فى الإخراج الطباعى، المتمثل فى جودة الورق، ونصاعة الحرف الطباعى.

وقد حظى تراثنا ولله الحمد والمنة منذ ظهور المطبعة فى القرن الخامس عشر الميلادى إلى يوم الناس هذا، بعلماء كبار، فى الشرق والغرب، توفروا على الإخراج العلمى الصحيح وطابعين مهرة أظهروه فى حلل

زاهية، لكنه ظهر إلى جانب هؤلاء، ناشرون متساهلون، وطابعون متعجلون، أرادوا ثراء المال من أيسر سبيل فاعرف أيها الطالب وأنكر، وأقبل وأعرض، على ما وصفت لك، تستقم دراستك، وتمض إلى ما تريد لها من كمال وإتقان».

وقد اعتنيت ببيان أحسن طبعات الكتب التى أذكرها فى البرنامج العلمى.



التماس العلم عند الأكابر

قال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «لا يزال الناس بخير ما أتاهم العلم من قبل أصحاب محمد ﷺ وأكابرهم، فإذا أتاهم العلم من قبل أصاغرهم فذلك حين هلكوا» أ هـ. [«الزهد» لابن المبارك (٨١٥)].

وقال أيضًا: «إنكم لن تزالوا بخير ما دام العلم فى ذوى أسنانكم، فإذا كان العلم فى الشباب أنف ذو السن أن يتعلم من الشباب». أ هـ. [«العلم» لأبي خيثمة (ص١٥٥)].

قال ابن قتيبة: «يريد: لا يزال الناس بخير ما كان علماءهم المشايخ، ولم يكن علماءهم الأحداث». [«تضحية أهل الحديث» للخطيب البغدادى (ص٣٠)].

لأن الشيخ قد زالت عنه متعة الشباب وحدته وعجلته وسفهه، واستصحب التجربة والخبرة، فلا يدخل عليه فى علمه الشبهة، ولا يغلب عليه الهوى، ولا يميل به الطمع، ولا يستزله الشيطان استزلال الحدث.

ومعه السن والوقار والجلالة والهيبة.

والحدث قد تدخل عليه هذه الأمور التى أمنت على الشيخ، فإذا دخلت عليه وأفتى هلك وأهلك». أ هـ.

وأخبر النبى ﷺ فى وصفه للخوارج الذين ضلوا بأنهم حدثاء أسنان. [البخارى (٦٩٣٠)، ومسلم (١٠٦٦)].

قال الحافظ النووى رحمه الله: «يستفاد منه أن التثبت وقوة البصيرة تكون عند كمال السن وكثرة التجارب وقوة العقل». اهـ.

واستنبط الحافظ ابن حجر من إيراد البخارى لحديث أبى هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فى تضييع الأمانة بأن يوسد الأمر إلى غير أهله فى كتاب العلم ما يلى حيث قال:

«وكأن المصنف أشار إلى أن العلم إنما يؤخذ عن الأكابر، تلميحًا لما رُوِى عن أمية الجمحى أن رسول الله ﷺ قال: «**من أشراط الساعة أن يُلتمس العلم عند الأصاغر**» أ هـ. [«فتح البارى» (١/ ١٤٣)].

وليس معنى هذا أن الشاب لا يكون عالمًا أو طالب علم، بل يوجد فى الشباب فيمن مضى وفى زمننا هذا من حصل العلوم وكان أهلًا للتدريس.

قال ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته، كهولًا كانوا أو شبانًا». أ هـ. [البخارى (٤٦٤٢)].

وفى «الصحيحين»: قال ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: كنت أُقرئ رجالًا من المهاجرين منهم عبد الرحمن بن عوف.

قال ابن الجوزى فى «كشف المشكل»: «فيه تنبيه على أخذ العلم من أهله وإن صغرت أسنانهم وقلت أقدارهم» أ هـ. [«الآداب الشرعية» لابن مفلح (٢/ ١١١)].

لكن لا ينبغى لمن كان فى بلده عالم كبير مُبرز فى العلم أن يُفرط فى مجالسته والأخذ عنه، ويزهد فيه ثم يتلقى عمن هو دونه من طلبة العلم الشباب. [مستفاد من «النبذ فى طلب العلم» لحمد العثمان].

العمل بالعلم

أخى القارئ، لسان حالى، وأنا أسوق هذا الأدب أتمثل قول إبراهيم التيمى رحمه الله: «ما عرضت قولى على عملى إلا خشيت أن أكون مكذبًا» أ هـ.

وأتمثل قول القحطانى فى «نونيته»:

والله لو علموا خبيء سريرتى ... لأبى السلام على من يلقانى

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ (٣) ﴾ [الصف: ٣].

وقال تعالى عن شعيب عليه السلام: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ﴾ [هود: ٨٨].

وقال تعالى: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ﴾ قال مجاهد: «بقوة» يعمل بما فيه. [«تفسير ابن كثير» (١/ ١٠٥)].

وقال تعالى: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾، قال الأصمعى والإسماعيلى: «الربانى نسبة إلى الرب، أى: الذى يقصد ما أمره الرب بقصده من العلم والعمل» أ هـ. [«مفتاح دار السعادة» (١/ ١٢٤)، و«فتح البارى» (١/ ١٦٣)].

وقال ثعلب: «قيل للعلماء: ربانيون لأنهم يربون العلم، أى: يقومون به» أ هـ.

وقال ابن الأعرابى: «لا يقال للعالم: ربانى حتى يكون عالمًا معلمًا عاملًا». أهـ. [«القبس شرح الموطأة» لأبى بكر بن العربى (٣/ ١٠٥٧)].

وقال تعالى: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾ قال ابن وهب: قال مالك: «الراسخ: العالم العامل، فإذا لم يعمل بعلمه فهو الذى يقال فيه: نعوذ بالله من علم لا ينفع!» أ هـ.

وقال تعالى: ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ﴾ قال مالك بن مغول: «تركوا العمل به» أ هـ. [«جامع بيان العلم وفضله» لابن عبد البر (ص٢١٨)].

وعن أبى برزة الأسلمى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل: عن عمر فيما أفناه، وعن علمه فيم فعل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيما أبلاه**». [الترمذى (٢٤١٧) وقال: هذا الحديث حسن صحيح].

وقال حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يا معشر القراء! استقيموا فقد سبقتم سبقًا بعيدًا، فإن أخذتم يمينًا وشمالًا لقد ضللتم ضلالًا بعيدًا. [البخارى (٧٢٨٢)].

ومن بديع ما وقع فى «صحيح مسلم» إسناد مسلسل بالعمل بما علم راووه: قال مسلم رحمه الله: حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير: حدثنا أبو خالد، عن داود بن أبى هند، عن النعمان بن سالم، عن عمرو بن أوس قال: حدثنى عنبسة بن أبى سفيان فى مرضه الذى مات فيه بحديث يتسار إليه، قال: سمعت أم حبيبة تقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من صلى اثنتى عشرة ركعة فى يوم وليلة، بنى له بهن بيت فى الجنة**». [(٧٢٨٢)].

قالت أم حبيبة: فما تركتهن منذ سمعتهن من رسول الله ﷺ، وقال عنبسة: فما تركتهن منذ سمعتهن من أم حبيبة، وقال عمرو بن أوس: ما

تركتهن منذ سمعتهن من عنبسة، وقال النعمان بن سالم: ما تركتهن منذ سمعتهن من عمرو بن أوس.

قال أبو نعيم: حدثنا أبو الجابية الفرّاء قال: قال الشعبي: «إنا لسنا بالفقهاء، ولكنا سمعنا الحديث فرويناه، ولكن الفقهاء من إذا علم عمل» أ هـ. [«سير أعلام النبلاء» (١١/ ٢١٣)].

وقال عبد الرحمن بن مهدى: «سمعت سفيان يقول: ما بلغنى عن رسول الله ﷺ حديث قط إلا عملت به ولو مرة». أ هـ. [«سير أعلام النبلاء» (٧/ ٢٤٢)].

وقال الإمام أحمد: «ما كتبت حديثًا إلا وقد عملت به، حتى مر بى أن النبى ﷺ احتجم وأعطى أبا طيبة دينارًا، فأعطيت الحجام دينارًا حين احتجمت» أ هـ. [«سير أعلام النبلاء» (١١/ ٢١٣)].

وقال أبو الشيخ الأصبهانى فى شأن كتابه «ثواب الأعمال» : «ما عملت فيه حديثًا إلا بعد أن استعملته». [«سير أعلام النبلاء» (١٦/ ٢٧٨)].

وقال وكيع: «كنا نستعين على حفظ الحديث بالعمل به» أ هـ. [«الباعث الحثيث» (١٥٨)].

وقال سفيان بن عيينة: «من عمل بما يعلم، كفى ما لم يعلم» أ هـ. [«سير أعلام النبلاء» (٨/ ٤٦٧-٤٦٨)].

وقال عمر بن عبد العزيز: «إنما قصر بنا عن علم ما جهلنا تقصيرنا فى العمل بما علمناه» أ هـ. [«المحرر الوجيز» (١٢/ ٢٤٠)].

وهذا الأعمش لم تفته التكبيرة الأولى قريبًا من سبعين سنة، كما قال

وكيع. [«سير أعلام النبلاء» (٦/٢٢٨)].

وقال ابن حبان: «العاقل لا يبيع حظ آخرته فى العلم لما ينال من حطام هذه الدنيا، لأن العلم ليس القصد فيه نفسه دون غيره، لأن المبتغى من الأشياء كلها نفعها لا نفسها، والعلم ونفس العلم شيئان، فمن أغض عن نفعه لم ينتفع بنفسه، وكان كالذى يأكل، والعلم له أول وآخر» أ هـ.

وقال ابن الجوزى: «ما لقيت مشايخ أحوالهم مختلفة، يتفاوتون فى مقاديرهم فى العلم، وكان أنفعهم لى فى صحبته العامل منهم بعلمه وإن كان غيره أعلم منه» ا هـ. [«روضة العقلاء» (ص٣٤)].

وقال ابن الجوزى: لقيت مشايخ أحوالهم مختلفة، يتفاوتون فى مقاديرهم فى العلم، وكان أنفعهم لى فى صحبته العامل فيهم بعلمه وإن كان غيره أعلم منه» أ. هـ [«صيد الخاطر» (ص١٠٨)].

وقال الخطيب البغدادى: «والعلم يراد للعمل، كما العمل يراد للنجاة، فإذا كان قاصرًا عن العمل، كان العلم كَلًّا على العالم، ونعوذ بالله من علم عاد كَلًّا، وأورث ذُلًّا، وصار فى رقبة صاحبه غُلًّا» أ هـ. [«اقتضاء العلم العمل» للخطيب البغدادى (ص١٥٨)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «أشد الناس عذابًا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه؛ فذنبه من جنس ذنب اليهود» أ هـ.

وقال أبو زكريا بن النحاس الدمشقى: «فالعالم إذا خالف علمه عمله، وكذب فعله قوله كان ممقوتًا فى الأرض والسماء مضلة لمن رام به الاقتداء، وإذا أمر بغير ما يعمل مجت الأسماع لكلامه، وقلت فى الأعين مهابته، وزالت من القلوب مكانته كما قال مالك بن دينار: إن العالم إذا لم

يعمل بعلمه تزل موعظته عن القلوب، كما يزل القطر من الصفا» أ هـ.
[«تنبيه الغافلين» (ص١٣٠)]، [مستفاد من «النبذ فى طلب العلم» لحمد العثمان].



ضبط الاصطلاحات

طالب العلم الشرعى يحتاج إلى معرفة معانى ألفاظ القرآن والسنة، وكلام الصحابة، والعلماء على اختلاف طبقاتهم، ذلك أن الألفاظ المستعملة فى اصطلاح بعض العلماء تختلف عن معانيها الواردة فى الكتاب والسنة، فضلًا عن اختلاف اصطلاح العلماء أنفسهم تبعًا لطبقاتهم ومذاهبهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ومن لم يعرف لغة الصحابة التى كانوا يتخاطبون بها ويخاطبهم بها النبى ﷺ، وعادتهم فى الكلام وإلا حرّف الكلم عن مواضعه، فإن كثيرًا من الناس ينشأ على اصطلاح قوم وعادتهم فى الألفاظ ثم يجد تلك الألفاظ فى كلام الله أو رسوله أو الصحابة، فيظن أن مراد الله أو رسوله أو الصحابة بتلك الألفاظ ما يريده بذلك أهل عادته واصطلاحه، ويكون مراد الله ورسوله والصحابة خلاف ذلك.

وهذا واقع لطوائف من الناس من أهل الكلام واللغة والنحو والعامة وغيرهم». أهـ. [«قاعدة جليلة فى التوسل والوسيلة» (ص٧٧)].

وهذه بعض الأمثلة لزيادة بيان هذا الأمر توضيحًا وتجليةً:

السنة فى الشرع هى ما سنه رسول الله ﷺ لأمته من واجب ومستحب، وهى فى اصطلاح الأصوليين ما يجوز تركه.

والكراهة فى كلام الله ورسوله والسلف تطلق على المحرم، وفى اصطلاح المتأخرين تطلق على ما ليس بمحرم، وما تركه أرجح من فعله. [«إعلام الموقعين» (١/ ٤٣)].

والنسخ فى اصطلاح السلف يطلق على تخصيص العام وتقييد المطلق والاستثناء، وفى اصطلاح المتأخرين يطلق على رفع حكم شرعى بمثله متراخ عنه. [«إعلام الموقعين» (٢/ ٢٩٧)، و«الموافقات» (٣/ ١٠٨)].

ولعلك إذا قرأت تفسير قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾﴾ [البقرة: ١٨٠]، وقفت على قول ابن عباس رضي الله عنهما أنها منسوخة بآيات المواريث، وقول آخر عنه أنها محكمة، فلا تظن أن ابن عباس له قولان، بل قوله متفق، فهو يريد بالنسخ التخصيص بآيات المواريث للأقارب الوارثين، والآية محكمة فى الوصية للأقارب غير الوارثين. [«تفسير ابن كثير» (١/ ٢١١)].

ولعل الاختلاف فى اصطلاح علماء الحديث وأئمة الجرح والتعديل أكثر وأظهر، وتمييز معانى ألفاظهم يحتاج إلى سعة اطلاع واستقراء تام، وبهذا دخل النقص على المتأخرين بسبب فقدان العبارات المتيقنة كما قال الحافظ الذهبى رحمه الله [«الموقظة» (ص٤٦)]، [مستفاد من «النبذ فى طلب العلم» لحمد العثمان].



الحذر من الإغراق فى الدقائق مع التفريط فى المهم

قال تعالى: ﴿وَلَكِن كُونُوا رَبَّنِيِّينَ﴾ [آل عمران: ٧٩]، قال البخارى رحمه الله: «ويقال الربانى الذى يربى الناس بصغار العلم قبل كباره» أ هـ. [«كتاب العلم - باب العلم قبل القول والعمل»].

وقال الحافظ ابن حجر:

«والمراد بصغار العلم ما وضح من مسائله، وبكباره ما دق منها، وقيل يعلمهم جزئياته قبل كلياته، أو فروعه قبل أصوله، أو مقدماته قبل مقاصده» أ هـ. [«الفتح» (١/ ١٦٢)].

وقال أبو جعفر القطيعى: «سألت أبا عبد الله عن الوضوء بماء النورة؟ فقال: ما أحب ذلك، قلت: أتوضأ بماء الباقلاء؟ قال: ما أحب ذلك، قلت أتوضأ بماء الورد؟ قال: ما أحب ذلك، قال: فقمت فتعلق فى ثوبى ثم قال: إيش تقول إذا دخلت المسجد؟ فسكت، قال: وإيش تقول إذا خرجت من المسجد؟ فسكت، قال: فتعلم هذا» أ هـ. [«طبقات الحنابلة» (١/ ٤١)].

وقال المروذى: قال أبو عبد الله: «سألنى رجل مرة عن يأجوج ومأجوج؛ أمسلمون هم؟ فقلت له: أحكمت العلم حتى تسأل عن ذا؟!» أهـ. [«الآداب الشرعية» (٢/ ٦٩)].

وقال ابن الجوزى: «أما العلم فلا أقول له: اشبع من العلم ولا اقتصر على بعضه، بل أقول له: قدم المهم، فإن العالم من قدر عمره، وعمل بمقتضاه، وإن كان لا سبيل إلى العلم بمقدار العمر، غير أنه يبنى على الأغلب، فإن وصل فقد أعد لكل مرحلة زادًا، وإن مات قبل الوصول فنيته تسلك به. فإذا علم العاقل أن العمر قصير، وإن العلم كثير فقبيح بالعاقل الطالب لكمال الفضائل أن يتشاغل مثلًا بسماع الحديث ونسخه ليحصِّل كل طريق وكل رواية وكل غريب! وهذا لا يفرغ من مقصوده منه فى خمسين سنة خصوصًا إن تشاغل بالنسخ ثم لا يحفظ القرآن، أو يتشاغل بعلوم القرآن ولا يعرف الحديث، أو بالخلاف فى الفقه ولا يعرف النقل الذى عليه مدار المسألة» أ هـ. [«صيد الخاطر» (ص١٣)].

ومن جملة ما يلفت النظر فى هذا ما ذكره الزركشى فى كلامه على أقل الجمع حيث قال: «وأما القرافى فأطنب فى إشكال هذه المسألة وقال: إن له نحوًا من عشرين سنة يورده، لم يتحصل عنده جواب» أ هـ. [«البحر المحيط» (٣/ ١٤١)]، [مستفاد من «النبذ فى طلب العلم» لحمد العثمان].

❁ ❁ ❁

ضبط أصول المسائل

طلب أصول المسائل وقواعد الأحكام العلمية والعملية هو الواجب على طالب العلم، وهذه طريقة القرآن والسنة، فالشرع لم ينص على كل مسألة بعينها وحكمها إلى يوم القيامة، وإنما نصوصه كلمات جوامع وقواعد كلية، يُنظر فيما لم يذكر هل هو داخل فى هذه الكليات أو لا؟

والله أنزل الميزان وهو العدل والشرع حتى يجمع بين المتماثلات ويفرق بين المختلفات، وإنما ذكرت الأمثلة تنبيهًا على القاعدة ومأخذها ولم تذكر الأمثلة على وجه الاستقصاء، لأنه لا حد لها تنتهى إليه.

فالواجب على طالب العلم طلب أصول المسائل والقواعد الشرعية، لأنه بذلك يرد آحاد المسائل إلى هذه الأصول فيعرف حكمها الشرعى.

وأما إذا أتبع طالب العلم نفسه طلب حكم آحاد المسائل دون ضبط أصولها، فهذا لا ينتهى به إلى الحال إلى حد معين، ويضيع عليه الوقت دون تحقيق العلم، ولا تحصل له طمأنينة فيما لم يطلع عليه من آحاد المسائل.

قال ابن عبد البر رحمه الله: «واعلم يا أخى أن الفروع لا حد لها تنتهى إليه أبدًا، ولذلك تشعبت، فمن رام أن يحيط بآراء الرجال فقد رام ما لا سبيل له لغيره إليه، لأنه لا يزال يرد عليه ما لم يسمع» أ هـ. [«جامع بيان العلم وفضله» (ص٥٣٢)].

وقال العلامة عبد الرحمن السعدى رحمه الله: «إنه إذا ذكرت أصول المسائل ومآخذها ومقاصد الشرع وبيان حكمها وأسرارها، تقررت فى

الأذهان وصار هذا العلم على هذا الوجه أكمل بكثير من تعلم مجرد صور المسائل وأفرادها دون حكمها ومأخذها، فإن هذا النوع قليل الثبوت فى الذهن، لا يُكسب صاحبه تمرنًا على المباحث العلمية والتفريعات النافعة، ولا يهتدى إلى الفرق بين المسائل وأحكامها، ولا إلى الجمع بين المسائل المجتمعة وأحكامها فى أصل وعلة» أ هـ. [مستفاد من «النبذ فى طلب العلم» لحمد العثمان].



مذاكرة العلم

عن أبي موسى الأشعرى رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**تعاهدوا القرآن، فوالذى نفس محمد بيده لهو أشد تفلتًا من الإبل فى عقلها**». [البخارى (٥٠٣٣)، ومسلم (٧٩١)].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**إنما مثل صاحب القرآن كمثل الإبل المعلقة، إن عاهد عليها أمسكها، وإن أطلقها ذهبت**». [البخارى (٥٠٣١)، ومسلم (٧٨٩)].

قال أبو عمر ابن عبد البر: «وإذا كان القرآن الميسر للذكر كالإبل المعقلة من تعاهدها أمسكها، فكيف بسائر العلوم» أ هـ. [«التمهيد» (٣/ ٢٠٢)].

وعن عائشة رضي الله عنها عن فاطمة رضي الله عنها:

أسر النبى ﷺ: «**أن جبريل كان يعارضنى بالقرآن كل سنة، وإنه عارضنى العام مرتين، ولا أراه إلا حضر أجلى**». [البخارى (٣٦٢٤)].

قال على بن أبي طالب رضي الله عنه: «تذاكروا الحديث فإنكم إن لم تفعلوا ذاكم اندرس العلم» أ هـ. [الدرامى (١/ ١٥)، والحاكم (١/ ٩٥)].

وقال الحسن البصرى: «إن لنا كتبًا نتعاهدها» أ هـ. [«العلم» لأبي خيثمة (٦٦)].

وقال الزهرى رحمه الله: «إنما يذهب العلم بالنسيان وترك المذاكرة» أهـ. [«سير أعلام النبلاء» (٥/ ٣٣٧)].

وقال الخطيب البغدادى: وينبغى أن يراعى ما يحفظه، ويستعرض جميعه كلما مضت له مدة ولا يغفل عن ذلك، فقد كان بعض العلماء إذا علم إنسانًا مسألة من العلم سأله عنها بعد مدة، فإن وجده قد حفظها علم أنه محب للعلم فأقبل عليه وزاده، وإن لم يره قد حفظها وقال له المتعلم: كنت قد حفظتها فأنسيتها ! أو قال: كتبتها فأضعتها ! أعرض عنه ولم يعلمه» أ هـ. [«الفقيه والمتفقه» (٢/ ١٠١)].

وقال الخطيب البغدادى أيضًا: «وينبغى أن يجعل لنفسه مقدارًا كلما بلغه وقف وقفته أيامًا لا يريد تعلمًا؛ فإن ذلك بمنزلة البنيان، ألا ترى أن من أراد أن يستجد البناء بنى أذرعًا يسيرة ثم ترك حتى يستقر ثم يبنى فوقه، ولو بنى البناء كله فى يوم واحد لم يكن بالذى يستجاد، وربما انهدم بسرعة، وإن بقى كان غير محكم. فكذلك المتعلم ينبغى أن يجعل لنفسه حدًّا كلما انتهى إليه وقف عنده، حتى يستقر ما فى قلبه ويريح بتلك الوقفة نفسه، فإذا اشتهى العلم بنشاط عاد إليه، وإن اشتهاه بغير نشاط لم يعرض له، فإنه قد يشتهى الإنسان المكان يطير له يحب أن يعلو عليه، ويرى من نفسه الاقتدار وليس له فى الطبع نشاط، فلا يثبت ما يتعلمه فى قلبه، وإذا اشتهى مع نشاط يكون فيه ثبت فى قلبه ما يسمعه وحفظه.

وكان ذلك بمثابة رجل يشتهى الطعام، ولا تكون معدته نقية، فإذا أكل ضره ولم يستمرأه، وإذا اشتهى والمعدة نقية استمرأ ما أكل وبان على جسمه» أ هـ. [«الفقيه والمتفقه» (٢/ ١٠٨)].

وقال ابن الجوزى:

«فكم ممن ترك الاستذكار بعد الحفظ فضاع زمن طويل فى استرجاع

محفوظ قد نسى» أ هـ. [«صيد الخاطر» (ص١٣٧)].

وهذا أبو سعيد، خلف المعلم لما اجتمع بدرّاس بن إسماعيل أبي ميمونة بالقيروان وسلّم عليه، وألقى أبو ميمونة على خلف المعلم نحوًا من أربعين مسألة، من المستخرجة والواضحة، فأجابه عنها أبو سعيد، ثم ألقى عليه أبو سعد عشر مسائل من ديوان محمد بن سحنون، فأخطأ فيها أبو ميمونة كلها، فعطف عليه أبو سعيد وقال له: «لا تغفل عن الدراسة، فإنى أرى لك فهمًا، فإن واظبت، كنت شيئًا» أ هـ. [«ترتيب المدارك» (٢/ ٤٨٩)]، [مستفاد من «النبذ فى طلب العلم» لحمد العثمان].



تقييد الفوائد والمسائل العلمية

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «ليس أحد من أصحاب النبي ﷺ أكثر حديثًا عنه مني، إلا ما كان من عبد الله بن عمرو فإنه كان يكتب ولا أكتب». [البخاري (١١٣)].

وقال الشعبي: «إذا سمعت شيئًا فاكتبه ولو في الحائط» أ هـ. [«العلم» لأبي خيثمة (ص١٤٦)].

وقال الحميدي: «خرجت مع الشافعي إلى مصر، فكان هو ساكنًا في العلو، ونحن في الأوساط، فربما خرجت في بعض الليالي، فأرى المصباح فأصيح بالغلام فيسمع صوتي فيقول: بحقي عليك ارق، فأرقى فإذا قرطاس وحبر، فأقول: مه يا أبا عبد الله، فيقول: تفكرت في معنى حديث أو في مسألة فخفت أن يذهب علي فأمرت بالمصباح وكتبته» أ هـ. [«مناقب الشافعي» لابن أبي حاتم (ص٤٣، ٤٥)، و«المدخل» للبيهقي (ص٤١٧)].

وقال معمر: «حدثت يحيى بن أبي كثير بأحاديث، فقال لي: اكتب لي حديث كذا وحديث كذا، فقلت: إنا نكره أن نكتب العلم، قال: اكتب فإنك إن لم تكن قد كتبت فقد ضيعت، أو قال: عجزت». [«المصنف» لعبد الرزاق (١١/ ٥٩)].

وقال عبد الرحمن بن مهدي: «ربما كنت أماشي عبد الله بن المبارك فأذاكره بالحديث فيقول: لا تبرح حتى أكتبه» أ هـ. [«الحلية» لأبي نعيم (٩/ ٣)].

وقال أبو الزناد: «كنا نكتب الحلال والحرام، وكان ابن شهاب يكتب كلما سمع، فلما احتيج إليه؛ علمت أنه أعلم الناس» أ هـ. [«الجامع» للخطيب (٢/ ١٨٨) و«سير أعلام النبلاء» (٥/ ٣٣٢)].

وقال أبو صالح الفراء: «سألت ابن المبارك عن كتابة العلم، فقال: «لولا الكتاب ما حفظناه». أهـ. [«سير أعلام النبلاء» (٨/ ٤٠٩)]، [مستفاد من «النبذ فى طلب العلم» لحمد العثمان].



عدم تتبع رخص العلماء

من أعظم ما يختبر به إيمان طالب العلم ما يطلع عليه من فتاوى بعض العلماء فى استحلال ما حرم الله بضرب من التأويل، وهذا الباب لو فُتح على طالب العلم وترخص به أوشك على الهلكة إلا أن يشاء الله، قال سليمان التيمى: «إذا تتبعت رخصة كل عالم اجتمع فيك الشر كله». أهـ. [«جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ٩١-٩٢)].

وقال ابن القيم رحمه الله: «وهاهنا نكتة ينبغى التفطن لها، وهى: أن الله سبحانه لما سبق فى قضائه وقدره وعلمه السابق أن الأمة لابد أن تختلف، ويكون فيها من يستحل بعض ما حرمه الله بالتأويل؛ جعل من المختلفين سلفًا صالحًا خفى عليهم بعض ما جاء به رسوله للاشتباه والخفاء، كما يكون من خفت عليه القبلة فصلى بالاجتهاد إلى غير جهتها مطيعًا لله ورسوله، فلولا اختلاف المتقدمين لهلك المتأخرون، ومن كمال نعمته وتمام رحمته أن جعل فى الأمة من يعرف ما خفى على الآخر من الصواب، وكذلك هذا أيضًا قد يخفى عليه الصواب فى شىء آخر ويعرفه ذلك، ووقوع مثل هذا التأويل ممن وقع منه من الأئمة المتبوعين أهل العلم والإيمان صار من أسباب المحنة التى امتحن الله بها عباده وفتنهم بها [«الكلام على مسألة السماع» (٣٢٩)]. .

وقال رحمه الله: وهذا التأويل من صالحى الكوفيين فى النبيذ المسكر وإن كان خمرًا، وكذلك المتأولون من صالحى أهل مكة فى المتعة والصرف وإن كان سبيلهما من سبيل الزنا والربا، وهم أبعد الناس عن ذلك، وكذلك

المتأولون فى حل بعض ما حرمه الشارع من الأطعمة من أهل المدينة وغيرهم، وكذلك المتأولون فى القتال فى الفتنة، إلى أمثال ذلك مما تأول فيه قوم من أهل العلم والدين من مطعوم أو مشروب أو منكوح أو مسموع أو عقد ونحو ذلك مما قد علم أن الله ورسوله حرمه لم يجز اتباعهم فى ذلك، وإن كان مغفورًا لهم أو من السعى الذى يؤجرون عليه لاجتهادهم أجرًا واحدًا، فالرب سبحانه يمحو السيئات بالحسنات، ويقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات». أ هـ. [«الكلام على مسألة السماع» (ص٣٢٧، ٣٢٨)]، [مستفاد من «النبذ فى طلب العلم» لحمد العثمان].



الاستعانة بالعلماء على الفهم

العلماء وسائل للفهم عن الله ورسوله، وحاجة طالب العلم إلى العلماء ماسة جدًّا، فى توضيح المشكل، وإزالة الغامض واستنباط الدقائق.

وقد انعزل أقوام عن العلماء إما بداعى متابعة الله ورسوله ومجانبة التقليد توهمًا منهم ذلك، أو داعى الكبر وتوهم الاستغناء، فضلت فهومهم وفسدت علومهم إلا ما شاء الله.

والاستعانة بالعالم لا تقدح فى المتابعة بل هى سبب لفهم كلام الله ورسوله، قال العلامة محمد بن إسماعيل الأمير الصنعانى:

«وفرقٌ بين تقليد العالم فى جميع ما قاله، وبين **الاستعانة بفهمه**، فإن الأول يأخذ بقوله من غير نظر فى دليل من كتاب ولا سنة، والاستعانة بفهمه وهو الثانى بمنزلة الدليل فى الطريق والخريت الماهر لابن السبيل، فهو دليل إلى دليل» أ هـ. [«إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد» (ص١٠٥، ١٠٦)].

وقال العلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن من أئمة الدعوة رحمهم الله جميعًا: «أقوال أهل العلم تذكر وتورد فى المعارضات والالتباس، **والعلم بها من أسباب الفهم عن الله ورسوله** أ هـ. [«الدرر السنية» (٤/ ٩٣)].

وقال العلامة عبد الرحمن السعدى رحمه الله:

«والناس فى حالهم مع الأئمة والعلماء ثلاثة أقسام: أحدها: من غلا

فيهم وجعل أقوالهم معصومة بمنزلة أقوال الرسول وقدّمها على الكتاب والسنة، مع أن كل إمام له قبول فى الأمة قد حث على اتباع الكتاب والسنة، وأمر أن لا يتبع من أقواله ومذهبه ما خالف الكتاب والسنة.

القسم الثانى: من ألغى أقوال العلماء وهدر مقالات أئمة الهدى ومصابيح الدجى ولم يستغن بنور فهمهم ولا استعان بعلومهم، أو بعد ما استفاد منهم لم يشكرهم على ذلك، فهذا قد حُرم خيرًا كثيرًا.

والذى حمل على ذلك ظنهم أن وجوب اتباع الرسول وتقديم قوله على قول كل أحد يوجب الزهد فى أقوال الصحابة والتابعين لهم بإحسان وأئمة الهدى، وهذا من الغلط الفاحش، فإن الصحابة وأهل العلم هم الوسائط بين الرسول وبين أمته فى تبليغ سنته ألفاظها ومعانيها، فالمتّبع لهم فى ذلك مهتد بأفهامهم، مقتبس من أنوارهم، مستفيد من استنباطاتهم للمعانى النافعة، والدقائق التى لا تكاد تخطر على أذهان كثير من أهل العلم ولا تكاد الأفهام تدركها، فمن فضل الله على الأمة أن من عليهم بهؤلاء العلماء الربانيين المربين لهم بنوعين من أنواع التربية العالية: أحدهما التربية العلمية، يربونهم بصغار العلم قبل كباره، وبإيصال معانى الكتاب والسنة إلى أذهانهم وعقولهم بالتعليم الشفاهى، وبتصنيف كتب العلم النافع المتنوعة التى لا يقدر العباد أن يصفوا ما اشتملت عليه من العلوم والفوائد التى لهم اليد البيضاء فى استنباطها من الكتاب والسنة، وفى ترتيبها وتفصيلها وتقسيمها، وجمع النظائر والمتماثلات والشروط والأركان والموانع، وتفريق المعانى المتباينة وأصناف الفوائد المتنوعة.

والنوع الثانى: تربية عملية، يربون أخلاقهم ويحثونهم على كل خلق حميد، ببيان حكمه ومرتبته وما يترتب عليه من الفوائد، ويبينون لهم

الأسباب والطرق التى يكتسبونها به، والموانع التى تعوقهم عن الاتصاف به، فهم فى الحقيقة غذاء القلوب والأرواح، وهم أطباء أدواء القلوب وعللها، يعملوتهم بأقوالهم وأفعالهم وهديهم، فهؤلاء لهم الحق الأكبر على الأمة، ولهم من المحبة والتعظيم والتوقير والشكر على محاسنهم وإحسانهم المتنوع فوق كل حق بعد حق الله ورسوله.

ولهذا كان القسم الثالث الذين وفقوا لمعرفة أقدارهم، وقاموا بحقوقهم وشكروهم على فواضلهم وفضائلهم، واكتسبوا من علومهم وقدروها حق قدرها، وعرفوا أنهم غير معصومين، وأن أقوالهم تابعة لأقوال الرسول، وإن كل واحد منهم يؤخذ من قوله ما احتوى على الهدى والعلم والرشاد والإصابة، ويترك منه ما أخطأ فيه، ولا يذم على خطئه إذ هو مجتهد فى إصابة الحق، وخطأهم مغفور وسعيهم مشكور.

وإذا ردوا ما قاله أحد هؤلاء السادة لما يرونه من الضعف ومخالفة الدليل الشرعى بينوا ضعف القول ومرتبته، ولم يقدحوا فى قصد أهل العلم والدين ولم يذموهم على هذا، ويقولون كما هو واجب أن يقولوا ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ فهؤلاء أدوا الواجبين: جمعوا بين تقديم الكتاب والسنة على كل شيء، وبين معرفة أقدار العلماء وأئمة الهدى والقيام ولو ببعض حقهم، فنسأله أن يمن علينا ويجعلنا من أهل هذا القسم الثالث، ويجعلنا ممن يحبه ويحب من يحبه ويحب العمل الذى يقرب إليه أ هـ». [«توضيح الكافية الشافية» (ص١٥٣، ١٥٥)]، [مستفاد من «النبذ فى طلب العلم» لحمد العثمان].

❁ ❁ ❁

مجانبة الخصومة والجدال بالباطل

عن أبى أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل**» ثم تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾». [الترمذى (٣٢٥٣ وقال: هذا حديث حسن صحيح].

ولما تخلف كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن غزوة تبوك وجاء المخلفون يعتذرون للنبى ﷺ، وجاء كعب للنبى ﷺ وجلس بين يديه، قال له النبى ﷺ: «**ما خلقك؟ ألم تكن قد ابتعت ظهرك؟**» فقلت: بلى، إنى والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أن سأخرج من سخطه بعذر، ولقد أعطيت جدلًا، ولكنى والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم بحديث كذب ترضى به على ليوشكن الله أن يسخطك على... الحديث. [البخارى (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩)].

قال النووى: قوله «أعطيت جدلًا» أى: فصاحة وقوة فى الكلام وبراعة بحيث أخرج عن عهدة ما ينسب إلى إذا أردت» أ هـ. [شرح مسلم (١٧/ ٩١].

وقال على بن أبى طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إن للخصومات قحمًا وإن الشيطان يحضرها». [«منهاج السنة» (٦/ ١٦٩)].

وقال جعفر بن محمد: «إياكم والخصومات فى الدين فإنها تشغل القلب وتورث النفاق» أ هـ. [«فضل علم السلف على علم الخلف» (ص٣٦)].

وقال الإمام مالك: «الجدال فى الدين ينشئ المراء، ويذهب بنور العلم من القلب، ويقسى القلب، ويورث الضغن». أ هـ. [«جامع بيان العلم» (ص٢١٢)].

وقال الإمام الشافعى: «من إذلال العلم أن تناظر كل من ناظرك وتقاول من كل قاولك» أ هـ. [«مناقب الشافعى» للبيهقى (٢/ ١٥١)].

قال الأوزاعى: «بلغنى أن الله إذا أراد بقوم شرًّا ألزمهم الجدال ومنعهم العمل» أ هـ. [«سير أعلام النبلاء» (١٢/ ٧٩)].

وقال القاسم بن عثمان الجوعى: «إذا رأيت الرجل يخاصم فهو يحب الرئاسة» أ هـ. [المصدر السابق].

وقال شيخ الإسلام: «وما أكثر من يُحتج به من المنتسبين إلى علم أو عبادة، بحجج ليست من أصول العلم، وقد يبدى ذوو العلم له مستندًا من الأدلة الشرعية، والله يعلم أن قوله وعمله بها ليس مستندًا إلى ذلك، وإنما يذكرها دفعًا لمن يناظره. [«مجموع الفتاوى» (٤/ ١٩٤، ١٩٥)].

والمجادلة المحمودة إنما هى إبداء المدارك التى هى مستند الأقوال والأعمال، وأما إظهار غير ذلك، فنوع من النفاق فى العلم والعمل أ هـ.

وقال أبو بكر الآجرى رحمه الله: «اعلموا أن من صفة العالم العاقل الذى فقهه الله فى الدين ونفعه بالعلم أن لا يجادل ولا يمارى ولا يغلب بالعلم إلا من يستحق أن يغلبه بالعلم الشافى، وذلك يُحتاج فى وقت من الأوقات إلى مناظرة أحد من أهل الزيغ ليدفع بحقه باطل من خالف الحق وخرج عن جماعة المسلمين، فتكن غلبته لأهل الزيغ تعود بركة على المسلمين على جهة الاضطرار إلى المناظرة لا على الاختيار لأن من صفة العالم العاقل

أن لا يجالس أهل الأهواء ولا يجادلهم». أ هـ. [«أخلاق العلماء» (ص٣٩)].

وقال أيضًا: «ومن صفة هذا العالم العاقل إذا عارضه فى مجلس العلم والمناظرة بعض من يعلم أنه يريد مناظرته للجدل والمراء والمغالبة لم يسعه مناظرته لأنه قد علم أنه إنما يريد أن يدفع قوله وينصر مذهبه ولو أتاه بكل حجة مثلها يجب أن يقبلها لم يقبل ذلك ونصر قوله. ومن كان هذا مراده لم تؤمن فتنته ولم تحمد عواقبه» أ هـ. [«أخلاق العلماء» (ص٤٣، ٤٣].

وقال الحافظ ابن رجب: «فما سكت من سكت عن كثرة الخصام والجدال جهلًا ولا عجزًا، ولكن سكتوا عن علم وخشية لله، وما تكلم من تكلم وتوسع من توسع بعدهم لاختصاصه بعلم دونهم ولكن حبًّا للكلام وقلة الورع، كما قال الحسن وسمع قومًا يتجادلون: هؤلاء ملوا العبادة، وخف عليهم القول وقل ورعهم فتكلموا» أ هـ. [«فضل علم السلف على علم الخلف» [ص٣٤، ٣٥]، [مستفاد من «النبذ فى طلب العلم» لحمد العثمان].

❁ ❁ ❁

مجانبة القول على الله بغير علم وقول: الله أعلم لما لا يعلم

قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الأعراف: ٣٢].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ [النحل: ١١٦].

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [يونس: ٥٩].

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «من علم فليقل، ومن لم يعلم فليقل: الله أعلم، فإن من العلم أن يقول لما لا يعلم: لا أعلم». أهـ. [البخارى (٤٧٧٤)، ومسلم (٢٧٩٨)].

وقال مسلم: حدثنى بشر بن الحكم العبدى، قال: سمعت سفيان بن عيينة: أخبرونى عن أبى عقيل صاحب بهية: أن أبناء لعبد الله بن عمر سألوه عن شيء لم يكن عنده فيه علم، فقال له يحيى بن سعيد: والله إنى لأعظم أن يكون مثلك وأنت ابن إمامى الهدى يعنى عمر وابن عمر تسأل عن أمر ليس عندك فيه علم.

فقال: أعظم من ذلك والله عند الله، وعند من عقل عن الله أن أقول

بغير علم أو أخبر عن غير ثقة. [«مقدمة مسلم» (ص١٦)].

وقال أحمد بن حنبل: سمعت الشافعى، نا مالك، عن ابن عجلان، عن أبيه؛ قال: «إذا أغفل العالم «لا أدرى» أصيبت مقاتله» أ هـ. [«أدب المفتى والمستفتى» لابن الصلاح (٧٦، ٧٧)، «تذكرة الحفاظ» للذهبى (٣/ ١٠٥٦)].

وقال القاسم بن محمد: «أقبح من الجهل أن أقول بغير علم، أو أحدث من غير ثقة» أ هـ. [«التمهيد» لابن عبد البر (١/ ٤٦)].

وقال ابن وهب: «لو شئت أن أملأ ألواحى من قول مالك بن أنس: لا أدرى، فعلت». أ هـ. [«الانتقاء» لابن عبد البر (ص٣٨)].

وقال ابن هرمز: «ينبغى للعالم أن يورث جلسائه من بعده: لا أدرى، حتى يكون أصلًا فى أيديهم، فإذا سُئل عما لا يعلم، قال: لا أدرى» أ هـ.

وقال أبو بكر الآجرى: «وأما الحجة للعالم يُسأل عن الشيء لا يعلمه فلا يستنكف أن يقول: لا أعلم، إذا كان لا يعلم، وهذا طريق أئمة المسلمين من الصحابة ومن بعدهم من أئمة المسلمين، اتبعوا فى ذلك نبيهم ﷺ لأنه كان إذا سئل عن الشيء مما لم يتقدم له فيه علم الوحى من الله عز وجل فيقول: لا أدرى، وهكذا يجب على كل من سئل عن شيء لم يتقدم فيه العلم أن يقول: الله أعلم به، ولا علم لى به، ولا يتكلف ما لا يعلمه فهو أعذر له عند الله وعند ذوى الألباب» أ هـ. [«أخلاق العلماء» (٨١)]، [مستفاد من «النبذ فى طلب العلم» لحمد العثمان].

❁ ❁ ❁

فقه الخلاف

طالب العلم من حين يشرع فى النظر فى مسائل الشرع تقع عيناه على مسائل الخلاف، وكذلك حين يتلقى العلم عن شيخه، يجد شيخه يورد أقوال العلماء فى المسائل الخلافية.

ويسمع طالب العلم كذلك ما يجرى من خلاف بين طلبة العلم والدعاة فيتنازعه أمران: الأول: طلب معرف الخلاف، وطلب معرفة القول المخالف للشرع حتى يجتنبه.

الثانى: الورع وطلب السلامة والكف عن الكلام فى الناس، وترك القيل والقال وما يوجب قسوة القلب من الردود.

وهذا أمر لابد من توضيحه لأهميته، حيث إن مسائل الخلاف تعرض لطالب العلم بصفة متكررة، ولابد من بيان حقيقة الورع حتى لا يبصر طالب العلم ويسكت دون عذر شرعى من باب الورع توهمًا منه وما هو بورع، بل هو ضعف وخذلان ونكول عن نصرة الشرع.

قال سفيان بن عيينة: «الورع طلب العلم الذى يعرف به الورع، وهو عند قوم طول الصمت وقلة الكلام، وما هو كذلك، إن المتكلم العالم أفضل عندنا وأورع من الجاهل الصامت» أ هـ. [«تهذيب الكمال» (١١/ ١٩٤)].

ولأن الأقوال الباطلة فاشية منتشرة بين الناس فمن لا يعرفها ولا يعرف أصحابها قد يقع فيها من حيث لا يشعر فيكون من الضالين.

قال قبيصة بن عقبة: «لا يفلح من لا يعرف اختلاف الناس» أ هـ. [«جامع بيان العلم وفضله» (٣٤٧)].

ثم إن العارف باختلاف الناس والمقالات إذا عرف الباطل زاد تعظيمه للحق، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وكل من كان بالباطل أعلم كان للحق أشد تعظيمًا وبقدره أعرف إذا هُدى إليه» أ هـ. [«مجموع الفتاوى» (٥/ ١١٨)].

وقال العلامة عبد الرحمن السعدى فى فوائد قصة داود وسليمان عليهما السلام: «ومنها أن من أكبر نعم الله على عبده أن يرزقه العلم النافع، ويعرف الحكم بين الناس فى المقالات والمذاهب وفى الخصومات والمشاحنات كما قال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ أ هـ. [«تيسير اللطيف المنان» (ص١٩٧)].

ومن أجل هذا انصرفت همم العلماء الربانيين إلى معرفة المقالات والمذاهب لنصرة الحق ورد الباطل ذبًّا عن الشريعة وصيانةً لها عن التحريف والتبديل.

وبهذا فضل الإمام أحمد غيره من أقرانه، قال شيخ الإسلام: **أحمد كان أعلم بمقالات الناس من غيره** أ هـ. [«مجموع الفتاوى» (٧/ ٣٨٧)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «أنا أعلم كل بدعة حدثت فى الإسلام وأول من ابتدعها، وما كان سبب ابتداعها» أ هـ. [«مجموع الفتاوى» (٣/ ١٨٤)].

وكذلك انصرفت همم أهل العلم إلى إشاعة الحق وبثه ونشره، ورد الباطل ودمغه وإخماده من خلال التصنيف فى الرد على أصحاب المقالات

المبتدعة.

قال الشوكانى رحمه الله: «وإنما التصنيف الذى يستحق أن يقال له تصنيف والتأليف الذى ينبغى لأهل العلم الذين أخذ الله عليهم بيانه وأقام لهم على وجوبه عليه برهانه هو أن ينصروا فيه الحق ويخذلوا به الباطل ويهدموا بحججه أركان البدع ويقطعوا به حبائل التعصب ويوضحوا فيه للناس ما نزل إليهم من البينات والهدى، ويبالغوا فى إرشاد العباد إلى الإنصاف ويحببوا إلى قلوبهم العمل بالكتاب والسنة وينفروهم من اتباع محض الرأى وزائف المقال وكاسد الاجتهاد» أ هـ. [«أدب الطلب ومنتهى الأرب» (٨١)]، [مستفاد من «النبذ فى طلب العلم» لحمد العثمان].



المنهج فى طلب فقه الخلافيات

مسائل الشرع نوعان: نوع محل اتفاق وإجماع، ونوع محل اختلاف ونزاع، وطالب العلم لابد أن يعرف النوعين، حتى لا يخرج عن إجماع المسلمين ولا يدعى اتفاقًا فى موضع نزاع.

كذلك ينبغى على طالب العلم أن يعرف اصطلاح أهل العلم فى حكاية الإجماع، ومن يعتبر خلاف الواحد والاثنين ومن لا يعتبره، وكذلك يعرف هل الاتفاق بمعنى الإجماع، وهل الإجماع منطوق أو سكوتى؟

وطالب العلم إذا أراد أن يطلب فقه الخلافيات وأن يحقق النزاع ويعرف الراجح، فإنه ينبغى عليه أولًا أن يطلب حكم المسألة المتنازع فيها من مصادرها الأصلية الكتاب والسنة، ثم يتأمل نزاع أهل العلم فى ضوء أدلة الكتاب والسنة.

وهذا هو الأصل فى طلب الفقه فى مسائل النزاع، وهو أمر مستقر فى فطر المتبعين للكتاب والسنة، وإنما وجب التنبيه عليه بسبب ما أحدثه فقهاء العراقين فى مسائل الخلاف بين الشافعية والحنفية، وما صار عليه عمل أتباع سائر أئمة المذاهب من التصنيف على هذه الطريقة من جعل قول صاحب المذهب هو الأصل وحكاية مذهب المخالف والرد عليه.

وهذه المنهجية فى طلب فقه الخلافيات نبّه عليها الأئمة المتجردون للحق وإن كانوا متتلمذين على مذهب إمام معين، وعلى رأس هؤلاء شيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال:

«ونحن نذكر ما يستفاد من كلام النبي ﷺ، مع ما يستفاد من كلام الله تعالى، فيصل المؤمن إلى ذلك من نفس كلام الله ورسوله، فإن هذا هو ضمانْ المقصود، فلا نذكر الخلافيات ابتداءً، بل نذكر من ذلك فى ضمن بيان ما يستفاد من كلام الله ورسوله ما يبين أن رد موارد النزاع إلى الله وإلى الرسول خير وأحسن تأويلًا، وأحسن عاقبة فى الدنيا والآخرة» أ هـ. [«مجموع الفتاوى» (٧/ ٦)].

وكذلك يستحب للناظر فى مسائل الخلاف أن يتأمل الأقوال دون معرفة قائلها إن أمكن، فإن ذلك يقطع الهوى الخفى فى الانتصار لإمام مذهبه، لأنه لو عرف قائل القول ربما استحوذ على ذهنه إمامة صاحب القول وذكائه وما يعلمه من سيرته فى الحق، فيكون ذلك حائلًا له عن تنقيح قوله كما يفعل مع غيره.

قال العلامة عبد الرحمن السعدى فى فوائد هذه الطريقة: «ومن فوائد ذلك أن الأقوال التى يراد المقابلة بينها، ومعرفة راجحها من مرجوحها أن يقطع الناظر والمناظر النظر عن القائلين، فإنه ربما كان ذكر القائل مغترًا عن مخالفته، وتوجب له الهيبة أن يكف عن قول ينافى ما قاله» أ هـ. [«المناظرات الفقهية» (ص٦٨)]، [مستفاد من «النبذ فى طلب العلم» لحمد العثمان].

❋ ❋ ❋

الاستدلال ثم الاعتقاد

حذار أن تقبل على مسائل الخلاف دون أن تتجرد من هوى الانتصار للقول الذى تميل إليه قبل الاستدلال واستفراغ الوسع فى مطالعة أدلة الأقوال الأخرى، لأن ذلك قد يكون صارفًا لك عن الإنصاف والانقياد للحق، وقد يكون ذلك سببًا فى تحريف وتأويل النصوص على ما تعتقد، وهذا شأن أهل البدع الذين جعلوا الأدلة الشرعية منظورًا فيها من وراء ذلك.

قال أبو محمد ابن حزم: «وإذا ورد عليك خطاب بلسان أو هجمت على كلام فى كتاب، فإياك أن تقابله مقابلة المغاضبة الباعثة على المغالبة قبل أن تتيقن بطلانه ببرهان قاطع.

وأيضًا فلا تقبل عليه إقبال المصدق به المستحسن إياه قبل علمك بصحته ببرهان قاطع فتظلم فى كلا الوجهين نفسك، وتبعد عن إدراك الحقيقة، ولكن أقبل عليه إقبال سالم القلب عن النزاع عنه والنزوع إليه، لكن إقبال من يريد حظ نفسه فى فهم ما سمع ورأى، فالتزيد به علمًا، وقبوله وإن كان حسنًا أورده إن كان خطأ، فمضمون لك إذا فعلت الأجر الجزيل والحمد الكثير والفضل العميم» أ هـ. [«مداواة النفوس» (ص٨٤)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فعلى كل مؤمن أن لا يتكلم فى شيء من الدين إلا تبعًا لما جاء به الرسول، ولا يتقدم بين يديه، بل ينظر ما قال، فيكون قوله تبعًا لقوله، وعلمه تبعًا لأمره، فهكذا كان الصحابة ومن سلك سبيلهم من التابعين لهم بإحسان وأئمة المسلمين.

فهلذا لم يكن فيهم من يعارض النصوص بمعقوله، ولا يؤسس دينًا غير ما جاء به الرسول، فمنه يتعلم وبه يتكلم، وفيه ينظر ويتفكر، وبه يستدل فهذا أصل أهل السنة» أ هـ. [«مجموع الفتاوى» (٣/ ٦٢، ٦٣)].

والاعتقاد قبل الاستدلال يحمل صاحبه على تلمح أدلة القول الذى يذهب إليه وينصره ويهواه، الإغماض عما يعارضه من الأدلة وتأويلها التأويلات الفاسدة والتمحل فى الرد على من أوردها. [مستفاد من «النبذ فى طلب العلم» لحمد العثمان].



تنقيح الخلاف لا مجرد حكايته

جرى عمل بعض المشتغلين بالعلم إيراد مسائل الخلاف بحكاية وسرد الأقوال فى تلك المسائل ونسبتها إلى أصحابها، وربما ذكر أدلة كل مذهب لكن من غير تحقيق لأدلة تلك المذاهب ثبوتًا ولا دلالةً، ومن غير معرفة القول الراجح منها وسبب ضعف الأقوال الأخرى.

كل هذا العرض لمسائل الخلاف يجعل غير الراسخ فى حيرة، وربما ظن اشتباه الشرع، وصعوبة درك الحق وطلبه.

فالاكتفاء بمجرد سرد الأقوال هكذا لا يحصل به نفع جاهل ولا رد طالب علم إلى أسباب الخلاف وحقيقته وتنقيحه، بل هذه الطريقة لا يحصل بها البيان، بل هى إلى التعمية وتوعير الطريق أقرب.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «كثير من الناس يحكى الخلاف ولا يعرف الحق» أ هـ. [«منهاج السنة» (٥/ ٢٨٢)].

وقال فيمن كان هذا شأنه: «بمنزلة حمار حمل سفرًا ينقل نقلًا مجردًا» أ هـ. [«الاستقامة» (١/ ٦٠)].

وقال فيهم أيضًا: «لكن هؤلاء ليسوا فى الحقيقة فقهاء فى الدين، بل هم نقلة لكلام العلماء ومذهبه. والفقه لا يكون إلا بفهم الأدلة الشرعية بأدلتها السمعية الثبوتية من الكتاب والسنة والإجماع نصًا واستنباطًا» أ هـ. [«الاستقامة» (١/ ٦١)].

وقال الشاطبي رحمه الله: «وكلام الناس هنا كثير وحاصله معرفة مواقع الخلاف، لا حفظ مجرد الخلاف» أهـ. [«الموافقات» (٤/ ١٦٢)]، [مستفاد من «النبذ في طلب العلم» لحمد العثمان].

❀ ❀ ❀

التعقل فى الانتصار فى مسائل الخلاف الكبار

قال أبو حصين الأسدى: «إن أحدهم ليفتى فى المسألة، ولو وردت على عمر لجمع لها أهل بدر» أ هـ. [«أدب المفتى والمستفتى» (٧٦)].

وقال سعيد بن سليمان: «قلما سمعت مالكًا يفتى بشىء إلا تلا هذه الآية: ﴿إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾» أ هـ. [«الحلية» (٦/ ٣٢٣)].

وحال بعض طلبة العلم على العكس من هذا، فتجده يتجاسر فى مسائل الخلاف الشديد التى يعيا عنها كبار العلماء، بل تجده يجزم بصحة ما ذهب إليه مع أن كبار العلماء قد أعيتهم هذه المسألة، بل إن بعضهم يجزم: إن دليل قوله قطعى ونص فى المسألة !

وهذه الدلالة القطعية التى يذكرها ليست وصفًا فى النص نفسه بل هو بحسب اعتقاده، وقد يكون اعتقاده مخالفًا لحال النص.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «كون المسألة قطعية أو ظنية هو أمر إضافى بحسب حال المعتقدين ليس هو وصفًا للقول فى نفسه». أ هـ. [«منهاج السنة» (٥/ ٩١)].

قال القاضى الإمام أبو الحسن الماوردى رحمه الله فى مسألة فعل المحلوف عليه على نسيان ذات القولين: «قال لى شيخنا أبو القاسم الصيمرى: ما أفتيت فى يمين الناسى بشىء قط، وحكى عن شيخه أبى الفياض: إنه لم يفت بشىء قط، وقال المروذى: فاقتديت بهذا السلف، ولم أفت فيها بشىء لأن استعمال التوقى أحوط من فرطات الإقدام» أ هـ. [«أدب المفتى والمستفتى»]

وقد توقف أئمة كبار فى مسائل، ولم ينقص ذلك من أقدارهم شيئًا، بل هو دال على ورعهم وتقواهم، قال ابن القيم: «فإن المفتى المتمكن من العلم المضطلع به قد يتوقف فى الصواب فى المسألة المتنازع فيها فلا يقدم على الجزم بغير علم، وغاية ما يُمكنه أن يذكر الخلاف فيها للسائل، فيقول: [فيها قولان، أو قد اختلفوا فيها] وهذا كثير فى أجوبة الإمام أحمد لسعة علمه وورعه، وهو كثير فى كلام الإمام الشافعى رضي الله عنه، يذكر المسألة ثم يقول: [فيها قولان] أ هـ. [«إعلام الموقعين» (٤/ ١٧٨)].

وليس معنى هذا أن يتعلل طالب العلم بالخلاف دائمًا، فهذا مسلك يسلكه من لم يكن عارفًا بالأدلة الشرعية، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «تعليل الأحكام بالخلاف علة باطلة فى نفس الأمر، فإن الخلاف ليس من الصفات التى يعلق الشارع بها الأحكام، فإنه وصف حادث بعد النبى ﷺ ولكن يسلكه من لم يكن عارفًا بالأدلة الشرعية فى نفس الأمر لطلب الاحتياط» أ هـ. [«مجموع الفتاوى» (٢٣/ ٢٨١-٢٨٢)]، [مستفاد من «النبذ فى طلب العلم» لحمد العثمان].

❁ ❁ ❁

الحرص على اقتناء الكتب

طالب العلم مفتقر إلى الكتب كافتقاره إلى شيخ يعلمه، فيأخذ العلم بالتلقى عن الشيوخ والقراءة من الكتب أيضًا.

ولا ينبغى لطالب العلم أن يقتصر فى اقتناء الكتب على ما هو من علومه فقط، فربما احتاج إلى غيره من الفنون والعلوم التى قد تصير من علومه مستقبلًا.

قال الخطيب البغدادى:

«ينبغى للمرء أن يدخر أنواع العلوم، وإن لم تكن له بمعلوم، وأن يستكثر منها ولا يعقد الغنى عنها، فإنه إن استغنى عنها فى حال، احتاج إليها فى حال، وإن سئمها فى وقت، ارتاح إليها فى وقت، وإن شغل عنها فى يوم فرغ لها فى يوم، وأن لا يسرع ويعجل، فيندم ويوجل، فربما عجل المرء على نفسه بإخراج كتاب عن يده، ثم رامه فتعذر عليه مرامه، وابتغى إليه وصولًا فلم يجد إليه سبيلًا، فأتعبه ذلك وأنصبه وأقلقه طويلًا وأرقّه» أ هـ.

وإياك أن يمنعك الشيخ من الإكثار من اقتناء الكتب، فلا تستكثر ما تنفقه فى سبيل اقتناء الكتب ولو استغرق ذلك مالًا كثيرًا.

وتأسى بالسلف الصالح فقد ورد عنهم فى ذلك عجبًا، فهذا سهل بن محمد ابن عثمان النحوى أبو حاتم السجستانى ورث عن أبيه مائة ألف دينار

أنفقها فى طلب العلم. [«البلغة فى تراجم أئمة النحو واللغة» (ص١٠٩)].

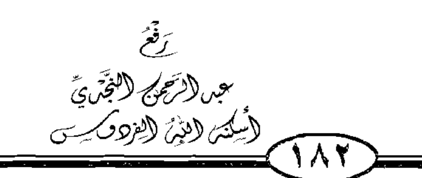
وهذا شعبة بن الحجاج بلغ به الحال من بذل المال فى العلم أن باع طست أمه فقال رحمه الله: «من طلب الحديث أفلس، بعت طست أمى بسبعة دنانير» أ هـ. [«سير أعلام النبلاء» (٧/ ٢٢٠)].

وهذا محمد بن الحسن قال: «ترك أبى ثلاثين ألف درهم، فأنفقت خمسة عشر ألفًا على النحو والشعر، وخمسة عشر ألف على الحديث والفقه» أ هـ. [«نشواز المحاضرة وأخبار المذاكرة» (٥/ ١٨٥)].

ومن جملة ما ذكر العلماء فى مناقب ابن الملقن رحمه الله حرصه الشديد الظاهر على اقتناء الكتب، قال عنه الحافظ ابن حجر: «وكان يقتنى الكتب، بلغنى أنه حضر فى الطاعون العام بيع كتب شخص من المحدثين فكان وصيه لا يبيع إلا بالنقد الحاضر، قال: فتوجهت إلى منزلى فأخذ كيسًا من الدراهم ودخلت الحلقة فصببته، فصرت لا أزيد فى الكتاب شيئًا إلا قال: بع له.

فكان فيما اشتريت مسند الإمام أحمد بثلاثين درهمًا» أ هـ. [«إنباء الغمر بأنباء العمر» (٥/ ٤٢)]، [مستفاد من «النبذ فى طلب العلم» لحمد العثمان].

❁ ❁ ❁



الاعتناء بكتب المتقدمين

طالب العلم حاجته للكتب معلومة، وانتقاء الكتب ضرورى لينتفع الطالب بما يقتنيه مما هو مشتمل على العلوم النافعة وليصون نفسه عن الكتب الضارة.

وهذا كما أنه ينتقى طالب العلم هذه الكتب لنفسه فإنه قد يورثها لمن بعده، فإذا أمن على نفسه التميز فى ما يقتنيه بين النافع والضار، فليحذر وليحرص على أن لا ييسرها لغير مميز من بعده فيفسد عليهم أديانهم.

وكتب المتقدمين هى أول ما يعتنى به لمتانة علومها وسلامتها من الزلل والأهواء، ويحتاج طالب العلم إلى كتب المتأخرين والمعاصرين ممن رسخ فى العلوم، أو جمع ما حوته كتب المتقدمين، أو هذب كلامهم ويسر قراءتها لا سيما لمن لم يألف قراءة كتب المتقدمين.

فاحذر مسالك من قلب الأمور وجعل معوله على كتب المعاصرين وخلت مكتبته من كتب المتقدمين إلا ما ندر أو أعرض عن قراءتها.

قال الشاطبى رحمه الله فى وصاياه للمتعلمين: «أن يتحرى من كتب المتقدمين من أهل العلم المراد، فإنهم أقعد به من غيرهم من المتأخرين، وأصل ذلك التجربة والخبر. [«الموافقات» (١/ ٩٧)].

أما التجربة فهو أمر مشاهد فى أى علم كان، فالمتأخر لا يبلغ من الرسوخ فى علم ما بلغه المتقدم.

وحسبك من ذلك أهل كل علم عملى أو نظرى.

فأعمال المتقدمين فى إصلاح دنياهم ودينهم على خلاف أعمال المتأخرين، وعلومهم فى التحقيق أقعد، فتحقق الصحابة بعلوم الشريعة ليس كتحقق التابعين، والتابعون ليسوا كتابعيهم، وهكذا إلى الآن.

ومن طالع سيرهم، وأقوالهم، وحكاياتهم، أبصر العجب فى هذا المعنى» أ هـ.

واحرص على اقتناء الكتب التى لها عناية بالدليل وتحرير المذاهب وتنقيح الخلاف، قال الشوكانى رحمه الله: «وما أنفع الاطلاع على المؤلفات البسيطة فى حكاية مذاهب السلف وأهل المذاهب وحكاية أدلتهم وما دار بين المتناظرين منهم، إما تحقيقًا أو فرضًا، كمؤلفات ابن المنذر وابن قدامة وابن حزم وابن تيمية ومن سلك مسالكهم.

فإن المجتهد يزداد بذلك علمًا إلى علمه، وبصيرة إلى بصيرته، وقوة فى الاستدلال إلى قوته، فإن تلك المؤلفات هى مطارح أنظار المحققين، ومطامح أفكار المجتهدين، وكثيرًا ما يحصل للعالم من النكت واللطائف الصالحة للاستدلال بها ما لا يحصل للعالم الآخر وإن تقاربت معارفهما وتوازنت علومهما، بل تيسر لمن هو أقل علمًا ما لا يتيسر لمن هو أكثر علمًا من الاستدلال والجواب والنقض والمعارضة» أ هـ. [«أدب الطلب ومنتهى الأرب» (١٢١)]، [مستفاد من «النبذ فى طلب العلم» لحمد العثمان].

❀ ❀ ❀

لزوم الألفاظ الشرعية

الزم وفقك الله ألفاظ القرآن والسنة، وتحرى ذلك غاية التحرى فى أقوالك وفتاويك ودعوتك، تحصل لك السلامة.

وإياك والألفاظ الحادثة، فقد جرّت هذه الألفاظ على الأمة الفساد ما لا يعلمه إلا الله.

واعلم أن السلف أعرف بالحقائق وأفصح بترتيب الألفاظ، فما سكتوا عنه إلا لعلمهم بما يتولد منه من الشر.

وكان من له معرفة بما أحدثته تلك الألفاظ علم عظم ضررها وخطرها على أديان الناس، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «اللفظ المطابق للكتاب والسنة هو الصواب فليس لأحد أن يقول بخلاف قول الله ورسوله، لاسيما وقد صار ذلك ذريعةً إلى بدع أهل الكلام من أهل الإرجاء وغيرهم، وإلى ظهور الفسق، فصار ذلك الخطأ اليسير فى اللفظ سببًا لخطأ عظيم فى العقائد والأعمال» أ هـ. [«مجموع الفتاوى» (٧/ ٣٩٤)].

واعلم أن قاعدة أهل السنة هو استعمال الألفاظ الشرعية واحترامها، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والألفاظ الشرعية لها حرمة». أ هـ. [«مجموع الفتاوى» (١٢/ ١١٤)].

وقال ابن أبى العز الحنفى: «التعبير عن الحق بالألفاظ الشرعية النبوية هو سبيل أهل السنة والجماعة» أ هـ. [«شرح العقيدة الطحاوية» (١/ ٧٠-٧١)].

وقال ابن القيم رحمه الله:

«ينبغى للمفتى أن يفتى بلفظ النص مهما أمكنه، فإنه يتضمن الحكم والدليل مع البيان العام، فهو حكم مضمون له الصواب، متضمن للدليل عليه فى أحسن بيان، وقول الفقيه المعين ليس كذلك، وقد كان الصحابة والتابعون والأئمة الذين سلكوا على منهاجهم يتحرون ذلك غاية التحرى، حتى خلفت من بعدهم خلوف رغبوا عن النصوص، واشتقوا لهم ألفاظ غير ألفاظ النصوص، فأوجب ذلك هجر النصوص، ومعلوم أن تلك الألفاظ لا تفى بما تفى به النصوص من الحكم والدليل وحسن البيان، فتولّد من هجران ألفاظ النصوص، والإقبال على الألفاظ الحادثة وتعليق الأحكام بها على الأمة من الفساد ما لا يعلمه إلا الله، فألفاظ النصوص عصمة وحجة، بريئة من الخطأ والتناقض والتعقيد والاضطراب» أ هـ. [«إعلام الموقعين» (٤/ ١٧٠)]، [مستفاد من «النبذ فى طلب العلم» لحمد العثمان].



عزو العلم إلى قائله

لاشك أن طالب العلم يتحمل العلم إما سماعًا من شيخه أو قراءة من كتاب، ويعترف بفضل شيخه عليه في تعليمه، ولا يستنكف أن ينسب العلم الذى يذكره للناس عمن أخذه وتلقاه.

قال تعالى عن يوسف عليه السلام مخاطبًا الرجلين اللذين نبأهما بتأويل رؤياهم: ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ﴾ [يوسف: ٣٧] وعتب الله على موسى عليه السلام أن لم يرد العلم إليه.

وكذلك ينبغى على من قصد التأليف أن يعزو الكلام الذى وقف عليه واهتدى إليه إلى عالمه والموضع الذى وجده فيه، فهذا من الأمانة، وفيه دلالة المستفيد القارئ إلى صاحب الفضل بالتأسيس حتى لا ينساه من دعائه.

قال السيوطى رحمه الله: «ومن بركة العلم وشكره وعزوه إلى قائله».

قال الحافظ أبو طاهر السلفى سمعت أبا الحسن الصيرفى يقول: سمعت أبا عبد الله الصورى يقول: قال لى عبد الغنى بن سعيد:

لما وصل كتابى إلى أبى عبد الله الحاكم أجابنى بالشكر عليه وذكر أنه أملاه على الناس، وضمّن كتابه إلى الاعتراف بالفائدة، وأنه لا يذكرها إلا عنى، وأن أبا العباس محمد بن يعقوب بن الأصم حدثهم قال: حدثنا العباس بن محمد الدورى قال: سمعت أبا عبيد يقول: من شكر العلم أن تستفيد الشيء، فإذا ذكر لك قلت: خفى على كذا وكذا، ولم يكن لى به علم

حتى أفادنى فيه كذا وكذا، فهذا شكر العالم.

قلت (يعنى السيوطى) ولهذا لا ترانى أذكر في شيء من تصانيفى حرفًا إلا معزوًّا إلى قائله من العلماء مبينًا كتابه الذى ذكر منه» أهـ. [«المزهر في علوم اللغة»].

وذكر ابن الجوزى من جملة فضائل الوزير ابن هبيرة: «كان إذا استفاد شيئًا قال: أفادنيه فلان» أ هـ. [«الذيل على طبقات الحنابلة» (١/ ٢٥٥)].

ومما ينبغى التنبيه عليه هو أنك ربما قرأت فى مصنفات بعض أهل العلم عبارة مشهورة عن إمام لا ينسبها إلى قائلها أصالة، فلا تبادر إلى لمز المصنف بالسرقة، فإن أهل العلم يترخصون فى بعض ذلك لاسيما فى الكلمات السائرة.

وقد تجد البعض يتوسع فى حال التصنيف بحكاية علم شيخه دون ذكر اسمه، من باب أن هذا قد أصبح من علمه بعد أن استفاده من شيخه ومارسه سنوات طويلة، وهو مستغن عن ذكر شيخه بما اشتهر عند العامة والخاصة أنه إنما استفاد علمه من شيخه، وإن كان الأول أن يذكر شيخه، ولعل من ذلك مقدمة الحافظ ابن كثير فى تفسيره فهى عين المقدمة فى أصول التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية.

فالقوم لهم أسباب وأعذار ومقاصد، كمن يحكى أيضًا قول شيخ ولا يسمه لأنه يعرفه أن البعض مضلل لو حكى له القائل لربما كان ذلك مانعًا له من قبول المقول، والمقصود نشر العلم وإشاعة الحق وإذاعته وبثه، والله يجزى الجميع خيرًا. [مستفاد من «النبذ فى طلب العلم» لحمد العثمان].

❊ ❊ ❊

المداومة على طلب العلم

قيل لابن المبارك: «إلى كم تكتب الحديث؟ قال: لعل الكلمة التى أنتفع لم أسمعها بعد» أ هـ. [«شرف أصحاب الحديث» (ص٦٨)].

وقال الحسن بن منصور الجصاص: قلت لأحمد بن حنبل: «إلى متى يكتب الرجل الحديث؟ قال: حتى يموت» أ هـ. [المصدر السابق].

وقال عبد الله بن محمد البغوى: «سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل يقول: أنا أطلب العلم إلى أن أدخل القبر» أ هـ. [المصدر السابق].

وقال الفيروزابادى فى شروط تعلم المتعلم:

«ألا يعتقد فى علم أنه حصل منه على مقدار لا تمكن الزيادة عليه، فذلك جهل يوجب الحرمان، نعوذ بالله منه» أ هـ. [«بصائر ذوى التمييز» (١/ ٥٢)].

وقال الخطيب البغدادى: «فإن قال قائل: درس الفقه إنما يكون فى الحداثة وزمن الشبيبة لأنه يحتاج إلى الملازمة وشدة الصبر عليه والمداومة، ولا يقدر على ذلك من علت سنه، ولا يطمع فيه من مضى أكثر عمره؛ قيل: ليس مما ذكرت مانع من طلبه، ولأن تلقى الله طالبًا للعلم خير من أن تلقاه تاركًا له زاهدًا فيه راغبًا عنه» أ هـ. [«الفقيه والمتفقه» (٢/ ٨٥)].

وقال سفيان الثورى: «لا نزال نتعلم ما وجدنا من يعلمنا» أ هـ. [«الحلية» (٦/ ٣٦٣)].

وطلب العلم عبادة وذكر وتسبيح، وإن الإنسان إذا كبر كبر معه عقله ونما، فيحصل له زيادة إدراك فيكون ذلك عونًا له على حسن الفهم وتنقيح الخلاف.

دخل إبراهيم بن المهدى على المأمون وعنده جماعة يتكلمون فى الفقه، فقال له المأمون: «يا عم، ما عندك فيما يقول هؤلاء؟ فقال: يا أمير المؤمنين، شغلونا فى الصغر واشتغلنا فى الكبر! فقال المأمون: لم لا تتعلم اليوم؟ قال: أو يحسن لمثلى طلب العلم؟ قال: نعم، والله لأن تموت طالبًا للعلم، خير من أن تعيش قانعًا بالجهل! قال: ومتى يحسن طلب العلم؟ قال: ما حسنت بك الحياة» أ هـ. [«سراج الملوك» (ص١٥١)].

وقال أبو بكر الطرطوشى: «وفى منثور الحكم، جهل الشاب معذور وعلمه محقور، **فأما الكبير فالجهل به أقبح ونقصه عليه أفضح**، لأن علو السن إذا لم يكسبه فضلًا ولم يفده علمًا، كان الصغير المساوى له فى الجهل أفضل منه» أ هـ. [المصدر السابق]، [مستفاد من «النبذ فى طلب العلم» لحمد العثمان].



طالب العلم والتخصص

لا شك أن الاتجاه السائد اليوم بين المؤسسات والهيئات العلمية هو الدعوة إلى التخصص، والإزراء بمدعى التفنن ودعاته بناء على عسر الأمر وشدته.

يقول الشيخ الشريف حاتم بن عارف العونى: «إن التخصص منهج ضرورى لا حياة ولا بقاء للعلوم إلا به. وقد نبه العلماء قديمًا على أهمية التخصص فى العلوم.

فقال الخليل ابن أحمد الفراهيدى (ت ١٧٠هـ): (إذا أردت أن تكون عالمًا فاقصد لفن من العلم، وإذا أردت أن تكون أديبًا فخذ من كل شيء أحسنه) [«جامع بيان العلم» لابن عبد البر (رقم ٨٥٠)].

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ): (ما ناظرنى رجل قط وكان مفننًا فى العلوم إلا غلبته، ولا ناظرنى رجل ذو فن واحد إلا غلبنى فى علمه ذلك) [«جامع بيان العلم» لابن عبد البر (رقم ٨٥٢)].

إن هذه العبارات وأمثالها من الأئمة الدالة على فضل المتخصص فى علم واحد على الجامع لأطراف العلوم (أو على رأى الخليل بن أحمد: الدالة على فضل العالم على الأديب المتفنن)، جاءت لتؤكد أن كل علم من العلوم بحر من البحور، لا يعرفه ويصل إلى كنوزه وخفاياه إلا من غاص أعماقه، وقصر حياته على الغوص فيه. أما من اكتفى بالسباحة على ظهر كل بحر من بحور العلم، فإنه إنما عرف ظواهر تلك البحور، وما عرف من كنوزها

شيئًا .

وأخص بالذكر أهل عصرنا ، فإن العلوم قد ازدادت تشعبًا ، وعظم كل علم عما كان، بمؤلفات أهله فيه على امتداد العصور السابقة، وبزيادة اختلافهم وأدلة كل صاحب قول منهم؛ ومع ذلك فقد ضعفت الهمم، ونقصت القدرات عما علمناه من أئمتنا السالفين؛ وذلك بين واضح لمن عرف سيرهم وأخبارهم ووازن بينهما وبين حالنا ؛ أولئك كانوا بما تعلموا وعلموا وألفوا وجاهدوا وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر كأن أعمارهم ليست بين الستين والسبعين وإنما بين مائة وستين ومائة وسبعين!! بل والله أكثر!!! أولئك كانت حياتهم كرامة، ووجهدهم معجزة خارقة للعادات!!! فأين نحن من أن نحوى علومهم؟! وأنى لنا أن نستوعب علم ما خلفوه لنا؟! ومع ذلك فقد تكلم هؤلاء أنفسهم عن فضل التخصص فى العلم ، فما أجهلنا إن حسبنا أننا بغير التخصص سنفهم علمًا من العلوم!!!

ولقد سبرت بعض أحوال المتعلمين، فوجدت أكثرهم علمًا وإنصافًا وتواضعًا ، وأدقهم نظرًا وفهمًا ، وأحسنهم تأليفًا وإبداعًا : هم أصحاب التخصصات . فى حين وجدت أقلهم علمًا وإنصافًا ، وأكثرهم كبرًا وتعاليًا وتعالمًا ، وأبعدهم عن الفهم والتدقيق وعن الإبداع والإحسان فى التأليف : المتفننين أصحاب العلوم، أو سمهم بالمثقفين؛ إلا من رحم ربك .

ومن فضل صاحب التخصص الفضل الظاهر، الذى يقرنى عليه المنصف، أن صاحب التخصص لا يثرب على المتفنن، بل يراه أكثر أهلية منه فى أمور كإلقاء المحاضرات والدعوة ومواجهة العامة، ويعتبره بذلك على ثغرة من ثغرات الإسلام، ويرى أن الأمة فى حاجة إلى أمثاله . وأما

أصحاب الفنون، فعلى الضد من ذلك، فهم أكثر الناس تثريبًا وعيبًا على المتخصصين، ولا يرون لهم فضلًا عليهم ولا فى العلم الذى تخصصوا فيه، وينازعونهم مسائلة (وهم بها جهلاء)، ويشنعون عليهم لعدم معرفتهم ببعض ما لم يتخصصوا فيه.

ولك بعد هذا أن تحكم، أى الفريقين أدخل الله فى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة: ٤٢].

ولله ما يلاقيه أصحاب التخصصات من إخوانهم المتفننين!! من عدم فهم الأخيرين لتخصصاتهم، مع كلامهم فيها ومنازعتهم أهلها، بل قد يصل الأمر إلى استغلال أصحاب الفنون علاقتهم بالعامة والغوغاء، وانبهار هؤلاء بهم، فيتطاولون على أصحاب التخصصات وعلى علومهم، بما لا يؤلم العالم شيء مثله، وهو الكلام بجهل، وتشويه العلوم.

ومن فضل صاحب التخصص إذا وفقه الله تعالى، أنه من أكثر الناس لقالة (لا أدرى)، إذا سئل عن غير تخصصه. ولهذه القالة بركة لا يعرفها إلا قليل، فهى باب التواضع الكبير، وباب للعلم أكبر. وأما صاحب الفنون، فهو عن (لا أدرى) أبعد؛ لأنه يضرب فى كل علم بسهم، وبكثير جوابه على أسئلة العامة وأنصاف المتعلمين، التى هى - فى الغالب - سؤالات عن الواضحات وعن ظواهر العلوم؛ فينسى مع طول المدة (لا أدرى)، ولا يعتاد لسانه عليها، ولا تنقهر نفسه لها؛ لذلك فهو عن بركاتها ليس بقريب!!

ثم إن للعلم دقائق لا يعرف المتفننون عنها شيئًا، أما المتخصصون فقد خبروها، وقادتهم إلى دقائق الدقائق. فهم فقهاء العلوم حقًا، وأطباء الفنون صدقًا.

يقول الحسن بن محمد بن الصباح الزعفرانى تلميذ الشافعى (ت ٢٦٠هـ): (سمعت الشافعى يقول: من تعلم علمًا فليدقق، لكيلا يضيع دقيق العلم) [«الأنساب المتفقة» لابن طاهر المقدسى].

كذا نصائح الأئمة، نور على نور!!

وأما الشافعى فقد كان آمنًا من ضياع جليل العلم وعظمه، خائفًا من ضياع دقيقة. أما نحن الآن فنقول: (من تعلم علمًا فليدقق، لكيلا يضيع جليل العلم)؛ فدققوا يا بنى إخوتى ما شئتم من التدقيق، فنحن مع تدقيقكم هذا لعلى جليل العلم وجلون!!!

وهنا أنبه على أن مطالبتنا بالتخصص لا يعنى أن نطالب بذلك على حساب فروض الأعيان من العلوم، كتصحيح العقيدة وعلم التوحيد الجملى، وما يحتاج إليه من فقه العبادات، وما شابهها من الفروض العينية من العلوم؛ فهذا ما لا يجوز على مسلم جهله، فضلًا عن طالب العلم؛ بل نحن نطالب طالب العلم بما فوق ذلك، وهو أن لا يكون جاهلًا بنفع كل علم نافع (ولا أقول أن يكون عالمًا بكل علم نافع، فهذا ضد ما أحث عليه)؛ لأن الجهل بنفع علم ذى علم فائدة دنيوية أو أخروية يدعو إلى معاداة ذلك العلم، على قاعدة: من جهل شيئًا عاداه؛ ويقبح بطالب العلم أن يعادى علمًا نافعًا، مهما قل نفعه فى رأيه، فإنه لا ينقص على أن يكون فرضًا كفائيًا.

وما أجمل وصية خالد بن يحيى بن برمك (ت ١٦٥هـ) لابنه، عندما قال له: (يا بنى، خذ من كل علم بحظ، فإنك إن لم تفعل جهلت، وإن جهلت شيئًا من العلم عاديته، وعزيز على أن تعادى شيئًا من العلم) [«جامع بيان العلم» لابن عبد البر (رقم ٨٥٣)].

وأخص من العلوم مما يقبح بطالب العلم جهله العلوم الإسلامية جميعًا، كعلم الفقه وأصوله والتفسير وأصوله والعقيدة وعلوم الآلة من نحو وصرف وبلاغة وأدب، مما ينبغى على طالب علم الحديث المتخصص أن يحصل شيئًا منها. وضابط تحصيله لهذه العلوم (حتى لا يناقض ذلك مطالبتى له بالتخصص) أن يجعل مقصوده من طلبه لهذه العلوم تكميل استفادته لتخصصه وعميق فهمه له؛ حيث إن العلوم الإسلامية بينها ترابط كبير، لا يمكن من أراد التخصص فى علم منها أن يكون جاهلًا تمام الجهل بما سواه. بل ربما قادته مسألة دقيقة فى علم الحديث (مثلًا) إلى التدقيق فى مسألة من مسائل أصول الفقه أو غيره، حتى يخرج بنتيجة فى مسألته الحديثية. وليس ذلك بغريب على من عرف العلوم الإسلامية، وقوة ما بينها من أواصر القربى العلمية.

ولأزيد الأمر إيضاحًا أقول: كيف يتسنى لطالب الحديث أن يعرف الصواب فى إحدى مشاهير مسائله؟ وهى مسألة الرواية عن أهل البدع وحكمها، إذا لم يكن عارفًا بالسنة والبدعة، وبصنوف البدع وأقسام المبتدعة، وبالغالى منهم ومن بدعته غليظة ومن يكفر ببدعته ممن هو بخلاف ذلك؛ وهذا كله باب من أبواب العقيدة عظيم.

وكيف يمكن لطالب الحديث أن يميز بين الروايات المختلفة، مثل زيادات الثقات: مقبولها ومردودها، والشاذة منها والمنكرة، والناسخة والمنسوخة، والراجحة والمرجوحة، إذا لم يكن عنده أصول الفقه والقدرة على الاستنباط والفهم للنصوص ما يتيح له الحكم فى ذلك كله؟!

المهم أن يأخذ من العلوم التى لم يتخصص فيها، بقدر ما يخدم العلم الذى تخصص فيه، ولا يزيد على ذلك، وإلا لم يصبح متخصصًا، وإنما

يكون متفننًا.

وطريقة تحصيله لتلك العلوم التى لا ينوى التخصص فى واحد منها، مما لا يخرجه عن حد التخصص إلى حد التفنن، هى أن يدرس مختصرًا من مختصرات تلك العلوم، تمكنه من مراجعة مطولات تلك الفنون، فيما إذ أحوجه علمه الذى تخصص فيه إلى ذلك، كما سبق التمثيل له. وعليه أيضًا أن لا يقطع صلته بعلماء تلك العلوم المتخصصين فيها، وأن يصوب فهمه من علومهم عليهم، وأن لا يستبد بشىء من علمهم دون الرجوع إليهم.

وأما التخصص فى علم الحديث، فقد سبق أنه من أحوج العلوم إلى التخصص فيه، لشدة عمقه وسعة بحور وامتداد آفاقه. مع ذلك فعندى فى مشروعية التخصص فيه (ولو على حساب الفقه!) سنة ثابتة وحديث صحيح مشهور! وهو قول النبى ﷺ: «**نضر الله امرأً سمع منا مقالة فحفظها، فأداها كما سمعها، فرب حامل فقه لا فقه له، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه**».

و(نضر) بتخفيف الضاد وتشديدها: من النضارة، وهى الحسن والرونق والبهاء. فالنبى ﷺ يدعو لراوى الحديث بالحسن والبهاء مطلقًا، فى الدنيا والآخرة. وقيل إن المعنى: أبلغه الله تعالى نضارة الجنة.

وراوى الحديث الذى دعا له النبى ﷺ بالنضارة: هو رواية باللفظ، ولو كان لا يفهم كل معانى الحديث «ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه» ولو كان لا فهم له فى الحديث أبدًا (رب حامل فقه لا فقه له)!!

وهذا يدل على مشروعية رواية الحديث دون فقه، بل يدل على استحباب ذلك؛ ويدل على أن رواى الحديث دون علمه بفقهه محمود غير مذموم،

وأنه مستحق بفعله هذا دعوة النبي ﷺ له.

وقد تعقب الرامهرمزى (ت ٣٦٠هـ) هذا الحديث فى كتابه (المحدث الفاصل بين الراوى والواعى) بقوله: (ففرق النبي ﷺ بين ناقل السنة وواعيها، ودل على فضل الواعى بقوله: (فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ورب حامل فقه غير فقه). وبوجوب الفضل لأحدهما يثبت الفضل للآخر؛ [ما أحسن قوله: (وبوجوب الفضل لأحدهما يثبت الفضل للآخر)! فإنك إن ذكرت فضل الفقيه، قلنا لك: وهل تفقه الفقيه إلا بما رواه له المحدث وميز له صحيحه من سقيمه؟! وإن ذكرت فضل المحدث، قلنا لك: وهل يكون للرواية فائدة إلا بفقهها للعمل بما فيها؟!].

ومثال ذلك أن تمثل بين مالك بن أنس وعبيد الله العمرى، وبين الشافعى وعبد الرحمن بن مهدى، وبين أبى ثور وابن أبى شيبة، فإن الحق يقودك إلى أن تقضى لكل واحد منهم بالفضل. [هذه الأمثلة الثلاثة، ذكر فى كل واحد منها قرينين، الأول منهما إمام فى الفقه والثانى = إمام فى الحديث؛ فمن ينتقص أحد الإمامين؟!! أمن يستطيع ذلك؟!!!]

وهذا طريق الإنصاف لمن سلكه، وعلم الحق لمن أمه ولم يتعده) [«المحدث الفاصل» للرامهرمزى (١٦٩ - ١٧٠)].

ورحم الله السلف! فقد كانوا أسبق إلى كل خير وعلم وإنصاف؛ ولهذا لما روى مطر بن طهمان الوراق (ت ١٢٥هـ فيما يقال) حديثًا، وسئل عن معناه، قال: (لا أدرى، إنما أنا زاملة)، فقال له السائل - وكان عاقلًا منصفًا - (جزاك الله خيرًا، فإن عليك من كل: حلو وحامض) [«جامع بيان العلم» لابن عبد البر (رقم ١٩٤٤)، و«الجامع لأخلاق الراوى» للخطيب (رقم ١٣٧١)].

وانظر إلى إجلال السلف لرواة الحديث، فى العبارة التالية: يقول محمد ابن المنكدر (ت ١٣٠هـ): (ما كنا ندعو الراوية إلا رواية الشعر، وما كنا نقول للذى يروى أحاديث الحكمة إلا: عالم) [«جامع بيان العلم» لابن عبد البر (رقم ١٥٣٣)].

ومما سبق إليه السلف من العلم والخير والحق، التنبيه إلى أن علم الحديث علم لا يقبل الشركة ولا توزيع الهمة على غيره معه.

يقول الربيع بن سليمان المرادى (ت ٢٧٠هـ) تلميذ الشافعى: «مر الشافعى بيوسف بن عمرو بن يزيد (وكان من كبار فقهاء المالكية: (ت ٢٥٠هـ)، وهو يذكر شيئًا من الحديث، فقال: يا يوسف، تريد أن تحفظ الحديث وتحفظ الفقه؟!! هيهات!!!» [«الجامع» للخطيب (٢/ ٢٥١ رقم ١٥٦٩)].

وقد قدم الخطيب هذه الكلام من الشافعى، وهو يصف الذى يبرع فى علم الحديث بقوله: «أن يعانى علم الحديث دونما سواه لأنه علم لا يعلق إلا بمن وقف نفسه عليه، ولم يضم غيره من العلوم إليه» [«الجامع» للخطيب (رقم ١٥٦٩)].

ثم أخرج الخطيب عقب ذلك العبارتين التاليتين:

يقول أبو يوسف القاضى (ت١٨٢هـ): «العلم شىء لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك وأنت إذا أعطيته كلك من إعطائه البعض على غرر» [«الجامع» للخطيب (رقم ١٥٧٠)].

ويقول أبو أحمد نصر بن أحمد العياضى الفقيه السمرقندى: «لا ينال هذا العلم إلا من عطل دكانه، وخرب بستانه، وهجر إخوانه، ومات أقرب

أهله إليه فلم يشهد جنازته» [«الجامع» للخطيب (رقم ١٥٧١)].

فإن كانت هاتان العبارتان حقًا فى العلوم جميعها، فهى فى علم الحديث أولى أن تقال وأحق. وهذا هو ما قصده الخطيب، عندما ساقها فى ذلك السياق.

وللتخصص فى كل العلوم معناه، وفى علم الحديث له معناه الخاص به؛ فهو تخصص لا يقبل الانقطاع إلى غيره، مهما طال زمن التفرغ فى تحصيله، ومهما ظن طالبه أنه تملأ منه وتضلع. لأنه خبرة دقيقة وحاسة لطيفة، لا تدوم إلا مع بقاء الالتصاق بالعلم. وسرعان ما تفسد تلك الخبرة، وتتعطل تلك الحاسة، إذا انقطع الطالب عن العلم فترة يسيرة.

يقول فى بيان ذلك عبد الرحمن بن مهدى (ت ١٩٨هـ): «إنما مثل صاحب الحديث بمنزلة السمسار، إذا غاب عن السوق خمسة أيام تغير بصرة. [«الجامع» للخطيب (رقم ١٩٠٩)].

وبلسان أهل عصرنا: إنما مثل صاحب الحديث بمنزلة تاجر العملات، لا يستطيع أن يستفيد ويربح، إلا إذا كان متابعًا لأسواق العملات، دون انقطاع؛ فإذا انقطع يومًا واحدًا، أصبح كالجاهل بهذا السوق تمامًا، وكأنه لم يكن عليمًا به يومًا من الأيام! لأنه لا يستطيع أن يشترى أو يبيع، لعدم علمه باختلاف أسعار العملات الذى يتبدل كل ساعة.

ولذلك لم يجعل الإمام أحمد (ت٢٤١هـ) لطلب الحديث زمنا ينتهى عنده، ولم يوقت له فترة يجعلها حده؛ عندما سئل: «إلى متى يكتب الرجل الحديث؟ قال: حتى يموت. [«شرف أصحاب الحديث» (رقم ١٤٥)].

فإن قيل: قد جاءت عبارات كثيرة فى كتب العلم، تدل على ذم من لم

يجمع مع الحديث فقهًا، أو على ذم إفناء العمر فى جمع طرق الأحاديث وتتبع الأسانيد.

فمن الأول، قول القائل:

زوامل للأسفار لا علم عندهم بجيدها إلا كعلم الأباعر
لعمرك ما يدرى البعير إذا غدا بأحماله أو راح ما فى الغرائر

ومن الثانى: قصة حمزة بن محمد الكنانى الحافظ (ت٣٥٧هـ)، قال: «خرجت حديثًا واحدًا عن النبى ﷺ من مائتى طريق، أو من نحو مائتى طريق، فداخلنى من ذلك الفرح غير قليل، وأعجبت بذلك. قال: فرأيت ليلة من الليالى يحيى بن معين فى المنام، فقلت له: يا أبا زكريا، خرجت حديثًا واحدًا عن النبى ﷺ من مائتى طريق! قال: فسكت عنى ساعة، ثم قال: أخشى أن يدخل هذا تحت ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١﴾» [«جامع بيان العلم» لابن عبد البر (رقم ١٩٨٨)].

فما هو معنى تلك العبارات؟ مع ما ندعو إليه من التخصص فى علم الحديث.

فأقول: أما ما جاء فى ذم من لم يجمع مع الحديث فقهًا، فلا يعارض كلام من كان من الناس بقوله النبى ﷺ الذى سبق ذكره، مما يدل على مشروعية بل استحباب ما عابه ذلك العائب.

ثم إن الذى صدر منه ذلك الذم أحد رجلين: إما أنه من أهل العلم والفضل، وحينها يحمل كلامه على ذم من قصر فيما لا يجوز التقصير فيه من الفقه بالفروض العينية ونحوها، مما تقدم ذكره. وإما أن هذا الذام من أهل الرأى وأصحاب البدع، الذين يعادون السنة وأهلها، وينفرون من

علومها؛ وهؤلاء لا وزن لمدحهم وذمهم، بل ربما كان ذمهم مرجحًا كفة المذموم على الممدوح منهم!!

وأما ما ورد من عيب إفناء العمر فى تتبع طرق الأحاديث وجمع الأسانيد، فليس الأمر على إطلاقه.

فهذا يحيى بن معين الذى رآه حمزة الكنانى يذم فعله فى ذلك، يقول يحيى بن معين هذا: «لو لم نكتب الحديث من ثلاثين وجها ما عقلناه». [«الجامع» للخطيب (رقم ١٧٠٠)].

ويقول الإمام أحمد: «الحديث إذا لم تجمع طرقه لم تفهمه، والحديث يفسر بعضه بعضًا».

وقال على بن المدينى: «الباب إذا لم تجمع طرقه، لم يتبين خطؤه».

إذن ما هو الأمر المعيب فى تتبع الطرق وجمع الأسانيد؟

أجاب عن ذلك الخطيب البغدادى فى كتبه، وحصر سبب عيب ذلك فى أمرين:

الأول: جمع الأحاديث وقطع الأعمار فى كتابتها، صحيحها وضعيفها وموضوعها، دون تمييز الصحيح بمزيد اعتناء، ولا معرفة الضعيف بعلته، ولا التنبيه على المكذوب والباطل؛ فهو جمع وتصنيف على الإهمال والإغفال، يضر أكثر مما ينفع.

يقول الخطيب فى «الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع»: «ينبغى للمنتخب أن يقصد تخير الأسانيد العالية، والطرق الواضحة، والأحاديث الصحيحة، والروايات المستقيمة. ولا يذهب وقته فى الترهات، من تتبع

الأباطيل والموضوعات، وتطلب الغرائب والمنكرات (ثم قال) والغرائب التى كره العلماء الاشتغال بها، وقطع الأوقات فى طلبها، إنما هى ما حكم أهل المعرفة ببطلانه، لكون رواته ممن يضع الحديث، أو يدعى السماع. أما ما استغرب لتفرد رواية به، وهو من أهل الصدق والأمانة، فذلك يلزم كتبه، ويجب سماعه وحفظه».

وقال الخطيب أيضًا: «ولو لم يكن فى الاقتصار على سماع الحديث وتخليده الصحف، دون التميز بمعرفة صحيحة من فاسده، والوقوف على اختلاف وجوهه، والتصرف فى أنواع علومه، إلا تلقيب المعتزلة القدرية من سلك تلك الطريقة بالحشوية؛ لوجب على الطالب الأنفة لنفسه، ودفع ذلك عنه وعن أبناء جنسه».

الثانى: يقول فى بيانه الخطيب فى «شرف أصحاب الحديث»: «إنما كره مالك وابن إدريس وغيرهما الإكثار من طلب الأسانيد الغريبة والطرق المستنكرة، كأسانيد: (حديث الطائر، وطرق حديث المغفر، وغسل الجمعة، وقبض العلم، وإن أهل الدرجات، ومن كذب على، ولا نكاح إلا بولى.. وغير ذلك، مما يتتبع أصحاب الحديث طرقه، ويعنون بجمعة؛ والصحيح من طرقه أقلها. وأكثر من يجمع ذلك: الأحداث منهم، فيتحفظونها ويذاكرون بها. ولعل أحدهم لا يعرف من الصحاح حديثًا وتراه يذكر من الطرق الغريبة والأسانيد العجيبة التى أكثرها موضوع وجلها مصنوع، ما لا ينتفع به، وقد أذهب من عمره جزءًا فى طلبه. وهذه العلة هى التى اقتطعت أكثر من فى عصرنا من طلبه الحديث عن التفقه به، واستنباط ما فيه من الأحكام. وقد فعل متفقهة زماننا كفعلهم، وسلكوا فى ذلك سبيلهم، ورغبوا عن سماع السنن من المحدثين، وشغلوا أنفسهم بتصانيف المتكلمين. فكلا الطائفتين ضيع ما يعنيه، وأقبل على مالا فائدة

فيه».

فبين الخطيب أن سبب كراهة مالك وغيره لتتبع الطرق وجمع الأسانيد من طلبة الحديث، لا لأنه تتبع وجمع وحسب، ولكنه جمع لطرق أحاديث صحيحة أصلًا، وليس هناك أى فائدة زائدة من تتبع أسانيدها الأخرى التى قد يكون أغلبها ضعيفًا أو باطلًا. ومثال ذلك فى عصرنا: ذاك الذى سود صفحات طويلات فى تخريج حديث واحد، متوسعًا غاية التوسع فى ذكر مصادر العزو، من مسانيد ومعاجم ومشيخات وأجزاء وتواريخ، مع أن الحديث صححه الشيخان من قبل، ولعله وافقهما على تصحيحه أئمة آخرون، ولا مخالف لهم فى تصحيحه؛ فيخرج أخونا هذا، دون أى فائدة زائدة على ما كان قد بدأ به، عندما عزا الحديث للصحيحين، وهو أن الحديث صحيح!!

ثم إنه لا تتحقق كراهية ذلك الجمع للأسانيد إلا بشرط، وهو إذا ما كان الجامع لها من أحداث طلبة العلم وصغارهم، ممن لم يصلوا إلى درجة معرفة قدر جيد من صحيح السنة؛ فتنقطع أعمارهم فى جمع تلك الأسانيد، ولعل أحدهم لا يعرف حديثًا صحيحًا (كما يقول الخطيب)، فذهب عمره فيما لا ينتفع به. فمثل هذا لا تخصص فى الحديث، ولا تعلم الفقه؛ ولذلك عاب عليهم الخطيب انشغالهم عن الفقه بما هم فيه، فالفقه أجل وأشرف بكثير مما هم فيه.

ولذلك قال على بن المدينى: «إذا رأيت طالب الحديث أول ما يكتب الحديث يجمع: حديث الغسل، وحديث من كذب على؛ فاكتب على قفاه: لا يفلح».

أما إذا كان الجامع لطرق الحديث (ولو كان أصل الحديث صحيحًا بأقل

تلك الطرق أو بواحد منها) من الأئمة الكبار فى السنة، الذين هم أولًا أئمة فى الاطلاع على صحيح السنة والثابت منها، وفى تمييز المقبول من المردود، وهم ثانيًا لم يقطعوا أعمارهم فى جمع تلك الأسانيد، بدليل إمامتهم واطلاعهم العظيم على السنة؛ فهؤلاء لو جمعوا أسانيد حديث صحيح بأحد تلك الأسانيد، أى لو قاموا بمثل ما عبناه على الأحداث الصغار فى العلم، لما عبناهم بذلك، بل نفرح بجهدهم هذا، ونعتبره من النفائس والأعلاق؛ وذلك لأن جمعهم الأسانيد لم يكن على حساب كمال علمهم بالسنة، ولم يشغلهم عما ينتفعون به من الأحاديث الصحيحة وتمييزها عن السقيمة. ولذلك فإن الأحاديث التى مثل بها الخطيب مما يعاب على الأحداث جمعه، لا يكاد يوجد حديث منها إلا قام بجمع طرقه حفاظ كبار وأئمة أعلام ممن يقتدى بهم.

فحديث الطير للإمام الذهبى فيه مصنف.

وحديث غسل الجمعة جمع طرقه الحافظ ابن حجر، كما نقله الزبيدى فى (لقط اللآلى المتناثرة).

وحديث (من كذب على) جمع طرقه الطبرانى وابن الجوزى.

وحديث (لا نكاح إلا بولى) جمع طرقه شرف الدين الدمياطى.

بل إن الخطيب نفسه ذكر جل هذه الأحاديث، فى سياق ما ينصح بجمعه، اقتداء بالمحدثين الذين جمعوا تلك الأحاديث. ومن قبله ذكرها الحاكم فى كتابه «معرفة علوم الحديث»، فى نوع خاص بها.

وخلاصة ما سبق، فيما يلام عليه طالب الحديث وما لا يلام عليه من التدقيق فى العلم، هو أنه يلام فى قضاء العمر: فى جمع الأباطيل والمناكير،

وعدم تمييزها عن الصحاح المشاهير؛ وفى تتبع أسانيد حديث صحيح بأحد تلك الطرق، ولا فائدة فى تتبع الأسانيد الأخرى، إلا انقضاء الحياة دون معرفة قدر كبير من صحيح السنة وتعلم علوم الحديث.

أما اللوم على التدقيق فى العلم مطلقًا، فهو من أعظم الصواد عن العلم، ومن أكبر الدواعى إلى الجهل؛ وإلا فمتى يصل طالب العلم إلى مصاف العلماء؟ إذا لم يدقق التدقيق الذى بحسب مرتبته من العلم، والذى هو من باب الترقى فى التعلم والتدرج فيه؛ من هو فهم رؤوس المسائل، إلى فهم فروع المسائل، إلى التفقه فى العلم وأدلته وأصوله، إلى الاجتهاد فيه والاستنباط. وقد سبقت عبارة الإمام الشافعى، التى يقول فيها: (من تعلم علمًا فليدقق، لكيلا يضيع دقيق العلم). وإنما أطلت هذه الإطالة فى الحث على التخصص، وفى علم الحديث خاصة، لكثرة من يعيب ذلك!! وفى هؤلاء العائبين من نحسن به الظن، وغالبهم من إخواننا المتفننين، كما سبق!! وأطلت هذه الإطالة أيضًا، لمزيد احتياج علم الحديث إلى التخصص الدقيق حقيقة، وإلى التعمق فيه؛ وخاصة فى هذه الأعصار؛ فأين هم نقاده وصيارفته؟! وأين هم أطباء علله؟!!».

هذا الكلام من الشيخ حاتم هو أدق وأعلى ما وقفت عليه من كلام دعاة التخصص، وأنا جد كلف بهذا القول غير أنه لا يسعنى إلا التنبيه على أن التخصص شيء والفصام شيء آخر، فالتخصص هو أن تفرغ نفسك لعلم معين بعد فراغك من دراسة بقية العلوم دراسة تهيء لك الوقوف على مهماتها ومعرفة مفاتيحها ومظنة البحث وتحرير القول فيها، مع العناية بالعلوم التى تتصل بالعلم الذى تروم التخصص فيه، أما الفصام المشئوم الذى أشرت إليه من قبل فليس من وكدى الدعوة إليه ولا الثناء عليه.

أخر البروز والظهور والتصدر قدر ما تستطيع

إن أضر ما رأيت على طالب العلم من القواصم هو أن يُبدأ بالإشارة إليه بالبنان وما درى طالب العلم أن ضريبتها قاسية وشديدة، ولهذا قلب طرفك فى كل من برز صغيرًا كيف حاله:

١ - كثر حاسدوه.

٢ - حفظت عنه معايب كثيرة بسبب أقواله التى لم تنضج بعد.

٣- كثرة التغير فى رؤاه وآرائه ومنهجيته.

٤- قلة مشايخه وقصر الدراسة عليهم.

٥ - فوات صغار المسائل عليه وفوات بعض العلوم.

وأعظم مصيبة تحل عليه وهى السادسة والحالقة.

٦ - التسور على الفتوى والقول على الله بلا علم لأنه لو ألزم نفسه أن لا يفتى إلا بعلم منقول لكثرت عنده = لا أدرى، فانفضح أمره بين أقرانه ولا تسأل عن مغبة القول على الله بلا علم ولا حول ولاقوة إلا بالله.

ولقد رأت عينى أناسًا أُعطوا فهومًا وذكاءً، ولم يُعطو زكاءً، وكان مشايخهم يرجون لهم مستقبلًا باهرًا، فحُرموا الوصول بسبب العجلة فى قطف الثمرة.

وقد ضَرب لنا ربنا درسًا فى عدم تجشم مالا تعلم، وذلك فى أول قصة

ذكرها ربنا فى كتابه من أجل أن تكون لنا درسًا فى التعلم، فتأمل أول سورة فى القرآن وفى أول قصة = وذلك فى قصة الملائكة مع ربها عندما قال الله ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ تنبهت الملائكة لهذا الدرس بعد أن قالوا ما قالوا تنبهوا فقالوا: ﴿سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣٢].

متى ما رأيت من نفسك كلما تعلمت رغبةً جامحةً فى التصدر والتسميع، فاعلم أن الحبائل تُحاك لك، وأنك على خطر ومزلق ومزلة، فتدارك نفسك = فالعالم الخاشى كلما كثر علمه، كلما قلَّ حديثه، وكثر خوفه، وزاد يقينه بجهله: كما قال الشافعى:

كلما أدبنى الدهر أرانى نقص عقلى
أو أرانى ازددت علمًا زادنى علمى بجهلى

ولهذا قال إسحاق الحنظلى: أعلم الناس بالفتوى أسكتهم فيها، وأجهل الناس بالفتوى أنطقهم فيها.

ومن علامة الإخلاص إدامة قول لا أدرى ولا أعلم، أين نحن من قول البراء صاحب رسول الله ﷺ حينما قال: لقد رأيت ثلاث مئة من أهل بدر ما منهم من أحد إلا وهو يحب أن يكفيه صاحبه الفتوى، وقال ابن أبى ليلى: أدركت عشرين ومئة من أصحاب رسول الله ﷺ من الأنصار يُسأل أحدهم عن المسألة فيرد هذا إلى هذا، وهذا إلى هذا، حتى ترجع إلى الأول.

وقال على بن أبى طالب رضي الله عنه: ما أبردها على الكبد إذا سئل أحدكم عن ما لا يعلم أن يقول لا أعلم.

ولنتأمل قصة ابن عمر رضي الله عنهما، وتأسَّ به، فقد لحقه ذات مرة أعرابى فقال

أنت ابن عمر؟ قال نعم - وتخيل أن يقول لك السائل هذا: أنت الشيخ الفلانى !! - فسأله الأعرابى فقال له: أترثُ العمّة؟ فقال ابن عمر: لا أدرى اذهب إلى العلماء بالمدينة فسلهم فلما أدبرقَبَّلَ ابن عمر يديه ثم قال: نِعم ما قال أبو عبد الرحمن - يعنى نفسه - سئل عما لا يدرى فقال لا أدرى.

كأنى أحس بطعم فرحته عندما تخلص من إثم القول على الله بلا علم وأنقذ نفسه من مغبة الهلكة.

وقال عقبة بن مسلم صحبت ابن عمر أربعة وثلاثين شهرًا وكان كثيرًا ما يسأل فيقول: لا أدرى، ثم يلتفت إلى فيقول: هل تدرى ما يريد هؤلاء؟ يريدون أن يجعلوا ظهورنا جسرًا إلى جهنم.

والقصص فى هذا كثيرة ممن؟ أَمِنْ أناس لم يقرأوا متنًا فقهيًا واحدًا مختصرًا؟ كلا بل من أئمة أعلام فمالك رحمه الله مَنْ هو؟ ومع هذا قال عنه ابن وهب: لو شئت أن أملأ ألواحى من قول مالك: لا أدرى لفعلت، ولما سُئل الإمام أحمد: كم يكفى الرجل من الحديث حتى يكون مفتيًا: مائة ألف؟ فقال: لا، إلى أَنْ قال: فيكفيه خمسمائة ألف حديث؟ قال: أرجو».

رحماك بنا يا رحمن . . .

لا أدرى كيف يغش المرء نفسه، وهو ينظر إلى نفسه بعين الكمال، عندما يتقن باب الطهارة والصلاة، فإذا ما جاءت مسألة فى قضايا الأسرة من طلاقٍ أو عِدَد، أو جاءت مسألةٌ فى الدعاوى، بدأ يعجن الذهن ويطحنه، ويبحث عن كلمة من هنا وهناك.

يا طالب العلم كيف تخدع نفسك فضلًا عن خداعك لغيرك، أوليس

الأجدر والأحسن أنْ تتعلم ما تجهله قبل أن تتكلم فيه.

والذى أراه من حال طلاب العلم أُنَاسٍ إذا طُرِحَتْ مسألة ذهب يبحث عن هذه المسألة، وهو أصلًا لم يتقن الباب كله، إنْ لمْ يكنْ هذا من التشبع فماهو؟!

فمثلًا، رأيتُ أُناسًا يناقش فى مسألةٍ من مسائل الطلاق، ويخيل للقارئ أن هذا المناقش يُفهمنا أنه متقن للفقه كاملًا، ثم تجده فى بعض المشاركات ضعيفًا جدًّا فى بعض أبواب الفقه.

إنَّ هذا التصرف ليس ضرره على القراء = كلا، بل ضرره عليك أنت لأنك ستظل تدور فى حلقة مفرغة حسب الطلب، وإذا جاء الطلب مرة أخرى لنفس المسألة إذا هى قد طارتْ منك تحتاج إلى رجعتها.

نعم، قد تنقل كلامًا لعالمٍ موثوق، وتنسب الفتوى، فأنت داخلٌ فى قولهِ ﷺ: «**بلغوا عنى ولو آية**»، وقوله ﷺ: «**نضر الله امرءا..**» الحديث وليس هذا من بابته.

تالله إنى من خلال هذه القاعدة العظيمة، أنصح نفسى وإخوانى = إنْ لم نجلد ذواتنا بالمصارحة، فما أدينا حق الأخوة.

لستُ من خلال هذه القاعدة، مزهدًا فى نشر العلم، ورحم الله رجلًا بلغ آية، ولكن الشان كل الشان، أنْ يكون تبليغك عنْ مصدرٍ موثوق مسبوق، لا عنْ رأى مِنَ الذهن مفتوق. [«مستفاد من الشيخ: المقرئ = ملتقى أهل الحديث»].

❁ ❁ ❁

الزم ثم الزم فقيهًا متمكنًا فى فهم المذهب ذا تجربة طويلة فيه وأدم صلتك به

إنَّ هناك خللًا فى فهم الفقه عند كثير من طلبة العلم، فمثلًا ترى الشاب يخلط كثيرًا بين شيخ يهتم بالتصحيح والتضعيف والحُكم على الأسانيد، وإنْ كان له عناية بطرف فى الفقه، وبين شيخ فقيه تمرس فيه.

فى نظرى لا يؤخذ الفقه بمعناه الاصطلاحى من كتب أحاديث الأحكام، وأرجو أنْ لا تعجل على حتى تفهم ما أقصد:

ولعلى أضرب بالمثال قبل أنْ أبدأ بالفكرة: خذ مثلًا باب الرجعة فى بلوغ المرام، ذكر حديثين فقط، وانظر أحكام الرجعة فى زاد المستقنع، مثلًا وانظر إلى باب الظهار فى بلوغ المرام، ذكر حديثين فقط، وانظره فى الزاد

ستجد أنه ذكر فى كتاب الفقه مسائل مهمة جدًّا، ووقوعه كثير ولكنَّ الحديثين ليس فيهما شفاء للمسألة؛ ولهذا نجد أن شُرَّاحَ الحديث، يُحَوِّلُون شرح بلوغ المرام إلى كتاب فقهى، مِنْ أجل أنْ يكملوا النقص على الطالب، فيتشتت الطالب ولا يدرى ما علاقة المسألة بالحديث، فما هى إلا أيام ولا يبقى مع الطالب إلا الحديث والمسائل المتعلقة به صراحة، وأما المسائل فقد نُسيت؛ ولهذا تجد المهتمين بالحديث، وليس لهم علاقة بالفقه إذا جاءت المسائل المنصوصة والخلاف فيها قوى، كمسألة جلسة الاستراحة ومسألة زكاة الحلى ومسألة التغريب للزانى ومسألة طواف الوداع ومسألة العدة للمختلعة ووقوع الطلاق بالثلاث، تجد أنه يفوق الفقيه فى هذه المسألة،

ولكنْ إذا جاءت المسائل المُخَرَّجَة، وغير المنصوصة تجد أنه لا يستطيع أنْ يستحضر فيها شيئا.

وعليه، فلايمكن لمنْ أراد أنْ يضبط المسائل، إلا بطول التعلم على شيخ ضابطٍ للفقه، بحيث يعين الطالب على وضع لبنة لهذه المسائل المخرجة وكيفية التعامل مع المسائل النازلة؛ ولهذا لا أعلم عالمًا برز فى الفقه، إلا وبدأ طلبه على فقيهٍ ضابطٍ لمذهبه، ثم بعد ذلك يختار هو ما يختار.

وفائدة الشيخ ما يلى:

١ - تصوير المسائل تصويرًا صحيحًا والابتعاد عن الفهم الخاطئ:

إذا قرأت شيئا فلابد للعقل أنْ يُصور ما يقرأ فى عقل القارئ، تُرى هل كل ما ستقرؤه ستتصوره تصورًا صحيحًا؟ الجواب: كلا، لابد من أستاذ يصور لك المسائل وتتأكد مِنْ فهمك.

وكم قرأنا بحوثًا لأفاضل، بل وعلى مستوى الجامعة، نجد ما يُدمى القلب، مِنْ حيث: فهم المسألة، وتداخل الأقوال، وعدم التبصر فى مقتضى كل قول.

وأذكر أن شيخنا ابن عثيمين - رحمه الله - سأل الطلاب، عن الثنى فى الضأن فى الأضحية كم عدد أسنانه العلوية؟ فجاءت إجابات مضحكة وضحك الشيخ وذكر قصة مشابهة له مع شيخه السعدى ونبه على هذا الأمر.

٢ - من خلال الشيخ الضابط تتعلم منه لغة الفقهاء وطريقة الردود والإيرادات ومنزع المسائل.

إذا جلست عند فقيه ضابط علمت كيف تورد الأفكار الفقهية وتنمى الإيرادات العقلية وتصنع الملكة الأصولية والذوق الفقهى.

فلما يتكلم الشيخ عن فسخ نية الوضوء بعد الانتهاء منه، هل هى معتبرة أم لا؟

تقول: لا، فيقول شيخك، فما بالهم فى الصيام حكموا بنقض الصيام بفسخ النية؟ فتقول: فسخ النية المفسد للصوم؛ إنما هو بسبب أنَّ العبادة لم تنته بعد، فمثلها لو نوى فسخ النية فى أثناء الطهارة فهنا تنفسخ النية، فيقول لك الشيخ: الرِدَّة مِنْ نواقض الوضوء، والعبادة قد انتهت ومع هذا إذا رجع إلى الإسلام، أعاد الوضوء ولم يعد الصلاة؟ فتقول: الصلاة انتهت علائقها بخلاف الطهارة، فهى شرط لصلاة أخرى، وستستخدم هذه العبادة كشرط لعبادة أخرى، بخلاف الصلاة، فقد مضت وليست هى شرطًا لعبادة أخرى إلى آخر ما يرد.

وإنما المراد معرفة مهمة الشيخ بالنسبة لك فانظر كيف يفتق الذهن ويسيل القريحة وكل ما سبق ليس فيها نص صريح عن رسول الله ﷺ وإنما هو دور الفقيه.

٣ - من أعظم ما يقوم به شيخك الفقيه يعودك على ربط المسائل فيما بينها:

إنَّ الناظر إلى طلاب العلم، يجد أنَّ كثيرًا منهم يبحث فى مسألة من مسائل أبواب الطهارة، ويظن أنَّ هذه المسألة انتهت وانحصرت ببحثه فى هذا الباب، وما درى أنَّ المسألة لم تنته بعد، وسَيَرِدُ عليه إيرادات عند مواصلته بالفقه قد تضطره إلى نقض قوله:

وأضربُ مثلًا فى باب هو من أواخر أبواب الفقه مع بابين من الأبواب المتقدمة:

باب الرضاع له اتصال ببابين متقدمين، باب المياه وباب الصوم:

أ - الماء المتغير ولم ينزع عنه وصف الماء هل يسلبه أحكام الماء الطهور أم لا؟ سترد عليه هذه المسألة فى باب الرضاع عند الرضاع باللبن المشوب والمخلوط هل يحرم أم لا.

ب - المذهب، قالوا فى الصوم: إنَّ حقن الغذاء مِنَ الدبر فى الصوم مُفطر، وله أحكام الغذاء، بينما فى باب الرضاع، المذهب أنَّ حقن اللبن من الدبر غير مؤثر.

فكيف ستجيب عن هذا؟!

فشيخك يقوم بهذه المهمة؛ بسبب معرفته لأبواب الفقه، يعلم ما سيرد عليه وكيف يستحضر الإجابة عليه هذا مثال واحد والأمثلة كثيرة ولكنْ أردتُ فقط التدليل.

٤ - من أعظم ما يقوم به الشيخ ربط العلوم المرتبطة بالفقه بعضها ببعض:

وهذا لا يتأتى لمن لم يضبط، فتجد الشيخ يفتق الذهن بربط العلوم المتعلقة بالفقه وأضرب مثالًا:

فمثلًا علم الفرائض:

سيرد على الطالب فى أكثر من باب وأقتصر على باب الوصايا وباب

النفقات :

أ - باب الوصايا : إذا قال الفقيه فى باب الوصايا «وإنْ وصى له بمثل نصيب أحد ورثته فله مثل أقلهم نصيبًا يزاد على الفريضة، فلو خلف ثلاثة بنين ووصى بمثل نصيب أحدهم فله الربع، فإن كان معهم ذو فرض كأم صحت مسألة الورثة بدون الوصية من ثمانية عشر، وزدت عليها مثل نصيب ابن من ثلاثة وعشرين ولو وصى بمثل نصيب أحدهم ولآخر بسدس باقى المال، جعلت صاحب سدس الباقى كذى فرض له السدس وصححتها مثل التى قبلها، فإنْ كانت وصية الثانى بسدس باقى الثلث صححتها أيضًا كما قلنا سواء ثم زدت عليها مثليها فتصير تسعة وستين تعطى صاحب السدس سهمًا واحدًا والباقى بين البنين والوصى الآخر أرباعًا . . .» .

فمثل هذه المسائل : قل لى كيف سيفهمها الطالب وهو لم يجلس مع شيخ متمرس فى الفقه عليم به، وأذكر أن طالب علم، تصدر للتدريس وأقر هذا المتن المشهور، ولما جاء لمثل هذه المسائل، بدأ يبحث عن شيخ يفك رموزها وغموضها، مع أنها من أسهل المسائل لمنْ تمرس وهذا من أعظم الخلل .

ب - باب النفقات : إذا قال الماتن : «ومن يرثه بفرض أو تعصيب إذا كانوا فقراء وله ما ينفق عليهم، وإنْ كان للفقير وارثان فأكثر، فنفقته عليهم على قدر ميراثهم منه إلا الابن له أب فإن نفقته على أبيه خاصة» .

فكيف سيجيد الطالب هذه المسائل وتميز من تجب عليه النفقة ومن لا إلا إذا كان قد درس على شيخ ضابط متمرس .

والشيخ الفقيه يفتق ذهنك بعلم قواعد الفقه وأصوله، ويربط لك هذين العلمين بعلم الفقه، بكل وضوح وتأنٍّ دون إتعاب للذهن وإدخال للسآمة،

بل يحبب لك العلمين ويسهل لك الفنين.

فإذا أعطاك الفقيه «قاعدة فى أحكام المنفصل والمتصل فى الحيوان، ثم ذكَّرك إياها فى باب الطهارة وفى باب البيع وفى باب الطلاق وفى باب العتاق وغير ذلك، وجدت لذة عظيمة فى ضبطك لمسائل متفرقة وتتذكرها على فترات».

وإذا أعطاك الشيخ قاعدة «اليقين لا يزول بالشك»، ثم كررها عليك فى باب الطهارة وفى باب الصلاة وفى باب الزكاة وفى باب الحج وفى باب النكاح وفى باب الطلاق وغيره».

وهكذا تمتلك ضوابط وقواعد وعلومًا متنوعة، مِنْ خلال فقيه واحد فى فن واحد.

ولا أريد الإطالة، وإلا فالموضوع أخَّاذ، والأفكار تتضارب أمامى والقلم جامح، ولكن الشرط هو «الإشارة لا الإطالة». [«مستفاد من الشيخ: المقرئ = ملتقى أهل الحديث»]



ابدأ بكتاب مختصر معتمد مشهور عليه شروح العلماء:

إياك أن تبحث عنْ كتاب لم يُخدم مِنْ قِبَلِ أهل العلم ولم يولوه عنايتهم؛ لأنَّ طالب العلم لا يستطيع أنْ يفيد من كتاب لم يُشرح ولم يُحش، ولم يعتن به أهل العلم.

فمثلًا: زاد المستقنع فى المذهب الحنبلى تخدمك الكتب التالية:

شروح الزاد: مثل الممتع، والروض، والسلسبيل، وحاشيتى الروض،

وكذلك ترجع إلى الأصل وشروحه ولا يخفاك كثرتها، فكل مسألة بإمكانك أنْ تأخذ الخلاف فيها الخاص والعام، الخلاف فى المذهب والخلاف المقارن دون أى عناء، كذلك لا تجد فيه عبارة منغلقة وغامضة ولا تستطيع فكها.

ولهذا لو أنَّ طالب العلم، أراد أنْ يتخصص فى كتاب «التسهيل» فى المذهب الحنبلى للبعلى سترد عليه هذه العبارة «فإن وطئ امرأة فولدت فأرضعت فهو ابن ذى النسب ولو لهما وإلا حرم عليهما».

فقل لى: كم ستمضى من الوقت لفك هذه العبارة إنْ استطعت فكها، مع أنها تأخذ ثلث الباب تقريبًا. فدراستك لكتاب أُشْتُهِرَ وخُدِمَ أنفع طريقة لفهمك. [«مستفاد من الشيخ: المقرئ = ملتقى أهل الحديث»].

❃ ❃ ❃

عدم التوسع فى البحث

كثير من الطلبة يعمد إلى الكتاب ، فيجعله كمغنى ابن قدامة مع أنه مبتدئ فى العلم ، وهذا له آثاره التى قد لا يحس بها الطالب وإليك بعضًا منها وأرجو أنْ تتأملها وتقيسها على نفسك :

أ - طول المدة فى دراسة الكتاب :

فتجده يمضى سنوات طوال ، وهو لم يَخْرُج مِنْ كتاب العبادات ، والعلم يُنْسِي بعضه بعضًا ، فإذا ما ذهبت السنون ، فلا هو قد مسك ما حصَّله ، ولا هو قد أنهى ما بدأه ، فيدخل الملل عليه وعلى كتابه ، ولهذا يعمد إلى غيره ؛ ظانًّا أنَّ الخلل فى الكتاب ، وما درى أنَّ الخلل فى طريقة دراسة الكتاب .

ب - فهم عبارة الكتاب فهما جيدا :

كثير من الطلبة يسبح فى تفريعات المسألة ، فتختلط عليه المسائل وهو لم يضبط أصلها بعد ، مما يسبب عنده كثير من التناقض فى بعض المسائل ، فبسبب عدم فهم أصل المسألة ؛ تجده يستشكل مسائل أخرى فى نظره ، أنها تدخل ضمن أصل مسألته بسبب عدم فهم المسألة الأصلية ، فالواجب على الطالب أنْ يحلل أولًا عبارة المؤلف ويتأملها جيدًا ، ولا يذهب إلى غيرها إلا بعد معرفته لمعناها ومقتضاها ودليلها .

وكم رأيتُ مَنْ يقرأ الممتع على الزاد ، فوجدته قد ضبط اختيارات شيخنا ، لكنه فى الحقيقة لم يفهم المسألة الأصلية ، ولهذا إذا سألته أين ذكر الشيخ هذا الترجيح لم يجد إجابة !

ج - مداومة مراجعة المتن فقط ومحاولة فك عباراته ومعرفة أدلته:

تعتبر هذه المختصرات مِنْ نِعَم الله على طلبة العلم؛ إذ أنها تختصر الفقه فى وريقات يراجع الطالب مِنْ خلالها آلاف المسائل الفقهية؛ ولهذا من خلال هذا المختصر يستطيع الطالب أن يراجع مسائل الفقه بعد إتقانه لهذا المتن فى بضعة أيام، ولا شك أنه بعد سنوات سيكون هذا الكتاب قاعدة ينطلق بعدها إلى معرفة الراجح والمرجوح وأدلة الفقهاء.

وكم أثرت بى تلك الكلمة العظيمة من شيخنا ابن عثيمين ونفعنى الله بها وذلك بعد أنَّ تجاوز السبعين سنة:

سئل أنَّ بعض الناس يقول: العلم فى دراسة المسائل وفهمها والبحث فى الأدلة ومعرفة الراجح؟

فقال الشيخ كلامًا طويلًا فى رد هذا الكلام، وأنه على خلاف هدى العلماء الكبار فى البدء بالطلب، ثم قال كلمة تكتب بماء الذهب: **وها نحن ما بقى معنا إلا ما حفظنا مثل زاد المستقنع»**.

فهذه الكلمة من شخص مجرب، وبلغ من العلم ما بلغ، لا ينبغى أنْ تمر علينا مرور الكرام، فكلنا يرجو أنْ ينال مثل ما ناله الشيخ من الفقه فى الدين؛ ولهذا انظر إلى نفسك، ابحث مسألة ولا تترك كتابًا إلا وارجع إليه، واجلس فيها وقتًا طويلًا وأنت تتأملها، حتى تسود فيها عشرين أو ثلاثين ورقة، وبعد أسبوع واحد ولا أقول سنة واحدة، لو قيل لك اكتب ما فى ذهنك فى صفحة واحدة، لما استطعت، فكيف إذا كنت قد بحثت مئات المسائل، مالذى سيبقى معك !

هذه المسألة أو المسألة الأخرى؟!

الأمر - أحبتي - يحتاج إلى وقفة تأمل! [«مستفاد من الشيخ: المقرئ = ملتقى أهل الحديث»].



محاذير وآفات الطلب

هناك محاذير يجب على الطالب تجنبها منها:

أ- يحذر في ابتداء أمره من الاشتغال بالخلافيات بين العلماء، أو بين الناس مطلقًا في السمعيات أو العقليات، فإنه يحير الذهن، ويدهش العقل، بل عليه أن يتقن أولًا كتابًا واحدًا في فن واحد، أو كتابًا في فنون إن كان يحتمل ذلك على طريقة يرتضيها له شيخه.

ب- يحذر في ابتداء طلبه من المطالعات في تفاريق المصنفات، فإنه يضيع زمانه، ويفرق ذهنه، بل يعطى الكتاب الذى يقرأه أو الفن الذى يأخذه كليته حتى يتقنه.

ج- وكذلك يحذر من التنقل من كتاب إلى كتاب، أو من شيخ إلى شيخ من غير موجب، فإنه علامة الضجر وعدم الفلاح.

أما إذا تحققت أهليته، وتأكدت معرفته فأولى أن لا يدع فنًّا من علوم الشريعة إلا نظر فيه، فإن ساعده القدر وطول العمر على التبحر فيه فذاك، وإلا فقد استفاد منه ما يخرج به من عداوة الجهل بذلك العلم.

د- يحذر من تقديم المهِمّ على الأهمّ بل الأهم ثم المهم.

هـ- يحذر من الغفلة عن العمل الذى هو المقصود بالعلم.

و- وليحذر من النظر إلى نفسه بعين الكمال والاستغناء عن المشايخ، فإن ذلك عين الجهل، وقلة المعرفة، وما يفوته أكثر مما حصله.

وقد قال سعيد بن جبير رحمه الله: «لا يزال الرجل عالمًا ما تعلم، فإذا ترك التعلّم وظن أنه قد استغنى فهو أجهل ما يكون».

وقال ابن جماعة: «لا يستنكف أنْ يستفيد ما لا يعلمه ممن هو دونه، بل يكون حريصًا على الفائدة حيث كانت، والحكمة ضالة المؤمن يلتقطها حيث وجدها.

وكان جماعة من السلف يستفيدون من طلبتهم ما ليس عندهم. قال الحميدى - وهو تلميذ الشافعى- : صحبت الشافعى من مكة إلى مصر، فكنت أستفيد منه المسائل، وكان يستفيد منى الحديث. وصح رواية جماعة من الصحابة عن التابعين».

وعن وكيع، وسفيان بن عيينة، وأبى عبد الله البخارى قالوا: «لا يكون المحدث كاملًا أو الرجل عالمًا حتى يحدث عمن هو فوقه، وعمن هو مثله، وعمن هو دونه».

ز- وليحذر الاشتغال بالغرائب والشواذ من العلم. قال عبد الرحمن بن مهدى: «لا يكون إمامًا فى العلم من أخذ بالشاذ من العلم».



متى أصنف؟

متى يتصدر للتصنيف والتأليف؟

قال ابن جماعة (ت ٧٣٣هـ): «فإذا كملت أهليته، وظهرت فضيلته، ومرّ على أكثر كتب الفن، أو المشهور منها بحثًا، ومراجعة، ومطالعة، اشتغل بالتصنيف وبالنظر فى المذاهب، سالكًا الإنصاف فيما يقع له من الخلاف».

وقال أيضًا: «والأولى أن يعتنى بما يعم نفعه وتكثر الحاجة إليه، وليكن اعتناؤه بما لم يسبق إلى تصنيف متحريًا إيضاح العبارة فى تأليفه، معرضًا عن التطويل الممل، والإيجاز المخل مع إعطاء كل مصنف ما يليق به».

وقال الخطيب البغدادى (ت ٤٦٣هـ): «وينبغى أن يُفرِّغ المصنف للتصنيف قلبه، ويجمع له همَّه، ويصرف إليه شغله، ويقطع به وقته...».

ثم قال: «ولا يضع من يده شيئًا من تصانيفه إلا بعد تهذيبه وتحريره، وإعادة تدبره وتكريره».

وقال أيضًا: «قلَّ ما يتمهر فى علم الحديث، ويقف على غوامضه، ويستثير الخفى من فوائده، إلا من جمع متفرقه، وألف مشتته، وضم بعضه إلى بعض، واشتغل بتصنيف أبوابه، وترتيب أصنافه، فإن ذلك الفعل مما يقوّى النفس، ويثبت الحفظ، ويزكى القلب، ويشحذ الطبع، ويبسط اللسان، ويجيد البيان، ويكشف المتشبه، ويوضح الملتبس، ويكسب أيضًا جميل الذكر وتخليده إلى آخر الدهر.

وقال ابن جماعة: «الاشتغال بالتصنيف والجمع والتأليف - لكن مع تمام الفضيلة وكمال الأهلية - يُطلع على حقائق الفنون، ودقائق العلوم للاحتياج إلى كثرة التفتيش، والمطالعة، والتنقيب، والمراجعة، وهو كما قال الخطيب البغدادي: يثبت الحفظ، ويذكي القلب، ويشحذ الطبع، ويجيد البيان، ويكسب جميل الذكر وجزيل الأجر، ويخلده إلى آخر الدهر».



مع طالب العلم فى صحته البدنية والنفسية

لابد أن يهتم صاحب العلم بصحته البدنية والنفسية، حتى يقوم بواجبه العلمى والعبادى والدعوى على أتَّم وجه.

إننا نعلم أن كيان الإنسان مكوَّنٌ من الجسم والعقل والروح، وأن الجسم هو الوعاء الذى يضمُّ العقل والروح.

وجسم الإنسان متكامل متناسق، مكوَّنٌ من مجموعة من الأجهزة المختلفة، وهذه الأجهزة تتكامل فى وظائفها، وتتداخل فى ارتباطاتها.

وإذا كان جسم الإنسان سليمًا تمكن من أداء وظيفته، ولذلك لابد لصاحب العلم أن يحافظ على أجهزة جسمه المختلفة، وأن يقيها الأخطار والأمراض والآفات، وأن لا ينتظر حتى تنهكها الأمراض، وتُعطلها وتوقف عملها، فمن المقرر أن: درهم وقاية خير من قنطار علاج.

لابد لصاحب العلم أن يتعرف على نفسه، بأن يتعرف على أجهزة جسمه المختلفة، التى وهبها الله له، ما هى تفاصيل أعضاء كل جهاز؟ وكيف يعمل كل جهاز؟ وما هى الأخطار التى تحدقُ بكل جهاز؟ وكيف يتلافى تلك الأخطار؟ وكيف يحافظ على سلامة وحسن أداء تلك الجهاز.

❁ ❁ ❁

أجهزة الجسم السبعة:

كثيرةٌ هى الكتب العلمية الطبية التى تتحدث عن أجهزة الجسم المختلفة، وتُبين أجزاء كل جهاز منها، وكيف يُؤدى هذا الجهاز عمله.

وفى الآونة الأخيرة قام بعض الأطباء الإسلاميين المختصين - العارفين بتركيب الجسم الإنسانى وأجهزته المختلفة - بتأليف كتب علمية طبية إسلامية، تعرض هذه المعلومات من وجهة نظر إيمانية إسلامية، وتُرينا آيات الله فيها، وتدعونا إلى الإحساس بنعم الله، وإلى ذكره وشكره، وإلى زيادة الإيمان به.

وفى مقدمة هؤلاء الأطباء الإسلاميين، الدكتور محمد على البار، والدكتور حسان شمسى باشا، والدكتور حامد أحمد حامد، والدكتور عبد الرزاق الكيلانى.

وللتعرف على أجهزة الجسم السبعة، تمهيدًا لوقايتها من الأمراض، أُشيرُ إلى كتاب الدكتور عبد الرزاق الكيلانى «الوقاية خير من العلاج»، الذى طبعته له دار القلم بدمشق عام (١٤١٦ - ١٩٩٥).

وأجهزة الجسم السبعة التى عرضها الدكتور الكيلانى، وبيَّن كيفية وقاية كل منها هى:

١- **الجهاز الحركى**: ويتألف الجهاز الحركى فى الإنسان من: العظام، والمفاصل، والعضلات، وهذا الجهاز مغطى بالجلد.

٢- **الجهاز العصبى**: هذا الجهاز هو «المشرف العام» على أعمال جسم

الإنسان، سواء كانت هذه الأعمال إرادية كحركات الأطراف، أو كانت لا إرادية كضربات القلب.

ويتألف الجهاز العصبى من: المخ، والمخيخ، والساق المُخية، والحدبة الحلقية، والبصلة السيسائية، والنخاع الشوكى، والعقد العصبية، والأعصاب.

ومما يتصل بالجهاز العصبى الحواسُّ الخمسة: حاسة السمع، وحاسة البصر، وحاسة الشم، وحاسة الذوق، وحاسة اللمس.

وهذه الحواس الخمس هى المنافذ التى يتصلُ بها الجهاز العصبى الداخلى، مع المحيط الخارجى لجسم الإنسان.

٣- **جهاز الدوران**: يتألف جهاز الدوران من: القلب، والشرايين، والأوردة، والأوعية الشعرية، والدم.

وهذا الجهاز هو وزارتا الدفاع والمواصلات معًا فى دولة جسم الإنسان، وتحت تصرُّفه أكثر من مائة وستين ألف كيلو متر من الأوعية الدموية، يذهب فيها الغذاء والأوكسيجين إلى كلِّ خلايا الجسم، وتعودُ فيها الفضلات.

٤- **الجهاز التنفسى**: يتكوَّن الجهاز التنفسى من: الأنف، والبلعوم، والحنجرة، والقصبة الهوائية، والرئتين.

وهذا الجهاز هو جهاز الإسعاف والإنعاش، الذى يمدُّ الجسم بما يحتاجه من الأوكسيجين، ولا يستطيع العيش بدونه أكثر من دقائق معدودات.

٥- **الجهاز الهضمى**: يبدأ هذا الجهاز بالفم، وينتهى بالشَّرج، مرورًا

بالبلعوم، والمرىء، والمعدة، والأمعاء الدقيقة، والأمعاء الغليظة، ويُلحق به بعض الغدد، والكبد، والبنكرياس.

ويمثل هذا الجهاز وزارتى الصناعة والتموين لجسم الإنسان.

٦- **الجهاز البولى**: يتألف الجهاز البولى فى الجسم من: الكليتين، والحالبين، والمثانة، والإحليل.

هو جهاز تنظيف الجسم من الفضلات، وهو لا يقل أهمية عن أجهزة الجسم الأخرى؛ لأن أجهزة الجسم تختنق بالفضلات إذا تعطل هذا الجهاز.

٧- **الجهاز التناسلى**: يتكوَّن الجهاز التناسلى عند الرجل من: الخصيتين، والبربخ، والأسهر - القناة الدافقة - والحويصلين المنويين، وغدة الموثة، والإحليل الذى يشترك بين جهازى البول والتناسل.

ويتكون الجهاز التناسلى عند المرأة من: الرحم، والبوقين الأيمن والأيسر، والمبيضين الأيمن والأيسر، وعنق الرحم، والمهبل.

مهمة هذا الجهاز هى حفظ النسل البشرى، ولولاه لانقرض الناس على وجه الأرض.

كتب تتحدث عن الأجهزة ووقايتها

يجب على صاحب العلم أن يتعرف على أعضاء كل جهاز من هذه الأجهزة، وأن يتعرف على طبيعة عمل ذلك الجهاز، وعلى التنسيق بينه وبين الأجهزة الأخرى، والتكامل بين عملها كلِّها لخدمة هذا الإنسان، ليزداد

إيمانًا بالله وذكرًا له، وشكرًا له على ما أنعم به عليه.

كما يجب على صاحب العلم أن يتعرف على الأمراض والأخطار والآفات التي تهدد كلَّ جهاز، وأثرها عليه، وأن يتعرف على سبل الوقاية منها قبل أن تقع. من باب «درهم وقاية خير من قنطار علاج».

وننصح صاحب العلم بالاطلاع الواعى على كتابين أساسين فى هذا الموضوع:

الأول: رحلة الإيمان فى جسم الإنسان. للدكتور حامد أحمد حامد. وقد صدرت طبعته الأولى عن دار القلم بدمشق عام (١٤١١ - ١٩٩١).

الثانى: الوقاية خير من العلاج. للدكتور عبد الرزاق الكيلانى. وقد صدرت طبعته الأولى عن دار القلم بدمشق عام (١٤١٦ - ١٩٩٥).

هذه المعرفة النظرية التى يحققها صاحب العلم هى تطبيقٌ لقوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الذاريات: ٢٠ - ٢١].

العقل السليم فى الجسم السليم:

وهذه المعرفة تجعل صاحب العلم حريصًا على المحافظة على «صحة» جسمه، ووقايته من الآفات والأمراض.

إن الاهتمام بصحة جسم صاحب العلم واجب؛ لأن جسمه - بأجهزته السبعة - هو الأداة والوسيلة التى يحقق بها وظيفته، ويؤدى رسالته به، يقوم بالشعائر التعبدية، وبه يحقق التحصيل العلمى، وبه يُنتج الفكر

والإبداع، وبه يمارس الدعوة، وبه يستمتع بالحياة.

كيف يعبد صاحب العلم ربَّه بجسم مريض؟ وكيف يفكر بعقل ضعيف؟ وكيف يدعو بأجهزة معطلة؟

إن المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وكان رسول الله ﷺ كثيرًا ما يستعيذ بالله من العجز والكسل، فيقول: «**اللهم إنى أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال...**».

وصدق من قال: العقل السليم فى الجسم السليم.

وصايا طيبة للصحة البدنية

وحتى يُحافظ صاحب العلم على صحة جسمه نقدم له هذه النصائح والوصايا، بشكل موجز، وندعوه إلى قراءتها فى الكتاب المجمل المفيد: «وصايا طبيب» للدكتور حسان شمسى باشا، الذى صدرت طبعته الأولى عن دار القلم بدمشق عام (١٤١٥- ١٩٩٥).

١- تناول بضع تمرات فى الصباح: التمر منجمٌ غنيٌ بالمعادن المختلفة، وعندما تتناول بضع تمرات فى الصباح، تحصل على فائدة عظيمة. ولمعرفة أهمية التمر ننصحك بقراءة كتاب «الأسودان: التمر والماء» للدكتور حسان شمسى باشا.

٢- ابدأ نهارك بملعقة من العسل: العسل شفاءٌ للناس بنصِّ القرآن: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ﴾ [النحل: ٦٩].

وعندما تبدأ نهارك بملعقة عسل، وتُتبعُها ببضع حبات من التمر، يتشرب جسمُك المعادن الموجودة فيهما.

٣- احرص على أن تأكل من الحبة السوداء - حبة البركة -: ولو مزجت شيئًا من العسل الصافى مع شيء من الحبة السوداء المطحونة، وأخذت من ذلك معلقتين صباحًا، أو مشروبًا ساخنًا لاستفدت فائدة عظيمة.

ومن أجود وأنفع الطعام أن تضع حبة البركة على صحنٍ من اللبن، ثم تغمره بزيت الزيتون.

٤- عليك بالإكثار من استعمال زيت الزيتون فى الطعام، وهو أجود أنواع الزيوت، وليست له أية أضرار جانبية، وهو مفيد جدًّا لجسمك.

٥- لا تنس أن تأخذ كأسًا من اللبن على الأقل كل يوم، سواء كنت صحيًا أو مريضًا. لغناه بالمعادن، ولا يوجد غذاءٌ آخر يجزئ عنه، أو يحلُّ محله.

٦- احرص على تناول السمك، وليكن وجبة غذاء لك أسبوعيًّا على الأقل. لأهميته القصوى لجسمك.

٧- لا تُكثر من أكل اللحوم الحمراء، ولا تتوقف عن أكلها، والتوسط والاعتدال فى ذلك مطلوب. واحرص على أن تكون هذه اللحوم الحمراء خالصة من الشحوم والدهون.

٨- لا تُكثر من شرب القهوة والشاى، حتى لا يتحول ذلك إلى إدمان، والإفراط فى شرب القهوة والشاى مُضرٌ لك. أما الاعتدال فى ذلك فهو مفيد.

وحتى يكون تناولك للقهوة والشاى معتدلًا ننصحُك بما يلى:

أ - من المفيد تناولك فنجانًا من القهوة الحلوة عند الصباح.

ب- لا مانع أن تأخذ فنجانين من القهوة السادة بعد العصر.

جـ- جيدٌ تناولك فنجانًا من الشاى عند الصباح، وفنجانًا آخر بعد العصر.

د- لا تتناول الشاى أثناء الطعام؛ لأنه يُنقص امتصاص الحديد الذى فى الطعام. وتناول الشاى بعد الطعام بساعة أو ساعتين.

هـ- لا تشرب الشاى أو القهوة بعد المغرب، حتى لا تُصاب بالأرق عند النوم.

٩- أكثر من تناول الخضار والفواكه الطازجة فى طعامك، وحاول أن تستغنى عن الأطعمة المعلَّبة والمحفوظة.

١٠- أكثر من تناول ألياف الطعام، والتركيز على المأكولات ذات الألياف كالسبانخ والفاصولياء، والزهرة، والملفوف، والجزر، والتمر.

١١- حاول أن تأكل حبة تفاح طازجة فى الصباح، نظرًا لفائدة التفاح العالية، وغناه بالمعادن والفيتامينات.

١٢- الجزر من أكثر الخضروات فائدة لك، لغناه بالبوتاسيوم والكاروتين، فحاول أن تأكل حبتين من الجزر يوميًّا.

١٣- التزم بالسُّنَة عند تناولك الطعام، فلا تأكل إلا عندما تشعر بالجوع، وعندما تتناول الطعام لا تصل إلى مرحلة الشبع، وقُمْ عن الطعام

وما زالت حاجتك إليه موجودة.

وعليك بالقاعدة الذهبية: **نحن قومٌ لا نأكل حتى نجوع، وإذا أكلنا لا نشبع.**

١٤- حتى تستفيد من وجبة الطعام ننصحك بما يلى:

- لا تأكل الطعام وأنت متوتر الأعصاب؛ لأن هذا مضرٌ جدًّا.

- كُلْ طعامك باسترخاء وهدوء، واستمتع وتلذذ بتناوله.

- ابدأ وجبة الطعام بالسلطة، لتملأ المعدة، وتشعر بالشبع.

- لا تشرب المشروبات الغازية أثناء الطعام؛ لأنها تُعيق الهضم، وتزيد فى الوزن، واعلم أن الكأس الواحد من الكوكاكولا يحتوى على خمس ملاعق من السّكّر.

١٥- احرص على وجبة الإفطار فى الصباح، وخذها باكرًا، وتعود على ذلك، لأهميتها الضرورية لك، وتخلَّ عن وجبة العشاء، فلا داعى لها. ولا تأكل شيئًا قبل النوم بساعتين على الأقل.

١٦- تخلّص من السُّمنة، فإنها تزعجك وتُعيقك وتؤذيك، وتؤثر على مستقبلك العلمى والدعوى والفكرى، وتصيب جسمك بالعديد من الأمراض، كارتفاع ضغط الدم، والسكر، وضيق النفس، والذبحة الصدرية، والدهون والكولسترول فى الدم، وليكن وزنك دائمًا حول الوزن المثالى، والوزن المثالى هو أن تطرح من طولك بالسنتيمترات رقم مائة. فمن كان طوله مائة وسبعين سنتمترًا مثلًا، كان وزنه المثالى سبعين كيلوا غرامًا. وقد يُتسامح فى ١٠٪ زيادة على ذلك الوزن المثالى، أما أكثر من ذلك فلا.

١٧- قلِّل من الحلويات، وحاول تجنُّبها، لضررها المستقبلى عليك.

١٨- دع وجبات الطعام المعدَّة على الطريقة الأمريكية والغربية، مثل الهامبورغر؛ لأنه مشبعٌ بالدهون المضرة.

١٩- ابتعد عن الدهون الحيوانية، الموجودة فى الشحوم وغيرها، لضررها الأكيد عليك.

٢٠- داوم على الرياضة لأهميتها القُصوى لك، ومارس بعض التمارين الرياضية، وأهمُّ رياضة لك هى المشى السريع باعتدال، لمدة ساعة أو نصف ساعة على الأقل.

٢١- ابتعد عن التدخين تمامًا، ولا تُدخِّن أبدًا، فالضرر ناتجٌ عن التدخين حتمًا، وهو يعنى الانتحار البطىء، والموت المحقق، والراجح أن الدخان حرام.

٢٢- أكثر من شرب الماء العذب لحاجة الجسم الماسة إليه، ولا تخش من سلبيات ذلك.

٢٣- نَمْ باكرًا، واستيقظ باكرًا، واجعل معظم ساعات نومك فى الليل، بحيث لا تنام فى الليل أقل من خمس ساعات، ولا تَنمْ بعد صلاة الفجر، وتناول فطورك اليومى باكرًا.

٢٤- إن أُصبت بالأرق أحيانًا فلا تستعمل الحبوب المنومة لضررها عليك، وحاول أن تتعرف على أسباب الأرق، لتتخلص منه، وأكثر من ذكر الله قبيل النوم لئلا تصاب بالأرق.

٢٥- لا تُكثر من استعمال الملح على الطعام لضرره عليك فى المستقبل،

ولا تكثر من تناول الأطعمة الحارة، التى يكثر فيها الفلفل الحار والفلفل الأسود والتوابل الحارقة.

٢٦- لا تُكثر من تناول الأطعمة المقلية والسندويتشات، وتناول الطعام الذى فيه الشوربات والمرق. واطبخ اللحوم طبخًا بدل أن تقليها أو تشويها.

٢٧- احرص على إجراء الفحوصات الدورية باستمرار، حتى لا تُفاجأ بالمرض، مثل فحص السكرى، وفحص ضغط الدم، وفحص الكوليسترول، وفحص التنفس، وفحص القلب، وغير ذلك.

٢٨- عندما تتعبُ استرح، وأوقف نشاطك، وعليك بالاسترخاء، حتى لا تصاب بالإجهاد، أو التوتر والانهيار.

٢٩- ابتعد عن المحرمات والمعاصى، ولا تستعمل حواسك فى المعصية، حتى لا يُعطلها الله، ويحرمك منها، واستعمل أجهزة جسمك المختلفة فى الطاعة، ليحفظها الله لك، وتجدها عندما تشيخ وتكبر.

٣٠- وحتى تُبقى على شبابك وتتغلب على الشيخوخة عندما يتقدم بك العمر، فعليك باتباع ما يلى - إضافة إلى الوصايا السابقة -:

- ❑ لا تُكثر من الملح والسكر والدهون والفلفل فى الطعام.
- ❑ كُل السمك، فهو أفضل لك من اللحم الأحمر.
- ❑ لا تغل الخضروات أكثر من اللازم لئلا تفقد قيمتها الغذائية.
- ❑ اشرب ما استطعت من الماء، فالجسم يحتاج إلى لتر ونصف من الماء

على الأقل.

❑ مارس الرياضة لتُبقى على قوة البدن، وأفضلها هو المشى.

❑ صادق الشباب، واتصل بالناس، لتشعر بالسعادة.

❑ حافظ على ابتسامتك. وإياك والعُبوس والتجهُّم، ولا تُقطبْ جبينك.

هذه وصايا ونصائح نُقدمها لصاحب العلم، ونرجوه أن يلتزم بها ما أمكن، وذلك ليحافظ على صحة جسمه، وليستطيع أداء مهمته.

وهذه الوصايا أخذناها من كتاب «وصايا طبيب» للدكتور حسان شمسى باشا، وندعو صاحب العلم إلى اقتنائه وقراءته، والالتزام بما فيه!!. [مستفاد من «خطة براقة» للدكتور صلاح الخالدى].



المنهج العلمي المقترح

علم العقيدة

المرحلة الأولى
وهي مرحلة المبتدئين

١- ثلاثة الأصول للشيخ محمد بن عبد الوهاب.

انظر: «الدليل إلى المتون العلمية» (ص/١٥٦)، ومما يستدرك عليه:

١- «حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول، للشيخ عبد الله الفوزان، نشر مكتبة الرشد.

٢- شرح الشيخ صالح آل الشيخ، نشرته مكتبة الإيمان ضمن مجموع شروح ثلاثة الأصول.

٣- شرح الشيخ على الخضير، نشرته مكتبة الإيمان ضمن مجموع شروح ثلاثة الأصول.

٤- شرح الشيخ نعمان الوتر، نشرته مكتبة الإيمان ضمن مجموع شروح ثلاثة الأصول.

٥- شرح الشيخ أبو عبيدة المصراتى، نشرته مكتبة الإيمان ضمن مجموع شروح ثلاثة الأصول.

٦- شرح الشيخ محمد أمان الجامى، منشور على الشبكة.

٢- لمعة الاعتقاد لابن قدامة المقدسي.

انظر: «الدليل إلى المتون العلمية» (ص/ ١٨٤)، ومما يستدرك عليه:

١- شرح الشيخ صالح آل الشيخ، منشور على الشبكة.

٢- شرح الشيخ على الخضير، منشور على الشبكة.

٣- شرح الشيخ عبد الرحمن المحمود، منشور على الشبكة.

٤- شرح الشيخ أبي موسى عبد الرزاق الجزائرى، منشور على الشبكة.

٥- شرح الشيخ عبد العزيز الراجحى، منشور على الشبكة..

٣- «٢٠٠ سؤال في العقيدة» للشيخ حافظ حكمي.

٤- منهاج الفرقة الناجية، للشيخ محمد بن جميل زينو.

٥- عقيدة التوحيد للشيخ صالح الفوزان.

❑ إذا انتهى الطالب من هذه المرحلة فإنه ينصح بقراءة أحد الكتب التالية:

١- المدخل المفيد إلى علم التوحيد، محمد يسرى، دار اليسر.

٢- مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، عثمان جمعة ضميرية، مكتبة السوادى.

٣- المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، إبراهيم البريكان، دار ابن عفان.

٤- تعريف الخلف بمنهج السلف، إبراهيم البريكان، دار ابن الجوزى.

المرحلة الثانية
وهي مرحلة المتوسطين وكل المذكور فيها على سبيل اللزوم عدا أول كتاب

١- الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد للشيخ صالح بن فوزان الفوزان، نشر دار ابن الجوزي. (*)

٢- كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب.

انظر: «الدليل إلى المتون العلمية» (ص/١٦٨).

ومما يستدرك عليه:

١- حقق عبد الإله الشايع كتاب الدر النضيد لسليمان بن حمدان ونشرته دار الصميعى.

٢- نشرت دار عالم الفوائد كتاب «فتح الحميد» للشيخ عثمان بن منصور النجدى، بتحقيق سعود العريفى، وحسين السعيدي فى أربعة مجلدات كبار، وهو أوسع شروح هذا المتن على الإطلاق.

٣- التمهيد شرح كتاب التوحيد، للشيخ صالح آل الشيخ، نشر دار التوحيد. (*)

٤- إفادة المستفيد شرح كتاب التوحيد، للشيخ صالح الفوزان، نشر مؤسسة الرسالة.

٥- شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان اللهيميد، منشور على الشبكة.

٢- كشف الشبهات للشيخ محمد بن عبد الوهاب.

انظر: «الدليل إلى المتون العلمية» (ص/ ١٦٢)، ومما يستدرك عليه:

١- شرح الشيخ محمد بن عبد الله الهبدان، نشر دار طيبة بالرياض. (*)

٢- شرح الشيخ صالح آل الشيخ، منشور على الشبكة.

٣- العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية.

انظر: «الدليل إلى المتون العلمية» (ص/ ١٨٨)، ومما يستدرك عليه:

١- هناك طبعة جيدة لشرح السعدى حققها أشرف عبد المقصود ونشرتها دار أضواء السلف.

٢- شرح الشيخ عبد الرحمن البراك، منشور على الشبكة.

٣- شرح الشيخ على الخضير، منشور على الشبكة.

٤- شرح الشيخ صالح آل الشيخ، منشور على الشبكة.

٥- الفتوى الحموية الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية.

انظر: «الدليل إلى المتون العلمية» (ص/ ١٩٨)، ومما يستدرك عليه:

١- شرح الشيخ صالح آل الشيخ منشور على الشبكة.

٥- القواعد المثلى للشيخ محمد بن صالح العثيمين.

❑ نشرته دار الوطن وله عدة شروح:

١- شرح المصنف نفسه فى محاضرات صوتية، وقام بتفريغها والتعليق عليها نشأت كمال ونشرتها دار الآثار.

٢- المجلى فى شرح القواعد المثلى لكاملة الكوارى، نشر دار ابن حزم، وهو شرح نفيس جدًّا. (*)

٣- شرح الشيخ عبيد الجابرى، ونشرته دار الفرقان بعجمان- الإمارات.

٦- إذا انتهى الطالب مما تقدم فعليه بمطالعة فتاوى اللجنة الدائمة، القسم الخاص بالعقيدة، ومطالعة قسم العقيدة من فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم، والشيخ ابن باز، والشيخ العثيمين، والشيخ الفوزان، وهذه مرحلة مهمة جدًّا لصقل ملكة الطالب.



المرحلة الثالثة
وهي مرحلة المنتهين غير مريدي التخصص
وكلها على سبيل اللزوم عدا الكتاب الأول

١- معارج القبول، للشيخ حافظ حكمي، بتحقيق محمد صبحي حلاق، نشر دار ابن الجوزي.

٢- العقيدة الطحاوية، وشرحها لابن أبي العز الحنفي.

انظر: «الدليل إلى المتون العلمية» (ص/٢٠٣)، ومما يستدرك عليه:

١- شرح الشيخ صالح آل الشيخ، منشور على الشبكة، وهو مهم جدًّا.

٢- شرح الشيخ سفر الحوالي، منشور على الشبكة.

٣- شرح الشيخ عبد العزيز الراجحي، منشور على الشبكة.

٤- شرح الشيخ صالح بن فوزان الفوزان، نشرته دار العاصمة.

٢- التدمرية لشيخ الإسلام ابن تيمية.

انظر: «الدليل إلى المتون العلمية» (ص/٢١٤)، ومما يستدرك عليه:

١- شرح الشيخ البراك طبع بعناية الشيخ سليمان بن صالح الغصن. (*)

٢- شرح الرسالة التدمرية للشيخ محمد بن عبد الرحمن الخميس، نشر دار أطلس.

٣- نواقض الإسلام للشيخ محمد بن عبد الوهاب.

❑ ولها عدة شروح:

١- شرح الشيخ صالح بن فوزان الفوزان، اعتنى به أخونا الشيخ محمد فهد الحصين، ونشرته مكتبة الرشد. (*)

٢- شرح الشيخ عبد العزيز الراجحى، منشور على الشبكة.

٣- التبيان شرح نواقض الإسلام، للشيخ سليمان العلوان، نشر دار المسلم.

٤- الإعلام بشرح نواقض الإسلام للشيخ عبد العزيز الطريفى.

٥- مطالعة المجلدات الثمان الأولى من «مجموع الفتاوى» لشيخ الإسلام.

❑ ومطالعة الصواعق المرسلة واجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم.

❑ ومطالعة مجلدات الاعتقاد من الدرر السنية جمع عبد الرحمن بن قاسم.



المرحلة الرابعة
وهى أولى عتبات التخصص

المحور الأول

مطالعة الأبحاث المعاصرة التالية:

أولاً: فى منهج الاستدلال:

١- منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد لعثمان حسن، مكتبة الرشد.

١- موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة، لسليمان ابن صالح الغصن، دار العاصمة.

٣- مسالك أهل السنة فيما أشكل من نصوص العقيدة، لعبد الرزاق معاش، دار ابن عفان.

٤- أحاديث العقيدة التي يوهم ظاهرها التعارض في الصحيحين، سليمان الدبيخى، دار المنهاج.

٥- منهج السلف والمتكلمين فى موافقة العقل للنقل لجابر إدريس، دار أضواء السلف.

٦- وسطية أهل السنة والجماعة لمحمد باكريم، دار طيبة.

٧- تناقض أهل الأهواء والبدع فى العقيدة، عفاف مختار، مكتبة الرشد.

ثانيًا: فى حقيقة الإيمان والكفر:

١- ظاهرة الإرجاء فى الفكر الإسلامى، لسفر الحوالى، مكتبة الطيب. [وعليه مآخذ].

٢- التبيان لعلاقة العمل بمسمى الإيمان، لعلى بن سوف، مكتبة العلوم والحكم.

٣- نواقض الإيمان الاعتقادية، لمحمد بن عبد الله الوهيبى، دار المسلم.

٤- نواقض الإيمان القولية والعملية، لعبد العزيز العبد اللطيف. دار الوطن [وعليه مآخذ].

٥- ضوابط التكفير، للقرنى، دار عالم الفوائد.

٦- منهج ابن تيمية فى مسألة التكفير، لعبد المجيد المشعبى. دار أضواء السلف.

٧- الجهل بمسائل الاعتقاد وأحكامه، لعبد الرزاق معاش، دار الوطن.

٨- عارض الجهل، لأبى العلا راشد، مكتبة الرشد.

٩- الحكم بغير ما أنزل الله، لخالد العنبرى، دار المنهاج. [وعليه مآخذ شديدة].

١٠- الحكم بغير ما أنزل الله، لعبد الرحمن المحمود، دار طيبة.

١١- الولاء والبراء، للقحطانى، دار طيبة.

١٢- الولاء والبراء لحاتم بن عارف العونى، منشور على الشبكة.

١٣- سبيل النجاة فى حكم تارك الصلاة، لأبى الحسن المأربى. دار الفضيلة.

ثالثًا: فى مسائل التوحيد والشرك:

١- حقيقة التوحيد بين أهل السنة والأشاعرة، لخالد حمزة، دار الغرباء الأثرية.

٢- حقيقة التوحيد بين أهل السنة، والمتكلمين، لعبد الرحيم صمايل السلمى، دار العاصمى.

٣- منهج شيخ الإسلام فى تقرير عقيدة التوحيد لإبراهيم البريكان، دار ابن عفان

٤- الشرك فى القديم والحديث، لأبى بكر زكريا، مكتبة الرشد

٥- الواسطة بين الله وخلقه عند أهل السنة ومخالفيهم، للمرابط الشنقيطى. دار الفضيلة

٦- جهود علماء الحنفية فى إبطال عقائد القبورية، لشمس الحق الأفغانى، دار الصميعى.

٧- جهود الشافعية فى تقرير توحيد العبادة، عبد الله العنقرى، دار التوحيد بالرياض.

رابعًا: فى الأسماء والصفات:

١- معتقد أهل السنة فى أسماء الله الحسنى، لمحمد خليفة التميمى، دار أضواء السلف

٢- النهج الأسمى شرح أسماء الله الحسنى، لمحمد الحمود النجدى. دار الإمام الذهبى بالكويت.

٣- القواعد الكلية للأسماء والصفات عند السلف، للبريكان، دار ابن عفان.

٤- صفات الله عز وجل، للشيخ علوى السقاف، نتشر دار ابن عفان.

٥- الأصول التى بنى عليها الغلاة مذهبهم فى الصفات، لعبد القادر صوفى. دار الغرباء الأثرية.

٦- جناية التأويل الفاسد، لمحمد لوح، دار ابن عفان.

٧- النفى فى باب الصفات لأرزقى سعيدانى، دار المنهاج بالرياض.

٨- التسبيح فى الكتاب والسنة، لمحمد إسحاق كندو، دار المنهاج بالرياض.

٩- جهود الإمام ابن القيم فى توحيد الأسماء والصفات، لوليد العلى. دار البشائر الإسلامية.

خامسًا: باقى مسائل الإيمان وملحقاتها:

١- الملائكة المقربين، لمحمد العقيل، دار أضواء السلف.

٢- الرسل والرسالات، لعمر الأشقر، دار النفائس.

٣- أشراط الساعة، ليوسف الوابل، دار ابن الجوزى.

٤- المهدى وفقه أشراط الساعة، لمحمد إسماعيل المقدم. الدار العالمية بالإسكندرية.

٥- القيامة الصغرى، لعمر الأشقر، دار النفائس.

٦- القيامة الكبرى، لعمر الأشقر، دار النفائس.

٧- الجنة والنار، لعمر الأشقر، دار النفائس.

٨- موقف المسلم من الفتن لحسين الحازمى، دار أضواء السلف

٩- القضاء والقدر للمحمود، دار طيبة

١٠- القضاء والقدر لفاروق الدسوقى، دار الفضيلة بمصر

١١- عقيدة أهل السنة والجماعة فى الصحابة، لناصر بن على الشيخ، مكتبة الرشد.

١٢- حقيقة البدعة وأحكامها، لسعيد الغامدى، مكتبة الرشد

١٣- موقف أهل السنة من أهل الأهواء والبدع، لإبراهيم الرحيلى، مكتبة العلوم والحكم.

سادسًا: الفرق والجماعات:

١- دراسات فى الأهواء والافتراق والبدع لناصر العقل. دار الوطن، طبعة أخرى لدار إشبيليا.

٢- موقف شيخ الإسلام من الفلاسفة، لصالح الغامدى، دار المعارف بالرياض.

٣- مقالة التعطيل لمحمد خليفة التميمى، دار أضواء السلف.

٤- المعتزلة لعواد المعتق، مكتبة الرشد

٥- موقف ابن تيمية من الأشاعرة، لعبد الرحمن المحمود، مكتبة الرشد.

٦- الماتريدية لأحمد الحربى، دار الصميعى.

٧- آراء الكلابية العقائدية، لهدى بنت ناصر الشلالى

٨- مقالة التشبيه لجابر إدريس، دار أضواء السلف.

٩- مذهب أهل التفويض، لأحمد القاضى، دار العاصمة.

١٠- مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية، لإدريس محمود إدريس، مكتبة الرشد.

١١- الفكر الصوفى، لعبد الرحمن عبد الخالق، دار الحرمين.

١٢- أصول مذهب الشيعة، لناصر القفارى، دار الرضا.

١٣- مسألة التقريب بين السنة والشيعة، لناصر القفارى، دار طيبة.

١٤- الخوارج لغالب عواجى، مكتبة لينة بمصر.

١٥- مشكلة الغلو فى الدين لعبد الرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة

١٦- التفجيرات والاغتيالات، لأبى الحسن المأربى، دار الكيان.

١٧- العلمانية، لسفر الحوالى، مكتب الطيب.

١٨- الانحرافات العقدية فى أدب الحداثة، لسعيد الغامدى، دار الأندلس الخضراء.

١٩- الاتجاهات العقلانية الحديثة، لناصر العقل. دار الفضيلة

٢٠- دراسات فى الأديان اليهودية والنصرانية، لسعود الخلف، دار أضواء السلف.

٢١- الديانات القديمة لأبى زهرة، دار الفكر العربى.

٢٢- التقريب بين الأديان، لأحمد القاضى، دار ابن الجوزى.

المحور الثاني

ترتيب كتب الاعتقاد ترتيبا زمنيا من عصر الإمام أحمد وحتى أئمة الدعوة ومطالعتها مطالعة واعية ناقدة:

وهذه قائمة بما يحضرنى منها:

١ - كتاب السنة - عبد الله ابن الإمام أحمد - تحقيق محمد سعيد القحطاني - دار رمادى.

٢ - كتاب السنة - أبو بكر بن يزيد الخلال - تحقيق عطية بن عتيق الزهراني - دار الراية.

٣ - كتاب السنة - الحافظ أبو بكر بن أبي عاصم تحقيق باسم فيصل الجوابرة - دار الصميعى.

٤ - كتاب السنة - محمد بن نصر المروزي - تحقيق عبد الله البصيري دار العاصمة.

٥ - شرح السنة - الإمام حسن بن علي البربهاري - تحقيق خالد الردادي - دار الصميعى، وشرحها للشيخ عمرو عبد المنعم - دار ابن عفان.

٦ - شرح السنة - الإمام الحسين بن مسعود البغوي - بتحقيق شعيب الأرناؤوط - المكتب الإسلامى.

٧ - أصول السنة - الإمام ابن أبي زمنين الأندلسي - عبد الله البخاري - دار الغرباء الأثرية.

٨ - كتاب الرؤية الإمام الحافظ علي بن عمر الدارقطني - بتحقيق إبراهيم العلي وصاحبه - دار المنار.

٩ - كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل - الإمام أبو بكر محمد بن إسحاق ابن خزيمة - بتحقيق عبد العزيز الشهوان - مكتبة الرشد.

١٠ - الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة - أبو عبد الله بن بطة العكبري الحنبلي - بتحقيق مجموعة من طلبة العلم - دار الراية.

١١- اعتقاد أئمة الحديث - الإمام أبو بكر الإسماعيلي - بتحقيق محمد الخميس - دار إيلاف.

١٢ - عقيدة السلف أصحاب الحديث - الإمام أبو عثمان إسماعيل بن

عبد الرحمن الصابوني - بتحقيق ناصر الجديع - دار العاصمة.

١٣ - شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة - الإمام أبو القاسم هبة الله بن الحسن ابن منصور الطبري اللالكائي - بتحقيق نشأت كمال - المكتبة الإسلامية.

١٤ - الاعتقاد والهداية - أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي - بتحقيق أحمد بن أبي العينين - دار الفضيلة.

١٥ - المدخل إلى السنن الكبرى - أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي - بتحقيق ضياء الرحمن الأعظمي - دار أضواء السلف.

١٦- البدع والنهي عنها - ابن وضاح القرطبي - بتحقيق عمرو عبد المنعم سليم - مكتبة ابن تيمية.

١٧ - الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة - أبو القاسم إسماعيل بن محمد التميمي الأصفهاني - بتحقيق محمد أبو رحيم ومحمد ربيع المدخلي - دار الراية.

١٨ - كتاب التوحيد ومعرفة أسماء الله وصفاته - الإمام محمد بن إسحاق بن منده - بتحقيق علي ناصر الفقيهي - دار العلوم والحكم.

١٩ - كتاب الإيمان - الإمام محمد بن إسحاق بن منده - بتحقيق علي ناصر الفقيهي - دار العلوم والحكم.

٢٠ - كتاب الإيمان - الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام - بتحقيق الشيخ الألباني - المكتب الإسلامى.

٢١ - كتاب الإيمان - الحافظ أبو بكر بن محمد بن أبي شيبة - بتحقيق الشيخ الألباني - المكتب الإسلامى.

٢٢ - الرد على الجهمية - الإمام الحافظ ابن منده - بتحقيق علي ناصر الفقيهي - مكتبة الرشد.

٢٣ - الرد على الجهمية والزنادقة - الإمام أحمد بن حنبل- بتحقيق خالد عثمان - دار المنهاج.

٢٤ - خلق أفعال العباد والرد على الجهمية وأصحاب التعطيل - الإمام البخاري بتحقيق عمرو عبد المنعم - دار ابن عفان.

٢٥ - العلو للعلي العظيم وإيضاح صحيح الأخبار من سقيمها - بتحقيق عبد الله البراك - دار الوطن.

٢٦- منهاج السنة النبوية - لشيخ الإسلام ابن تيمية - بتحقيق محمد رشاد سالم - تصوير مكتبة ابن تيمية.

٢٧ - درء تعارض العقل والنقل - لشيخ الإسلام ابن تيمية - بتحقيق محمد رشاد سالم - تصوير دار الفاروق.

٢٨ - بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة وأهل الإلحاد - لشيخ الإسلام ابن تيمية - بتحقيق موسى الدوي - مكتبة العلوم والحكم.

٢٩ - اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم - لشيخ الإسلام ابن تيمية - بتحقيق ناصر العقل - دار العاصمة.

٣٠ - الصارم المسلول على شاتم الرسول - لشيخ الإسلام ابن تيمية -

بتحقيق مجموعة من طلبة العلم - دار رمادي للنشر.

٣١ - مجموع الفتاوى - جمع عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد - بتحقيق أنور الباز - دار الوفاء.

٣٢ - الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة - ابن القيم - بتحقيق علي الدخيل - دار العاصمة.

٣٣ - اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية - لابن القيم - بتحقيق عواد المعتق - مكتبة الرشد.

٣٤ - شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي - بتحقيق شعيب الأرناؤوط وعبد الله التركي - مؤسسة الرسالة.

٣٥ - المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة - الدكتور عبد الإله الأحمدي - دار طيبة.



علم أصول الفقه

قال ابن خلدون: اعلم أنْ أصول الفقه من أعظم العلوم الشرعية وأجلها قدرًا وأكثرها فائدة، وهو النظر فى الأدلة الشرعية من حيث تؤخذ منها الأحكام والتكاليف وأصول الأدلة الشرعية هى الكتاب الذى هو القرآن ثم السنة المبينة له فعلى عهد النبى ﷺ كانت الأحكام تتلقى منه بما يوحى إليه من القرآن وبينه بقوله وفعله بخطاب شفاهى لا يحتاج إلى نقل ولا إلى نظر وقياس. ومن بعده صلوات الله وسلامه عليه تعذر الخطاب الشفاهى وانحفظ القرآن بالتواتر. وأما السنة فأجمع الصحابة رضوان الله تعالى عليهم على وجوب العمل بما يصل إلينا منها قولًا أو فعلًا بالنقل الصحيح الذى يغلب على الظن صدقه. وتعينت دلالة الشرع فى الكتاب والسنة بهذا الاعتبار ثم ينزل الإجماع منزلتهما لإجماع الصحابة على النكير على مخالفيهم، ولا يكون ذلك إلا عن مستند لأن مثلهم لا يتفقون من غير دليل ثابت مع شهادة الأدلة بعصمة الجماعة فصار الإجماع دليلًا ثابتًا فى الشرعيات، ثم نظرنا فى طرق استدلال الصحابة والسلف بالكتاب والسنة فإذا هم يقيسون الأشباه بالأشباه منهما ويناظرون الأمثال بالأمثال بإجماع منهم، وتسليم بعضهم لبعض فى ذلك فإن كثيرًا من الواقعات بعده صلوات الله وسلامه عليه لم تندرج فى النصوص الثابتة فقاسوها بما ثبت وألحقوها بما نص عليه بشروط فى ذلك الإلحاق تصحح تلك المساواة بين الشبيهين أو المثلين حتى يغلب على الظن أن حكم الله تعالى فيهما واحد وصار ذلك دليلا شرعيا بإجماعهم عليه وهو القياس وهو رابع الأدلة. واتفق جمهور العلماء على أن هذه هى أصول الأدلة وإن خالف بعضهم فى الإجماع والقياس إلا أنه شذوذ. وألحق بعضهم بهذه الأدلة الأربعة أدلة أخرى لا حاجة بنا إلى

ذكرها لضعف مداركها وشذوذ القول فيها. فكان أول مباحث هذا الفن النظر فى كون هذه أدلة فأما الكتاب فدليله المعجزة القاطعة فى متنه. والتواتر فى نقله فلم يبق فيه مجال للاحتمال وأما السنة وما نقل إلينا منها فالإجماع على وجوب العمل بما يصح منها كما قلناه معتضدًا بما كان عليه العمل فى حياته صلوات الله وسلام عليه من إنفاذ الكتب والرسل إلى النواحى بالأحكام والشرائع آمرًا وناهيًا وأما الإجماع فلاتفاقهم رضوان الله تعالى عليهم على إنكار مخالفتهم مع العصمة الثابتة للأمة، وأما القياس فبإجماع الصحابة ﷺ عليه كما قدمناه هذه أصول الأدلة، ثم إن المنقول من السنة محتاج إلى تصحيح الخبر بالنظر فى طرق النقل وعدالة الناقلين لتتميز الحالة المحصلة للظن بصدقه الذى هو مناط وجوب العمل. وهذه أيضًا من قواعد الفن ويلحق بذلك عند التعارض بين الخبرين وطلب المتقدم منها معرفة الناسخ والمنسوخ وهى من فصوله أيضًا وأبوابه. ثم بعد ذلك يتعين النظر فى دلالة الألفاظ وذلك أن استفادة المعانى على الإطلاق من تراكيب الكلام على الإطلاق يتوقف على معرفة الدلالات الوضعية مفردة ومركبة والقوانين اللسانية فى ذلك هى علوم النحو والتصريف والبيان. وحين كان الكلام ملكة لأهله لم تكن هذه علومًا ولا قوانين ولم يكن الفقيه حينئذ يحتاج إليها لأنها جبلته وملكته فلما فسدت الملكة فى لسان العرب قيدها الجهابذة المتجردون لذلك بنقل صحيح ومقاييس مستنبطة صحيحة وصارت علومًا يحتاج إليها الفقيه فى معرفة أحكام الله تعالى ثم إن هناك استفادات أخرى خاصة من تراكيب الكلام وهى استفادة الأحكام الشرعية بين المعانى من أدلتها الخاصة من تراكيب الكلام وهو الفقه ولا يكفى فيه معرفة الدلالات الوضعية على الإطلاق بل لا بد من معرفة أمور أخرى تتوقف عليها تلك الدلالات الخاصة وبها تستفاد الأحكام بحسب ما أصل أهل الشرع

وجهابذة العلم من ذلك وجعلوه قوانين لهذه الاستفادة مثل أن اللغة لا تثبت قياسًا والمشترك لا يراد به معنياه معًا والواو لا تقتضى الترتيب، والعام إذا أخرجت أفراد الخاص منه هل يبقى حجة فيما عداها والأمر للوجوب أو الندب وللفور أو التراخى والنهى يقتضى الفساد أو الصحة والمطلق هل يحمل على المقيد والنص على العلة كاف فى التعدد أم لا؟ وأمثال هذه فكانت كلها من قواعد هذا الفن ولكونها من مباحث الدلالة كانت لغوية. ثم إن النظر فى القياس من أعظم قواعد هذا الفن لأن فيه تحقيق الأصل والفرع فيما يقاس ويماثل من الأحكام وتنقيح الوصف الذى يغلب على الظن أن الحكم علق به فى الأصل من بين أوصاف ذلك المحل أو وجود ذلك الوصف فى الفرع من غير معارض يمنع من ترتيب الحكم عليه فى مسائل أخرى من توابع ذلك. كلها قواعد لهذا الفن. واعلم أن هذا الفن من الفنون المستحدثة فى الملة وكان السلف فى غنية عنه بما أن استفادة المعانى من الألفاظ لا يحتاج فيها إلى أزيد مما عندهم من الملكة اللسانية، وأما القوانين التى يحتاج إليها فى استفادة الأحكام خصوصًا فمنهم أخذ معظمها، وأما الأسانيد فلم يكونوا يحتاجون إلى النظر فيها لقرب العصر وممارسة النقلة وخبرتهم بهم. فلما انقرض السلف وذهب الصدر الأول وانقلبت العلوم كلها صناعة كما قررناه من قبل احتاج الفقهاء والمجتهدون إلى تحصيل هذه القوانين والقواعد لاستفادة الأحكام من الأدلة فكتبوها فنًّا قائمًا برأسه سموه أصول الفقه، وكان أول من كتب فيه الشافعى رضى الله تعالى عنه، أملى فيه رسالته المشهورة تكلم فيها فى الأوامر والنواهى والبيان والخبر والنسخ وحكم العلة المنصوصة من القياس، ثم كتب فقهاء الحنفية فيه وحققوا تلك القواعد وأوسعوا القول فيها، وكتب المتكلمون أيضًا كذلك إلا أن كتابة الفقهاء فيها أمس بالفقه وأليق بالفروع لكثرة الأمثلة

منها والشواهد وبناء المسائل فيها على النكت الفقهية، والمتكلمون يجردون صور تلك المسائل عن الفقه ويميلون إلى الاستدلال العقلي ما أمكن لأنه غالب فنونهم ومقتضى طريقتهم، فكان لفقهاء الحنفية فيها اليد الطولى من الغوص على النكت الفقهية والتقاط هذه القوانين من مسائل الفقه ما أمكن، وجاء أبو زيد الدبوسى من أئمتهم فكتب فى القياس بأوسع من جميعهم، وتمم الأبحاث والشروط التى يحتاج إليها فيه وكملت صناعة أصول الفقه بكماله وتهذبت مسائله وتمهدت قواعده، وعنى الناس بطريقة المتكلمين فيه وكان من أحسن ما كتب فيه التكلمون كتابه البرهان لإمام الحرمين والمستصفى للغزالى وهما من الأشعرية وكتاب العمد لعبد الجبار وشرحه المعتمد لأبى الحسين البصرى وهما من المعتزلة وكانت الأربعة قواعد هذا الفن وأركانه. ثم لخص هذه الكتب الأربعة فحلان من المتكلمين المتأخرين وهما الإمام فخر الدين بن الخطيب فى كتاب المحصول وسيف الدين الآمدى فى كتاب الإحكام واختلفت طرائقهما فى الفن بين التحقيق والحجاج، فابن الخطيب أميل إلى الاستكثار من الأ والاحتجاج والآمدى مولع بتحقيق المذاهب وتفريع المسائل فأما كتاب المحصول فاختصره تلميذ الإمام سراج الدين الأرموى فى كتاب التحصيل وتاج الدين الأرموى فى كتاب الحاصل واقتطف شهاب الدين القرافى منهما مقدمات وقواعد فى كتاب صغير سماه التنقيحات، وكذلك فعل البيضاوى فى كتاب المنهاج وعنى المبتدئون بهذين الكتابين وشرحهما كثير من الناس، وأما كتاب الإحكام للآمدى وهو أكثر تحقيقًا فى المسائل فلخصه أبو عمر بن الحاجب فى كتابة المعروف بالمختصر الكبير ثم أختصره فى كتاب آخر تداوله طلبة العلم وعنى أهل المشرق والمغرب به وبمطالعته وشرحه وحصلت زبدة طريقة المتكلمين فى هذا الفن فى هذه المختصرات.

وأما طريقة الحنفية فكتبوا فيها كثيرًا وكان من أحسن كتابة فيها للمتقدمين تأليف أبي زيد الدبوسي وأحسن كتابة المتأخرين فيها تأليف سيف الإسلام البزدوي من أئمتهم، وهو مستوعب. وجاء ابن الساعاتي من فقهاء الحنفية فجمع بين كتاب الإحكام وكتاب البزدوي في الطريقتين وسمى كتابه بالبدائع فجاء من أحسن الأوضاع وأبدعها، وأئمة العلماء لهذا العهد يتداولونه قراءة وبحثًا وأولع كثير من علماء العجم بشرحه والحال على ذلك لهذا العهد.

هذه حقيقة هذا الفن وتعيين موضوعاته وتعديد التآليف المشهورة لهذا العهد فيه والله ينفعنا بالعلم ويجعلنا من أهله بمنه وكرمه إنه على كل شيء قدير.

وأما الخلافيات فاعلم أن هذا الفقه المستنبط من الأدلة الشرعية كثر فيه الخلاف بين المجتهدين باختلاف مداركهم وأنظارهم خلافًا لا بد من وقوعه لما قدمناه واتسع ذلك في الملة اتساعًا عظيمًا وكان للمقلدين أن يقلدوا من شاءوا منهم. ثم لما انتهى ذلك إلى الأئمة الأربعة من علماء الأمصار وكانوا بمكان من حسن الظن بهم اقتصر الناس على تقليدهم، ومنعوا من تقليد سواهم لذهاب الاجتهاد لصعوبته وتشعب العلوم التي هي مواده؛ باتصال الزمان وافتقاد من يقوم على سوى هذه المذاهب الأربعة. فاقيمت هذه المذاهب الأربعة أصول الملة وأجرى الخلاف بين المتمسكين بها والآخذين بأحكامها مجرى الخلاف في النصوص الشرعية والأصول الفقهية. وجرت بينهم المناظرات في تصحيح كل منهم مذهب إمامه تجري على أصول صحيحة وطرائق قويمة يحتج بها كل على مذهبه الذي قلده وتمسك به وأجريت في مسائل الشريعة كلها وفي كل باب من أبواب الفقه. فتارة يكون الخلاف بين الشافعي ومالك، وأبو حنيفة يوافق أحدهما، وتارة بين مالك

وأبى حنيفة والشافعى يوافق أحدهما، وتارة بين الشافعى وأبى حنيفة ومالك يوافق أحدهما، وكان فى هذه المناظرات بيان مآخذ هؤلاء الأئمة ومثارات اختلافهم ومواقع اجتهادهم وكان هذا الصنف من العلم يسمى بالخلافيات ولابد لصاحبه من معرفة القواعد التى يتوصل بها إلى استنباط الأحكام كما يحتاج إليها. المجتهد إلا أن المجتهد يحتاج إليها للاستنباط وصاحب الخلافيات يحتاج إليها لحفظ تلك المسائل المستنبطة من أن يهدمها المخالف بأدلته. وهو لعمرى علم جليل الفائدة فى معرفة مآخذ الأئمة وأدلتهم ومران المطالعين له على الاستدلال فيما يرومون الاستدلال عليه. وتآليف الحنفية والشافعية فيه أكثر من تآليف المالكية، لأن القياس عند الحنفية أصل للكثير من فروع مذهبهم كما عرفت فهم لذلك أهل النظر والبحث وأما المالكية فالأثر أكثر معتمدهم وليسوا بأهل نظر، وأيضًا فأكثرهم أهل المغرب وهم بادية غفل من الصنائع إلا فى الأقل. وللغزالى رحمه الله تعالى فيه كتاب المآخذ ولأبى بكر العربى من المالكية كتاب التلخيص جلبه من المشرق ولأبى زيد الدبوسى كتاب التعليقة، ولابن القصار من شيوخ المالكية عيون الأدلة، وقد جمع ابن الساعاتى فى مختصره فى أصول الفقه جميع ما ينبنى عليها من الفقه الخلافى مدرجًا فى كل مسألة ما ينبنى عليها من الخلافيات.

وأما الجدال وهو معرفة آداب المناظرة التى تجرى بين أهل المذاهب الفقهية وغيرهم فإنه لما كان باب المناظرة فى الرد والقبول متسعًا وكل واحد من المناظرين فى الاستدلال والجواب يرسل عنانه فى الاحتجاج ومنه ما يكون صوابًا ومنه ما يكون خطأ فاحتاج الأئمة إلى أن يضعوا آدابًا وأحكامًا يقف المتناظران عند حدودها فى الرد والقبول وكيف يكون حال المستدل والمجيب، وحيث يسوغ له أن يكون مستدلًا وكيف يكون مخصوصًا منقطعًا

ومحل اعتراضه أو معارضته وأين يجب عليه السكوت ولخصمه الكلام والاستدلال ولذلك قيل فيه إنه معرفة بالقواعد من الحدود والآداب فى الاستدلال التى يتوصل بها إلى حفظ رأى أو هدمه، كان ذلك الرأى من الفقه أو غيره. وهى طريقتان: طريقة البزدوى وهى خاصة بالأدلة الشرعية من النص والإجماع والاستدلال وطريقة العميدى وهى عامة فى كل دليل يستدل به من أى علم كان وأكثره استدلال وهو من المناحى الحسنة والمغالطات فيه فى نفس الأمر كثيرة. وإذا اعتبرنا النظر المنطقى كان فى الغالب أشبه بالقياس المغالطى والسوفسطائى إلا أن صور الأدلة والأقيسة فيه محفوظة مراعاة تتحرى فيها طرق الاستدلال كما ينبغى، وهذا العميدى هو أول من كتب فيها ونسبت الطريقة إليه. وضع الكتاب المسمى بالإرشاد مختصرًا وتبعه من بعده من المتأخرين كالنسفى وغيره جاءوا على أثره وسلكوا مسلكه وكثرت فى الطريقة التآليف. وهى لهذا العهد مهجورة لنقص العلم والتعليم فى الأمصار الإسلامية وهى مع ذلك كمالية وليست ضرورية. والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق.

المرحلة الأولى

١- الورقات فى أصول الفقه لإمام الحرمين الجوينى.

وينظر «الدليل إلى المتون العلمية» (ص/٣٠٨)، ومما يستدرك عليه:

١- أحسن طبعات شرح المحلى على الورقات هى التى حققها الدكتور حسام عفانة ونشرتها مكتبة العبيكان.

٢- من الشروح المسجلة الرائعة للورقات شرح الشيخ محمد بن الحسن

الددو الشنقيطى فى (٥) أشرطة.(*)

٢- أصول الفقه للشيخ عبد الوهاب خلاف.

❑ وله ثلاث طبعات:

الأولى: طبعة دار القلم بدمشق.

الثانية: طبعة دار التراث بمصر.

الثالثة: طبعة دار الحديث بمصر.

٣- رسالة الأصول من علم الأصول للشيخ محمد بن صالح العثيمين.

❑ لها عدة طبعات، أوسعها انتشارًا طبعة مكتبة السنة بمصر.

❑ وللكتاب شرح مسجل واحد قام به المؤلف نفسه، وقد قام بتفريغه ونشره نشأت كمال ونشرته دار البصيرة بمصر، وأنصح إخوانى بانتظار الطبعة التى ستصدر قريبًا عن مؤسسة الشيخ.

٤- رسالة فى أصول الفقه للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدى.

❑ ولها شرحان:

الأول: شرح الشيخ عبد السلام بن عبد الكريم، ونشرته المكتبة الإسلامية.

الثانى: «جمع المحصول» للشيخ عبد الله الفوزان، ونشرته دار المسلم.

٥- الواضح في أصول الفقه للشيخ محمد سليمان الأشقر.

❑ وتنشره دار النفائس بالأردن.

المرحلة الثانية

١- الوجيز في أصول الفقه لعبد الكريم زيدان، وتنشره مؤسسة الرسالة ببيروت.

٢- أصول الفقه للشيخ محمد أبو زهرة، وتنشره دار الفكر العربي.

٣- أصول الفقه للشيخ محمد الخضري(*).

❑ وله طبعتان:

الأولى: طبعة دار ابن رجب بمصر، بتحقيق أبي الأشبال أحمد بن سالم المصري.

الثانية: طبعة دار الحديث بمصر.

٤- معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة لمحمد بن حسين الجيزاني، وتنشره دار ابن الجوزي بالدمام(*).

❑ وله نظم مهم قام به الشيخ محمد على آدم الأثيوبي وشرحه ونشرته مكتبة الرشد بالرياض وسماه: «المنحة المرضية».

٥- قواعد الأصول ومعاقد الفصول لصفي الدين البغدادي.

انظر: «الدليل إلى المتون العلمية» (ص/ ٣٣٥)، ومما يستدرك عليه:

١- صدر للكتاب شرح معجب رائق للشيخ عبد الله الفوزان، وطبعته دار الفضيلة. (*)

المرحلة الثالثة

١- منهاج الأصول، للقاضي البيضاوي.

انظر: «الدليل إلى المتون العلمية» (ص٣١٨)، ومما يستدرك عليه:

١- أحسن طبعات المنهاج هى التى حققها الدكتور أحمد قطب الدخميسى و نشرتها مكتبة قرطبة بمصر.

٢- صدر تحقيق الدكتور شعبان إسماعيل لشرح ابن الجزرى وشرح ابن السبكى منفصلين فى طبعة جديدة عن دار ابن حزم.

٣- صدرت طبعة رائعة جدًّا تجب ما قبلها لشرح ابن السبكى على المنهاج نشرتها دار البحوث والدراسات بدبى فى سبعة مجلدات.

٤- صدرت طبعة جديدة نشرتها دار ابن حزم لشرح الإسنوى على المنهاج بتحقيق الدكتور شعبان إسماعيل.

٥- من الكتب المهمة التى تتصل بالمنهاج كتاب «أصول الفقه» للشيخ محمد أبو النور زهير وتنشره مكتبة الكليات الأزهرية ويعتمد عليه طلبة الأزهر وأساتذته كثيرًا فى حل شرح الإسنوى على المنهاج.

٢- جمع الجوامع لابن السبكي.

انظر: «الدليل إلى المتون العلمية» (ص/ ٣٢٥) ومما يستدرك عليه:

١- صدرت طبعة جديدة رائعة من شرح المحلى على جمع الجوامع، نشرتها مؤسسة الرسالة بتحقيق مرتضى الداغستانى.

٢- صدرت طبعة جيدة من الكوكب الساطع شرح جمع الجوامع للسيوطى، نشرتها دار السلام بتحقيق أستاذنا الدكتور محمد إبراهيم الحفناوى.

٤- روضة الناظر وجنة المناظر لابن قدامة المقدسي.

انظر: «الدليل إلى المتون العلمية» (ص/ ٣٣٩) ومما يستدرك عليه:

١- طبعة المكتبة المكية لروضة الناظر بتعليق الدكتور شعبان إسماعيل.

٢- هناك طبعة جيدة لمذكرة الشنقيطى حققها أبو حفص سامى العربى ونشرتها دار اليقين بمصر.

٣- هناك شرح مختصر لروضة الناظر قام به الدكتور محمد صدقى البورنو وسماه: «كشف الساتر» ونشرته مؤسسة الرسالة.

٥- مختصر التحرير لمحمد بن أحمد الفتوحي المعروف بابن النجار.

انظر: «الدليل إلى المتون العلمية» (ص/ ٣٤٣) ومما يستدرك عليه:

١- هناك تحقيق جيد لهذا المتن قام به الدكتور محمد مصطفى رمضان ونشرته دار الأرقم.

٦- مراقي السعود لعبد الله العلوي الشنقيطي.

انظر: «الدليل إلى المتون العلمية» (ص/ ٣٠٢).

٦- التحرير للكمال ابن الهمام.

انظر: «الدليل إلى المتون العلمية» (ص/ ٢٩٠).

مرحلة التخصص

ويعتنى فيها الطالب - كما فى كل العلوم- بجرد الكتب المصنفة فى هذا الفن بعد ترتيبها ترتيبا تصاعديا من الأقدم إلى الأحدث، وحبذا لو جعل هذا الجرد على ثلاثة مراحل:

المرحلة الأولى: يطالع فيها الكتب التالية:

١- الرسالة للشافعى - بتحقيق أحمد محمد شاكر - دار التراث.

٢- قواطع الأدلة، لأبى المظفر السمعانى- دار الكتب العلمية.

٣- جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر - دار ابن الجوزى.

٤- الفقيه والمتفقه، للخطيب البغدادى- دار ابن الجوزى.

٥- الإحكام فى أصول الأحكام، لابن حزم- دار الآفاق الجديدة.

٦- إعلام الموقعين، لابن القيم - دار ابن الجوزى.

٧- المباحث الأصولية التى كتبها شيخ الإسلام، ويستعان على الوقوف عليها بالفهرسة التى قام بها الشيخ محمد حسين الجيزانى فى نهاية كتابه آنف الذكر.

٨- الموافقات- أبو إسحاق الشاطبي- مشهور حسن سلمان- دار ابن عفان.

٩- مذكرة أصول الفقه، وشرح مراقي السعود- للشيخ محمد الأمين الشنقيطي.

١٠- المسائل المشتركة بين أصول الفقه وأصول الدين - محمد العروسي عبد القادر- دار حافظ. (*)

١١- آراء المعتزلة الأصولية- علي بن سعد الضويحي- مكتبة الرشد.

المرحلة الثانية: يطالع فيها الطالب كتب المتكلمين وليعتن بالكتب التالية:

١- شرح اللمع - أبو إسحاق الشيرازي- تحقيق علي العميريني - دار التوبة.

٢- التقريب والإرشاد - أبو بكر الباقلاني - عبد الحميد أبو زنيد - مؤسسة الرسالة.

٣- البرهان- إمام الحرمين الجويني- عبد العظيم الديب - دار الوفاء.

٤- المعتمد - أبو الحسين البصري - المعهد العلمي الفرنسي.

٥- المستصفى- أبو حامد الغزالي- محمد سليمان الأشقر- مؤسسة الرسالة.

٦- المحصول- فخر الدين الرازي- طه جابر العلواني- مؤسسة الرسالة.

٧- الإحكام فى أصول الأحكام- الآمدى- عبد الرزاق عفيفى- المكتب الإسلامى، أو دار الصميعى.

٨- شرح مختصر ابن الحاجب- عضد الدين الإيجى- شعبان إسماعيل- مكتبة الكليات الأزهرية.

٩- شرح منهاج البيضاوى- ابن السبكى- دار البحوث والدراسات بدبى.

١٠- البحر المحيط- الزركشي- مجموعة من أهل العلم - وزارة الأوقاف الكويتية.

١١- شرح جمع الجوامع- المحلى- مرتضى الداغستانى - مؤسسة الرسالة.

١٢- شرح الكوكب المنير- ابن النجار الفتوحى- نزيه حماد ومحمد الزحيلى- مكتبة العبيكان. (*)

١٣- فواتح الرحموت على مسلم الثبوت- لابن عبد الشكور - دار الكتب العلمية.

١٤- إرشاد الفحول- الشوكانى- سامى العربى- دار الفضيلة.

المرحلة الثالثة يطالع فيها الطالب كتب الأحناف وليعتن بالكتب التالية:

١- الفصول فى الأصول- الجصاص- عجيل جاسم النشمى- وزارة الأوقاف الكويتية.

٢- أصول السرخسى- أبو الوفاء الأفغانى- دار الكتب العلمية.

٣- كشف الأسرار- علاء الدين البخارى- دار الكتب العلمية.

٤- شرح المنار- ابن نجيم- دار الكتب العلمية.

المرحلة الرابعة يعتنى فيها الطالب بقراءة الأبحاث المميزة للمعاصرين في هذا العلم ومنها:

١- الحكم الشرعى- صلاح زيدان.

٢- السبب- الدكتور عبد العزيز الربيعة.

٣- المانع- عبد العزيز الربيعة.

٤- عوارض الأهلية - عبد الله الجبورى - منشورات جامعة أم القرى.

٦- القطع والظن، سعد الشثرى، دار الحبيب.

٧- الأصول والفروع، سعد الشثرى، دار المسلم.

٦- دراسات فى القرآن الكريم، محمد إبراهيم الحفناوى، دار الحديث.

٧- حجية السنة، عبد الغنى عبد الخالق، دار الوفاء.

٨- السنة ومكانتها فى التشريع، مصطفى السباعى، المكتب الإسلامى

٩- خبر الآحاد، القاضى برهون، مكتبة التراث الإسلامى

١١- حجية الإجماع، عدنان السرمينى، مؤسسة الريان.

١٢- أدلة التشريع المختلف فيها، عبد العزيز الربيعة

١٣- القياس فى القرآن الكريم والسنة النبوية، وليد بن على الحسين، مكتبة الرشد.

١٤- القياس فى العبادات، محمد منظور إلهى، مكتبة الرشد.

١٥- مباحث العلة عند الأصوليين، عبد الحكيم الأسعدى، دار البشائر.

١٦- تفسير النصوص - محمد أديب صالح - المكتب الإسلامى. (*)

١٧- المنهج الفريد فى الاجتهاد والتقليد- وميض العمرى- دار النفائس

١٨- التعارض والترجيح- محمد إبراهيم الحفناوى، دار الوفاء

١٩- الاستدلال، أسعد عبد الغنى، دار السلام.

١٨- إرشاد النجباء إلى مباحث الاجتهاد والتقليد والافتاء- محمد إبراهيم الحفناوى، دار الحديث.

١٩- الاجتهاد بتحقيق المناط وسلطانه، دار الحديث.

٢٠- الثبات والشمول فى الشريعة الإسلامية، عابد السفيانى، دار الفرقان.



علم الحديث ومصطلحه

المرحلة الأولى

وأهدافها: الوقوف على مهمات علم الحديث بصورة مركزة مختصرة، ويتدرج فيها طالب العلم وفقًا لمحورين رئيسيين:

المحور الأول علم الرواية:

ويشتغل الطالب فيه بحفظ الأربعين النووية، ويضيف إليها زيادات الحافظ ابن رجب - رحمه الله - .

وانظر: «الدليل إلى المتون العلمية» (ص٢٤٨)، ومما يستدرك عليه.

١- شرح الأربعين النووية للشيخ عبد المحسن العباد. نشر دار ابن عفان.

٢- شرح الأربعين النووية للشيخ محمد بن صالح العثيمين. نشر دار الثريا. (*)

٣- شرح الأربعين النووية للشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ. نشر مكتبة الإيمان.

❁ ❁ ❁

المحور الثانى الدراية:

وحظ الطالب فيه فى هذه المرحلة هو علم مصطلح الحديث فقط، وهذه قائمة بأفضل كتب هذه المرحلة:

١- المنظومة البيقونية.

وانظر: «الدليل على المتون العلمية [ص/ ٢٢٢]، ومما يستدرك عليه:

١- الجواهر السليمانية شرح المنظومة البيقونية. لأبى الحسن المأربى. نشر دار الكيان. (*)

٢- أطيب المنح بشرط منظومة المصطلح، للشيخ مجدى عرفات. نشر دار الهدى.

٣- مصطلح الحديث فى سؤال وجواب للشيخ مصطفى العدوى. ط مكتبة مكة.

٤- مصطلح الحديث للشيخ محمد بن صالح العثيمين. ط مكتبة العلم.

٥- المدخل إلى علوم الحديث للشيخ طارق عوض الله. ط دار ابن عفان.

❁ ❁ ❁

المرحلة الثانية

يقوم الطالب فى هذه المرحلة، بتجريد أدلة السنة التى أوردها الشيخ حافظ حكمى فى كتابه «٢٠٠ سؤال وجواب فى العقيدة»، ثم يحفظها.

علم الدراية:

١- نزهة النظر شرح نخبة الفكر، نشر مكتبة أولاد الشيخ بمصر.

❑ ولها شرح صوتى مهم للشريف حاتم بن عارف العونى. (*)

٢- الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، نشر دار الكيان.

٣- تيسير مصطلح الحديث للطحان، نشر دار المعارف بالرياض.

٤- مذكرة علوم الحديث من تيسير علوم الحديث لعمرو بن عبد المنعم سليم، نشر دار ابن عفان.

٥- شرح لغة المحدث لطارق عوض الله، نشر مكتبة ابن تيمية.

كتب مهمة للمطالعة:

١- الموقظة للإمام الذهبى، وعليها عدة شروح.

- شرح الشيخ أبو إسحاق الحوينى فى [٩] شرائط ولم يتم.

- شرح الشيخ عبد الله السعد. (*)

- شرح الشيخ الشريف حاتم بن عارف العونى.

- شرح الشيخ عمرو عبد المنعم سليم. ط دار ابن عفان.

- شرح الشيخ سليم الهلالى. ط دار الفرقان.

المرحلة الثالثة

هذه المرحلة مهمة جدًّا، وهى مرحلة المتوسطين، وهم أحد فريقين:

الأول: الذين يستعدون للتخصص فى هذا العلم الشريف.

الثانى: الذين يسعون إلى الاجتهاد، أو إلى التخصص فى أحد العلوم القريبة المأخذ من علم الحديث، كالفقه أو السنة أو التاريخ.

وتتكون هذه المرحلة من محاور وهى:

المحور الأول علم الرواية:

وتوزع مهام الطالب فى هذا المحور على فرعين أصليين:

الأول: المطالعة.

ويقوم الطالب فى هذه المرحلة بقراءة «الصحيحين» قراءة جرد وتصحيح على يد أحد المتقنين لعلم الحديث، فإن لم يستطع فعلى أحد المتقنين للغة العربية، فإن لم يستطع فليستعن بالله عز وجل وليقرأهما وحده وليجتهد ما استطاع فى الضبط والتصحيح، وقد توفرت الآن أقراص ممغنطة [cd] عليها قراءات الصحيحين البخارى ومسلم مما يسر الأمر كثيرًا.

ومرحلة المطالعة هذه؛ هى مما قصر فيها مدعو الطلب فى هذا الزمان، ووالله ثم والله لقد رأيت من يشتغل بالتصحيح والتضعيف ولم يقرأ عمدة الأحكام فضلًا عن البخارى ومسلم، وأعظم منها أنى رأيت من يتصدى لشرح البخارى ومسلم ولم يقرأ واحدًا منهما يومًا من دهره!!!، والله المستعان على كشف البلاء.

يقول الشيخ أحمد محمد شاكر رحمه الله: «ينبغي للطالب أن يقدم الاعتناء بالصحيحين، ثم بالسنن، كسنن أبي داود والترمذى، والنسائى، وابن ماجه، وصحيحي ابن خزيمة وابن حبان، والسنن الكبرى للبيهقى، وهو أكبر كتاب في أحاديث الأحكام، ولم يصنف في باب مثله ثم بالمسانيد، وأهمها مسند أحمد بن حنبل، ثم بالكتب الجامعة المؤلفة في الأحكام وأهمها «موطأ مالك»، ثم كتب ابن جريج، وابن أبي عروبة، وسعيد بن منصور، وعبد الرزاق، وابن أبي شيبة، ثم كتب العلل، ثم يشتغل بكتب رجال الحديث وتراجمهم وأحوالهم، ثم يقرأ كثيرا من كتب التاريخ وغيرها».

قلت: والله الذي لا إله غيره، إني لأعلم من الناس ناسًا، تزيوا بزي أهل الحديث، ورفعوا شعارهم، وكتبوا، وصنفوا، وقالوا: هذا عندنا ضعيف وهذا عندنا ثقة ولسوف نرد على فلان وننقض رأي فلان. أقول: إن هؤلاء إذا رأيتهم فلربما أعجبك سمتهم وهالك رسمهم وإني والذي رفع السماء بلا عمد أعرف منهم من لم يتم أحد الصحيحين قراءة ولو مرة واحدة، وأعرف منهم من يشتغل بتحقيق الحديث الواحد أيامًا طوالًا فإذا سألته عن متن هذا الحديث الذي يحققه، حار وأبلس وصار لسانه مضغة لحم خرساء تجوب الحنك، فالله المستعان على رفع بلاء أولئك، واقرأ كلام الشارح أبي الأشبال وتفكر فيه واعمل به فتلك لعمر الله طرائق أهل العلم وسنن الربانيين من أهل الفهم، والسلام. [«الباعث الحثيث» (ص٢٣٦)].

المحور الثانى من فروع محور الرواية: هو الحفظ:

وسأضع أهم الكتب التى ينبغى حفظها فى ترتيب تسلسل تصاعدى، فمن استطاع الأعلى فلا يقنع بالأدنى، ومن لم يستطع إلا الأدنى فليكن الأعلى مرحلة تالية له إن استطاع والله الموفق.

١- عمدة الأحكام بتحقيق نظر الفاريابى. ط دار طيبة.

٢- بلوغ المرام بتحقيق محمد حامد الفقى.

٣- الجمع بين الصحيحين للشيخ يحيى اليحيى(*)، فمن لم يتمكن من تحصيله، فليحفظ اللؤلؤ والمرجان، نشر دار الآثار، ثم أفراد البخارى للحجورى. ط دار الفاروق. ثم أفراد مسلم للشيخ عبد الله العبيلان.

المحور الثانى مصطلح الحديث:

الذى تطمئن إليه عن نظر وتجربة أن تقتصر هذه المرحلة فى المصطلح على صورة معينة لا تتعداها إلى غيرها وهى كالتالى:

- قراءة ودراسة مقدمة ابن الصلاح مع التقييد والإيضاح للعراقى. مع النكت على ابن الصلاح لابن حجر العسقلانى(*).

- ثم يعقب ذلك مطالعة تدريب الراوى للسيوطى والنكت على ابن الصلاح للزركشى.

المحور الثالث الجرح والتعديل:

١- خلاصة التأصيل فى علم الجرح والتعديل للشريف حاتم العونى.

٢- مباحث فى علم الجرح والتعديل، قاسم على سعد.

٣- تحرير قواعد الجرح والتعديل، للشيخ عمرو عبد المنعم سليم، نشر دار ابن عفان.

ويضم لأحد هذه الكتب مبحث ألفاظ الجرح والتعديل من كتاب «تحرير علوم الحديث» للشيخ عبد الله بن يوسف الجديع(*).

المحور الرابع علم العلل:

هناك كتابان مهمان يصلحان كمدخل لهذا العلم، فينصح الطالب باختيار أحدهما:

١- شرح علل الأحاديث للشيخ مصطفى العدوى، نشر مكتبة مكة(*).

٢- مذكرة علل الحديث من تيسير علوم الحديث للشيخ عمرو عبد المنعم سليم، نشر دار الضياء.

المحور الخامس علم التخريج ودراسة الأسانيد:

بالنسبة للتخريج فقد وضعت فى هذه المرحلة عدة كتب نذكر للطالب أهمها وأحسنها:

١- أصول التخريج ودراسة الأسانيد للدكتور محمود الطحان، نشر دار

المعارف بالرياض.

٢- علم تخريج الأحاديث للشيخ عمرو عبد المنعم سليم، نشر دار ابن عفان.

٣- طرق تخريج حديث رسول الله ﷺ للدكتور عبد المهدى عبد القادر، نشر دار الفضيلة.

أما بالنسبة لدراسة الأسانيد فأفضل كتبه على الإطلاق هو كتاب الشيخ عمرو عبد المنعم سليم «تيسير دراسة الأسانيد»، نشر دار ابن عفان.

المحور السادس التطبيق العملي:

بعد انتهاء الطالب من كتب المرحلة الأولى بقسميها، وانتهاءه من كتب المرحلة الثانية بمحاورها، فيسرنا أن نبشره أنه صار مؤهلًا من الناحية النظرية لخوض معمعة التطبيق العملى لما درس، وذلك بدراسة وتخريج الأحاديث ودراسة الأسانيد دراسة ميدانية، ثم الحكم عليها حكمًا تدريبيًّا، لا الحكم الذى يبنى عليه عمل أو عبادة، ومن المؤسف أن معظم الدراسات الأكاديمية لا تستطيع إيفاء هذه المرحلة حقها؛ لكثرة عدد الطلبة وضيق وقت المدرسين، ولكننا نوجه حديثنا هنا لطالب العلم الربانى الذى حمل على عاتقه مهمة الذب عن حديث رسول الله ﷺ، وإنها لغاية يهون أمامها كل عسير.

فليستعن الطالب بمكتبته الخاصة أو مكتبة الجامعة أو المكتبات العامة، ثم بطالب علم ذكى متقدم ليشر عليه وليدله وليكن عونًا له بعد الله عز وجل على ما يصبو إليه ثم ليسهر ليله ويحيى نهاره حتى تستوى ثمرة درسه على سوقها، وليخرج من ضيق الدراسة النظرية المهمة إلى سعة الدراسة العملية

التى تكمل للدراسة النظرية أهميتها، ولا ينسى قبل كل ذلك ومعه وبعده أن يدعو الله وأن يسأله التوفيق والرشاد.

المرحلة الرابعة

عمومًا نحن لا ننصح غير مريد التخصص أن يصل لهذه المرحلة، ولسنا نزعم كذلك أن هذه المرحلة هى مرحلة المتخصصين.

وإنما نقول: أن هذه المرحلة هى أولى عتبات التخصص، وأول مراحل السفر الطويل إلى ديار أهل الحديث، وما قبلها بالنسبة لها كسير من لم يفارق العمران. والله المستعان.

المحور الأول علم الرواية:

أولًا المطالعة: يتم الطالب قراءة الأمات الست، ثم يعقبها «بمسند أحمد» و«موطأ مالك» و«مسند الدارمى» و«صحيحا» ابن حبان وابن خزيمة. و«سنن الدارقطنى»، و«مستدرك الحاكم» و«سنن البيهقى الكبير».

ثانيًا: الحفظ: مازال الطالب - غالبًا- لم يتم الكتب التى ذكرناها فى المرحلة الثانية، فعليه أن يتمها - ولا حرج إن توقف عند ما يطيق- وعليه أن يشغل نفسه أثناء الحفظ بمطالعة سريعة لشروح ما يحفظ مع العناية بأسماء الصحابة وكُناهم ووفياتهم كما قدمنا فى المرحلة الثانية.

المحور الثانى مصطلح الحديث:

هى ثلاثة كتب يشتغل الطالب بمطالعتها وبحفظ ما يحتاجه منها وهى على الترتيب:

١- فتح المغيث للسخاوى، نشر دار المنهاج بالرياض.

٢- تحرير علوم الحديث للجديع، نشر مؤسسة الريان(*).

٣- إتحاف النبيل لأبى الحسن مصطفى بن إسماعيل المأربى. نشر دار الفرقان(*).

المحور الثالث علم الجرح والتعديل:

١- الرفع والتكميل للكنوى، نشر دار السلام.

هناك بعد ذلك كتابان مهمان فى هذه المرحلة يخير القارئ بين أحدهما مع التأكيد على أهمية قراءة الآخر وهما:

١- دراسات فى الجرح والتعديل للدكتور محمد مصطفى الأعظمى، نشر دار السلام بالرياض.

٢- الجرح والتعديل، للدكتور إبراهيم اللاحم، نشر مكتبة الرشد(*).

- أما بالنسبة لألفاظ الجرح والتعديل فلا مناص من قراءة الكتاب الذى أوفى على الغاية وهو: «شفاء العليل فى ألفاظ الجرح والتعديل» لأبى الحسن المأربى، نشر مكتبة ابن تيمية(*).

- ويبقى كتاب واحد من لم يقرأه فلم يقرأ شيئًا، إنه الذهب والتبر الأصيل المسمى بـ«التكنيل» لفخر اليمن وعلامتها ذهبى العصر المعلمى اليمانى - عليه رحمة الله - .

❋ ❋ ❋

المحور الرابع علم العلل:

هناك كتابان مهمان فى هذه المرحلة يخير الطالب بين أحدهما مع التأكيد على قراءة الآخر وهما:

١- العلة وأجناسها لأبى سفيان مصطفى باجو، نشر دار الضياء.

٢- تعليل العلل لذوى المقل لأبى عبد الله عبد السلام علوش، نشر مكتبة الرشد.

- مع العناية بكتاب «التتبع» للدارقطنى والاستعانة عليه بثلاثة كتب:

١- الأحاديث المنتقدة على الصحيحين لأبى سفيان مصطفى باجو، نشر دار الضياء.

٢- تحقيق الشيخ مقبل بن هادى الوادعى على التتبع، نشر دار الكتب العلمية.

٣- بين الإمامين مسلم والدارقطنى للشيخ ربيع بن هادى المدخلى، نشر مكتبة الرشد(*).

المحور الخامس علم الرجال:

وهو محور جديد تمامًا ويعنى الطالب فيه بمحاولة ضبط أسماء مشاهير الرواة ومشاهير أصحابهم بحيث يستطيع استحضارهم وقت الحاجة، وأحسن كتاب فى هذا هو كتاب: «معرفة الرواة المكثرين» لفهد بن عبد الله العمار، نشر مكتبة الرشد(*).

ثم العناية برجال الصحيحين وضبط أسماءهم وكناهم وليستعن بكتاب:

«قرة العين فى تراجم رجال الصحيحين» للشيخ محمد الأثيوبى، نشر مؤسسة الريان.

أما من رام فوق هذا، فالعلم بحر لا ساحل له ولا يستطاع العلم براحة الجسم.

- ولا غنى للطالب عن مطالعة كتاب الدكتور محمد مطر الزهرانى الموسوم بـ«علم الرجال نشأته وتطوره»، نشر دار ابن عفان.

- ولا غنى للطالب أيضًا عن قراءة مقدمة «الجرح والتعديل» لابن أبى حاتم، ومقدمة «التقريب»، و«اللسان»، و«ميزان الاعتدال»، وقراءة «هدى السارى» للحافظ ابن حجر العسقلانى، كذلك قراءة مطالعته.

المحور السادس السنة تاريخها وحجيتها ومكانتها:

وهذا المحور من الأهمية بمكان فى ظل الهجمة الاستشراقية العلمانية العقلانية التى نتعرض لها منذ نحو نصف قرن متواصلة، وكل الكتب التى سنذكرها هنا لازمة القراءة والاطلاع.

١- تاريخ السنة:

١- السنة قبل التدوين لمحمد عجاج الخطيب.

٢- بحوث فى تاريخ السنة لأكرم ضياء العمرى، نشر مكتبة العلوم والحكم.

٣- دراسات فى الحديث النبوى للدكتور محمد مصطفى الأعظمى.

٢- حجية السنة:

١- حجية السنة للدكتور عبد الغنى عبد الخالق، نشر دار الوفاء.

٢- دفاع عن السنة، لمحمد محمد أبى شهبة، نشر مكتبة السنة(*).

٣- الأنوار الكاشفة للمعلمى اليمانى.

٣- مكانة السنة:

١- السنة ومكانتها فى التشريع لمصطفى السباعى، نشر المكتب الإسلامى.

المحور السابع التخريج ودراسة الأسانيد:

يعنى الطالب فى هذه المرحلة بقراءة الكتب التالية:

١- التلخيص الحبير، وأصله البدر المنير، وصنوهما: نصب الراية.

٢- إرواء الغليل.

٣- السلسلة الصحيحة.

٤- السلسلة الضعيفة.

٥- تعليقات الشيخ أحمد محمد شاكر على الترمذى وعلى مسند أحمد.

ثم العناية بقراءة تحقيقات وتخريجات المحققين المتقنين من أمثال:

١- الشيخ مقبل بن هادى الوادعى.

٢- الشيخ محمد عمرو عبد اللطيف.

٣- الشيخ أبو إسحاق الحويني.

٤- الشيخ طارق عوض الله.

٥- الشيخ سعد الحميد. وغيرهم ممن يوصى بقراءة تحقيقاتهم الحديثية أهل العلم، والعلة فى كل ذلك أن تستوى مع الوقت ملكة عرض الطرق والأسانيد واختزالها وبسطها حسب الحاجة من غير إضرار بالمادة العلمية.

مرحلة التخصص

إذا أتممت أخى الكريم المراحل السابقة فهذا بيان ببعض ما ينبغى عليك الاشتغال به:

١- ترتيب كتب المصطلح ترتيبًا زمنيًّا من الأقدم إلى الأحدث ومطالعتها وتسجيل الفوائد.

٢- ترتيب كتب الرجال ترتيبًا زمنيًّا من الأقدم إلى الأحدث ومطالعتها وتسجيل الفوائد.

٣- قراءة الأبحاث المعاصرة المميزة سواء كنت تتفق مع وجهة نظر كاتبها أم لا؟ فإن فى هذه الأبحاث خيرًا كثيرًا وهذا قائمة بأهم هذه الأبحاث:

١- المنهج المقترح لفهم المصطلح للشريف حاتم بن عارف العونى، نشر دار الهجرة(*).

٢- الأحاديث المنتقدة على الصحيحين لأبى سفيان مصطفى باجو.

٣- الموازنة بين منهج المتقدمين والمتأخرين فى تصحيح الأحاديث وتعليلها لحمزة المليبارى، نشر دار ابن حزم.

٤- إجماع المحدثين على عدم اشتراط العلم بالسماع بين المتعاصرين للشريف حاتم، دار عالم الفوائد.

٥- الاتصال والانقطاع لإبراهيم اللاحم، مكتبة الرشد.

٦- موفق الإمامين البخارى ومسلم من الحديث المعنعن لخالد الدريس، دار ابن حزم.

٧- عبقرية مسلم فى ترتيب أحاديث مسند الصحيح لحمزة المليبارى.

٨- ما هكذا تورد يا سعد الإبل، لحمزة المليبارى، دار ابن حزم.

٩- التنكيل بما فى توضيح المليبارى من الأباطيل لربيع المدخلى.

١٠- طليعة فقه الإسناد لطارق عوض الله.

١١- الإرشادات لتقوية الأحاديث بالشواهد والمتابعات لطارق عوض الله، مكتبة ابن تيمية.

١٢- الثقات الذين ضعفوا فى بعض شيوخهم لصالح بن حامد الرفاعى.

١٣- الحديث الحسن لخالد الدريس، دار أضواء السلف.

١٤- التدليس أحكامه وآثاره النقدية لصالح بن سعيد الجزائرى، دار ابن حزم.

١٥- المقترب فى بيان المضطرب لأحمد عمر بازمول.

وأختم هذا المنهج بهذا النص العالي لعلم من أعلام علوم الحديث في هذا الزمان وهو الشيخ الشريف حاتم بن عارف العوني قال في رسالته «نصائح منهجية لطالب علم السنة النبوية» (ص٤٧):

«بعد ذكر المميزات السابقة لعلم الحديث، وما تستلزمه كل ميزة منها من أسلوب معين تواجه به في الطلب والتحصيل؛ بقي وضع تصور عام لمنهج القراءة والتعلم في كتب الحديث وعلومه:

ولن أكون في هذا المنهج بعيدًا عن الواقع، فأطالب جيل اليوم بما كان يلزم به السلف طلاب العلم في زمانهم؛ كما سئل الإمام أحمد «عن الرجل يكون معه مائة ألف حديث، يقال إنه صاحب حديث؟ قال: لا، قيل: عنده مائتا ألف حديث، يقال له صاحب حديث؟ قال: لا، قيل له: ثلاثمائة ألف حديث؟ فقال بيده يمنة ويسرة. وقال أبو بكر ابن أبي شيبة: «من لم يكتب عشرين ألف حديث إملاء لم يعد صاحب حديث».

بل لن أزن طلاب اليوم بعرف أهل العلم في القرن الثامن الهجري!! فقد قال تاج الدين السبكي (ت ٧٧١هـ): «إنما المحدث من عرف الأسانيد والعلل وأسماء الرجال والعالي والنازل، وحفظ من ذلك جملة مستكثرة من المتون، وحفظ البعض من الأسانيد، وسمع الكتب الستة ومسند أحمد وسنن البيهقي ومعجم الطبراني، وضم إلى هذا القدر ألف جزء من الأجزاء الحديثية، هذا أقل درجاته؛ فإذا سمع ما ذكرناه، وكتب الطباق، ودار على الشيوخ، وتكلم في العلل والأسانيد، كان في أول درجات المحدثين، ثم يزيد الله من شاء ما شاء».

فهذا كله بحسب عرفهم!! لكن (**لكل زمان دولة ورجال**). فلن أخاطب

إلا أهل زمانى، بضعف هممهم، وكثرة الصوارف لهم عن طلب العلم.. وفى الله الخلف وهو المستعان!

فأول ما يلزم طالب الحديث: هو إدمان النظر فى الصحيحين «صحيح البخارى وصحيح مسلم»، بل ينبغى أن يضع الطالب لنفسه مقدارًا معينًا من الصحيحين يقرؤه كل يوم، ليختم الصحيحين قراءة فى كل سنة مرة فى أقل تقدير، ويستمر على ذلك أربع سنوات مثلًا، خلال دراسته الجامعية أو الثانوية؛ فلا يتخرج إلا وقد قرأ الصحيحين عدة مرات، ليكون مستحضرًا غالب متون الصحيحين.

ثم ينتقل بعد ذلك إلى بقية الكتب التى اشترطت الصحة، كصحيح ابن خزيمة، وصحيح ابن حبان، وموطأ مالك، ومنتقى ابن الجارود.

ويتمم هذه بسنن أبى داود والنسائى، وجامع الترمذى، وسنن الدارمى، وسنن الدارقطنى، والسنن الكبرى للبيهقى.

فيقرأ الطالب هذه الكتب، بعناية وتدقيق، ويكثر من القراءة فيها، وخاصة التى اشترطت الصحة، وعلى رأسها الصحيحان.

فإن كان طالب العلم هذا ممن أوتى موهبة الحفظ، فليجمع عزمه على ما يستطيعه من هذه الكتب. ويمكنه أن يبدأ بحفظ «الأربعين النووية» وما ألحقه ابن رجب بها لتمام خمسين حديثًا، ثم ينتقل إلى «عمدة الأحكام» لعبد الغنى ابن عبد الواحد المقدسى، ثم إلى «بلوغ المرام» لابن حجر، أو «اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان» لمحمد فؤاد عبدالباقى، ثم إلى الصحيحين؛ ثم ما شاء مما يوفقه الله تعالى إليه من الكتب. وأنصحه أن ألا يضيف إلى محفوظه إلا ما حكم عليه بالصحة والقبول من إمام معتبر،

إلا بعد أن يستوعب ذلك.

ويمكن طالب الحديث أن يكمل قراءته لكتب السنة بقراءة شروح مختصرة لكتب الحديث، مثل «أعلام الحديث» فى شرح صحيح البخارى للخطابى، وشرح النووى لصحيح مسلم، وشرح الطيبى لمشكاة المصابيح، وفيض القدير للمناوى. وأسهل من ذلك كله، أن يضع الطالب بجواره أثناء قراءته لكتب السنة كتاب «النهاية فى غريب الحديث والأثر» لابن الأثير، لأنه كتاب يعنى بتفسير الكلمات الغريبة لغويًا الواردة فى الأحاديث والآثار؛ ليستطيع من خلال ذلك أن يفهم المعنى العام للحديث، وأن لا يروى ما لا يدرى. فإن أراد التوسع: فعليه بمثل «التمهيد» لابن عبد البر، و«طرح التثريب» للعراقى، و«فتح البارى» لابن حجر.

أما بالنسبة لكتب علوم الحديث والمصطلح: فإن كان الطالب صغير السن «فى مثل المرحلة الدراسية المتوسطة» فيبدأ بالبيقونية أو «نخبة الفكر» لابن حجر، مع شرح ميسر لها؛ وإن كان فى المرحلة الثانوية أو بداية الجامعة فيبدأ بـ «نزهة النظر فى توضيح نخبة الفكر» لابن حجر، أو «الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث لابن كثير» لأحمد محمد شاكر، أو «الغاية شرح الهداية» للسخاوى. ثم ينتقل إلى كتاب ابن الصلاح فى علوم الحديث، ويضم إليه شروحه كـ «التقييد والإيضاح» للعراقى و«النكت على كتاب ابن الصلاح» لابن حجر، ويتلو ذلك كتاب «الموقظة» للذهبى. ثم ينتقل إلى الكتب الموسعة فى علوم الحديث، مثل «تدريب الراوي» للسيوطى، و«فتح المغيث» للسخاوى، و«توضيح الأفكار» للصنعانى. ثم يدرس بعمق كتاب «الكفاية» للخطيب، و«معرفة علوم الحديث» للحاكم، و«شرح علل الترمذى» لابن رجب، ومقدمة «التمهيد» لابن عبد البر، ومقدمة «الإرشاد» للخليلى. ثم ينتهى بالتفقه فى كلام الشافعى فى

«الرسالة»، ومسلم فى مقدمة «الصحيح»، وأبى داود فى «رسالته إلى أهل مكة»، ونحوها.

وبعد تعلمه لـ «نزهة النظر» أو ما ذكرناه فى درجتها، وأثناء قراءته لكتاب ابن صلاح، عليه أن يكثر مطالعة كتب التخريج، مثل «نصب الراية» للزيلعى، و«البدر المنير» لابن الملقن، و«التلخيص الحبير» لابن حجر، و«تنقيح التحقيق» لابن عبد الهادى، والسلسلتين و«إرواء الغليل» للألبانى. ويحاول خلال هذه القراءة أن يوازن بين ما عرفه من كتب المصطلح وما يقرؤه فى كتب التخريج تلك، ليرى نظريًا طريقة التطبيق العملى لتلك القواعد ومعانى المصطلحات.

وإذا ما توسع فى قراءة كتب التخريج السابقة، ويدرس كتابًا من الكتب الحديثة فى أصول التخريج، مثل «أصول التخريج ودراسة الأسانيد» للدكتور محمود الطحان. ثم يدرس كتابًا أو أكثر فى علم الجرح والتعديل، مثل «الرفع والتكميل» للكنوى، وأحسن منه «شفاء العليل» لأبى الحسن المصرى. ويدرس أيضًا كتابًا من الكتب التى تعرف بمصادر السنة، كـ «الرسالة المستطرفة» للكتانى، و«بحوث فى تاريخ السنة النبوية» للدكتور أكرم ضياء العمرى.

ثم يبدأ بالتخريج ودراسة الأسانيد بنفسه، وكلما بكر فى ذلك (ولو من أوائل طلبه) كان ذلك أعظم فائدة وأكبر عائدة؛ لأن ذلك يجعله يطبق القواعد فلا ينساها، ويتعرف على مصادر السنة ومناهجها، ويتمرن فى ساحات هذا العلم. والغرض من هذا التخريج - كما سبق - هو الممارسة للتعلم، لا للتأليف؛ وقد تقدم الحديث عن أهمية هذه الممارسة فى علم الحديث.

وأثناء قيامه بالتخريج، عليه أيضًا أن يخص علم الجرح والتعديل التطبيقى بمزيد عناية كذلك؛ وذلك بقراءة كتبه الكبار، مثل: «تهذيب التهذيب» لابن حجر، و«ميزان الاعتدال» للذهبي؛ وكتبه الأصول، مثل: «الجرح والتعديل» لابن أبى حاتم، و«الضعفاء» للعقيلى، و«المجروحين» لابن حبان، و«الكامل» لابن عدى، وكتبه التى هى أصول الأصول، مثل: تواريخ يحيى بن معين وسؤالاته هو والإمام أحمد، «التاريخ الكبير» للبخارى، ونحوها. وهو خلال قراءته هذه يحاول أن يوازن بين استخدام الأئمة لألفاظ الجرح والتعديل وما ذكر عن مراتب هذه الألفاظ فى كتب المصطلح. وإن مر به أحد الرواة الذين كثر الاختلاف فيهم، فعليه أن يطيل فى دراسته، فإن هؤلاء الرواة مادة خصبة للدراسة والاستفادة.

وما يزال الطالب فى الترقى العلمى فى قراءة كتب علوم الحديث، فلا يدع منها شاردة ولا واردة، وفى التوسع فى التخريج، وفى تمحيص علم الجرح والتعديل؛ حتى يصل إلى منزلة يصبح قادرًا فيها على دراسة كتب العلل، مثل: «العللؤ لابن المدينى، والترمذى، وابن أبى حاتم، وأجلها «علل الأحاديث» للدارقطنى. فيقرأ الطالب هذه الكتب قراءة تدقيق شديد، وتفقه عميق؛ ليدرى بعضًا من أساليب الأئمة فى عرض علل الأحاديث، وطرائق اكتشاف تلك العلل، وقواعد الحكم على الأحاديث.

فإذا وصل طالب الحديث إلى هذه المرحلة، فلابد أن رأسه قد أمتلأ بالمشاريع العلمية والبحوث الحديثية، التى تزيده تعمقًا فى علم الحديث. فليبدأ (على بركة الله) مشوار العلم الطويل، منتفعًا ونافعًا مستفيدًا مفيدًا.

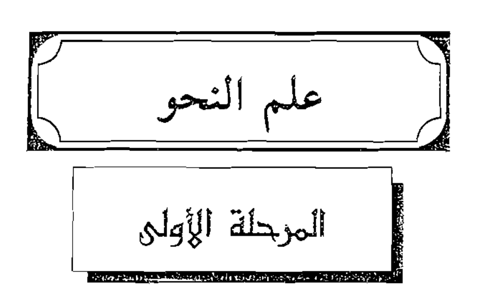
فإن بلغ طالب الحديث هذه الرتبة، وأسبغ الله عليه نعم توفيقه وتسديده، ومد عليه عمره فى عافية، وطالت ممارسته لهذا العلم؛ فيا

بشرى العالم الإسلامى، فقد ولد له محدث!!

وأنبه - أخيرًا - أن هذه المنهج التعليمى إنما نطرحه للطالب الذى لم يجد من يوجهه. أما من وجد عالمًا ربانيًّا يعتنى به توجيهًا وتعليمًا، فعليه أن يقبل عليه بكليته، وأن يلزم عتبة داره؛ فهو على خير عظيم، وعلى معارج العلم يترقى، ما دام جاثيًا فى حلقة ذلك العالم.

والله أعلم.





علم النحو

المرحلة الأولى

١- سلسلة النحو الواضح، تأليف الأستاذ على الجارم، والأستاذ مصطفى أمين، نشر دار المعارف.

٢- المقدمة الآجرومية، لأبي عبد الله محمد بن داود الصناهجى المعروف بابن آجروم.

- انظر: الدليل إلى المتون العلمية (ص/ ٤٨٩) ومما يستدرك عليه:

١- طبع شرح الشيخ محمد بن صالح العثيمين عدة طبعات أوفاها طبعة دار العقيدة بمصر(*).

٢- شرح الشيخ حسن الحفظى. نشر مكتبة الرشد وهو نفيس جدًّا.

٣- شرح الشيخ صالح الأسمرى، نشر دار الصميعى.

٤- شرح الشيخ مالك بن سالم المهزرى، نشر دار صنعاء الأثرية.

- أعيد نشر التحفة السنية نشرة طيبة قام عليها الشيخ محمد بن قائد المقطرى وطبعتها دار الآثار.

٣- ملحة الإعراب للحريرى.

انظر «الدليل إلى المتون العلمية» (ص٥٠٢).

المرحلة الثانية

١- قصة الإعراب، للأستاذ أحمد الخواص، نشر دار القلم بدمشق.

٢- قطر الندى وبل الصدى لابن هشام الأنصاري.

- انظر: «الدليل إلى المتون العلمية» (ص٥٠٦).

المرحلة الثالثة

١- ألفية ابن مالك:

- انظر: «الدليل إلى المتون العلمية» (ص٥١٣) ومما يستدرك عليه:

١- طبع شرح السيوطي طبعة جديدة، نشرتها دار السلام بمصر.

٢- الشرح الميسر على الألفية للشيخ عبد العزيز الحربي(*).

٣- دليل السالك إلى ألفية ابن مالك، للشيخ عبد الله بن صالح الفوزان، نشر دار المسلم.

٤- من الكتب المهمة التي تتصل بألفية ابن مالك كتاب «معجم القواعد العربية» للدكتور عبد الغني الدقر، نشر دار القلم بدمشق.

ويدرس في هذه المرحلة أيضًا وبعد الألفية كتاب مغني اللبيب لابن

هشام.

انظر الدليل إلى المتون العلمية ص٥٣٩) ومما يستدرك عليه:

١- نشرت دار الكتب العلمية مغنى اللبيب بتحقيق حسن حمد.

٢- نشرت دار السلام حاشية الدسوقى فى طبعة جديدة جيدة جدًّا.

المرحلة الرابعة

١- النحو الوافى للدكتور عباس حسن، نشر دار المعارف بمصر.

٢- الكافية لابن الحاجب.

- انظر: «الدليل إلى المتون العلمية» (ص ٥٣٥) ومما يستدرك عليه:

١- هناك شرح نفيس لشواهد شرح الرضى على الكافية قام به الشيخ عبد القادر البغدادى، وحققه الأستاذ عبد السلام هارون، ونشرته مكتبة الخانجى فى [١٣] مجلد.

٢- أحسن طبعات شرح الرضى على الكافية هى التى حققها عبد العال سالم مكرم، ونشرتها دار عالم الكتب بمصر.

❁ ❁ ❁

علم الصرف

علم التصريف أحد علوم الأدب الاثنى عشر التى يحترز بها عن الخلل فى كلام العرب لفظًا أو كتابة، وكان علماء النحو قديمًا هم علماء اللغة والأدب؛ لأنَّ التمايز بين هذه العلوم لم يتم إلا بعد حين، وقد نشأ علما النحو الصرف معًا بعدما أحس العرب بحاجتهم إليهما، وذلك لحفظ القرآن الكريم من اللحن الذى انتشر بدخول شعوب غير عربية فى الإسلام، ولفهم النص القرآنى باعتباره مناط الأحكام التى تنتظم الحياة.

تعريف الصرف لغة:

إذا تتبعنا معنى أحرف الكلمة الصاد والراء والفاء وجدنا أن الصاد تدل على المعالجة الشديدة، والراء تبين عن الملكة، وتدل على شيوع الوصف، والفاء تنم عن لازم المعنى أى تدل على المعنى الكنائى.

وإذا عدنا إلى فهم المعنى الإجمالى لمعنى الكلمة وجدنا أن الفعل صرف يفيد مطلق التغيير من حالٍ إلى حال؛ لأنَّ المعالجة الشديدة الكامنة فى معنى الصاد لا تتم إلَّا بالتغيير والتحويل مضافة إلى الملكة وشيوع الوصف الكامنة فى الراء مخصصة هذا التغيير وذاك التحويل بدخول الفاء الذى يدل على لازم المعنى.

هذا، وقد وردت مادة صرف مجردة ومزيدة فِعلًا واسمًا فى القرآن الكريم ثلاثًا وثلاثين مرة تفيد كلها معنى التغيير والتحويل كقوله تعالى: ﴿فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ﴾.

﴿وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ﴾.

﴿رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ﴾.

﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا﴾.

﴿وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾.

تعريف الصرف اصطلاحًا:

هذا والصرف والتصريف فى الأصل مصدران لصرف وصَرَّف يدور معناهما حول التحويل والتغيير والتقليب، يقال: صرفته عن وجهه صرفًا إذا رددته وحولته، وصَرَّفته فى الأمر تصريفًا إذا قلبته، ومن هذا تصريف الرياح أى: تحويلها من جهة إلى جهة، فتارة تهب شمالًا، وتارة جنوبًا، وتارة صبًّا أى من المشرق وتارة دبورًا أى من المغرب -، وصروف الدهر تقلباته، وتصريف السحاب تحويلها من جهة إلى أخرى، وتصريف الآيات: تبيينها فى أساليب مختلفة وصور متعددة.

ويجدر بنا أن نلحظ أنَّ تصريفًا أبلغ فى الدلالة على التغيير من صَرْف؛ لأنَّ زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى غالبًا.

الصرف والتصريف فى اصطلاح المتقدمين:

كان المتقدمون يرون أنَّ التصريف قسم من النحو، وأن مدلول النحو عام يشمل جميع القواعد والمسائل التى تتعلق بآخر الكلم العربية وغير الآخر، ولهذا عرفوا النحو بما يشمل التصريف فقالوا: علم يبحث عن أحوال الكلم العربية إفرادًا وتركيبًا، وكان الصرف أو التصريف يطلق على

مبحث خاص من مباحث النحو يقال له الاشتقاق، أو اختراع الصيغ القياسية، أو مسائل التمرين، وعرَّفوه فقالوا: التصريف هو أن تأخذ من كلمة لفظًا لم تستعمله العرب على وزن ما استعملته، ثم تعمل فى هذا اللفظ ما يقتضيه قياس كلامهم مِن إعلال وإبدال وإدغام وغير ذلك كأن تبنى من خرج على مثال دحرج، ومن وأى بمعنى وعد على مثال كوكب.

هذا هو معنى التصريف عند المتقدمين من النُحاة، ولعل السر فى هذه التسمية كثرة ما يعترى هذه الصيغ المخترعة من التغيير والتحويل.

المرحلة الأولى:

١- التطبيق الصرفى، للدكتور عبده الراجحى، نشر دار المعارف بالرياض.

٢- تعلم الصرف العربى بنفسك، للأساتذة: محمود صينى، ومحمد الرفاعى، ورفع الله صالح، نشر دار المريخ.

المرحلة الثانية:

١- لامية الأفعال لابن مالك، ومعها أبيات تصريف الأسماء من ألفية ابن مالك.

وله عدة شروح. منها:

١- شرح الشيخ بحرق اليمنى، وبهامشه حاشية أحمد الرفاعى، نشر دار

الآفاق الجديدة.

٢- شرح ابن الناظم بدر الدين بن مالك، تحقيق أحمد بن عبد المولى المغيني، نشر دار الرضا بمصر.

٢- شذ العرف فى فن الصرف للحملاوى، نشر دار الكيان.

٣- شرح صوتى للشيخ محمد بن الحسن ولد الدَّدو الشنقيطى.

٣- المغنى فى تصريف الأفعال، للشيخ محمد عبد الخالق عضيمة، نشر دار الحديث(*).

٤- دروس فى التصريف، للشيخ محمد محى الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية.

المرحلة الثالثة:

١- الشافية لابن الحاجب.

- انظر: «الدليل إلى المتون العلمية» (ص ٥٥١).

المرحلة الرابعة:

يطالع فيها الطلب الكتب التالية:

١- إصلاح المنطق لابن السكيت.

- انظر: «الدليل إلى المتون العلمية» (ص٥٧٥).

٢- الفصيح لثعلب.

- انظر: «الدليل إلى المتون العلمية» (ص ٥٧٨).

٣- تثقيف اللسان لابن أبي مكي الصقلي، تحقيق الدكتور عبد العزيز مطر، نشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمصر.

❊ ❊ ❊

علم البلاغة

المرحلة الأولى:

١- البلاغة الواضحة لعلى الجارم، ومصطفى أمين.

- انظر: «الدليل إلى المتون العلمية» (ص ٦١٨).

المرحلة الثانية:

١- تلخيص المفتاح، للخطيب القزويني.

- انظر: «الدليل إلى المتون العلمية» [٦١٢]ومما يستدرك عليه:

١- هناك كتاب مهم جدًّا يتصل بالإيضاح وهو: «بغية الإيضاح» للشيخ عبد المتعال الصعيدى، وتنشره مكتبة الآداب(*).

٢- هناك سلسلة كتب للدكتور بسيونى عبد الفتاح فيود، تنشرها مكتبة المختار بمصر، وهى كالشرح والتيسير لكتاب الإيضاح للقزوينى.

المرحلة الثالثة:

يطالع فيها الطالب الكتب التالية:

١- التصوير البيانى - للدكتور محمد محمد أبو موسى - مكتبة وهبة.

٢- خصائص التراكيب - للدكتور محمد محمد أبو موسى - مكتبة وهبة.

٣- دلالات التراكيب - للدكتور محمد محمد أبو موسى - مكتبة وهبة.

٤- قراءة فى الأدب القديم - للدكتور محمد محمد أبو موسى - مكتبة وهبة.

٥- دراسة فى البلاغة والشعر- للدكتور محمد محمد أبو موسى - مكتبة وهبة.

٦- دراسة تحليلية لسورة الأحزاب - للدكتور محمد محمد أبو موسى - مكتبة وهبة.

٧- المدخل إلى كتابى عبد القادر الجرجانى - للدكتور محمد محمد أبو موسى - مكتبة وهبة.

٨- البلاغة القرآنية فى تفسير الزمخشرى - للدكتور محمد محمد أبو موسى - مكتبة وهبة.

٩- شرح مائة حديث من صحيح البخارى - للدكتور محمد محمد أبو موسى - مكتبة وهبة.

١٠- اللفظ والمعنى للدكتور على العمارى - مكتبة وهبة.

١١- البلاغة تطور وتاريخ - دكتور شوقى ضيف - دار المعارف بمصر.

١٢- أسرار البلاغة - عبد القاهر الجرجانى - دار المدنى.

١١- دلائل الإعجاز - عبد القاهر الجرجانى - دار المدنى.

١٣- المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر - ابن الأثير - مكتبة نهضة مصر.

١٤- الصناعتين - لأبى هلال العسكرى - مطبعة السعادة.

١٥- العمدة فى نقد الشعر - لابن رشيق القيروانى - دار الخانجى.

❋ ❋ ❋



علم اللغة

بوب الشيخ عبد العزيز بن قاسم - حفظه الله - بهذا التبويب ولكنه لم يستوعب كل ما يمكن ذكره تحت هذا التبويب، وأنقل هنا مبحثًا جليلًا للدكتور رمضان عبد التواب - رحمه الله - يغني الطالب عن النظر فى غيره من مقدمات هذا العلم.

بين فقه اللغة وعلم اللغة

تطلق كلمة «فقه اللغة» عندنا الآن على العلم الذى يحاول الكشف عن أسرار اللغة، والوقوف على القوانين التى تسير عليها فى حياتها، ومعرفة سر تطورها، ودراسة ظواهرها المختلفة، دراسة تاريخية من جانب، ووصفية من جانب آخر.

وهو بهذا المعنى يضم كل الدراسات اللغوية، التى تبحث فى نشأة اللغة الإنسانية، واحتكاك اللغات المختلفة بعضها ببعض، ونشأة اللغة الفصحى واللهجات، وكذلك تلك التى تبحث فى أصوات اللغة، ودلالة الألفاظ وبنيتها، من النواحى التاريخية المقارنة، والنواحى الوصفية، وكذلك فى العلاقات النحوية بين مفرداتها، كما تبحث أخيرًا فى أساليبها، واختلاف هذه الأساليب، باختلاف فنونها من شعر ونثر، وغير ذلك.

وهذا هو ما يطلق عليه فى الغرب اسم philology، وإن كانت هذه الكلمة: philology قد تحددت عند الألمان، بدراسة النصوص اللغوية، دراسة تاريخية مقارنة؛ لمحاولة فهمها، والاستعانة بذلك فى دراسة الفروع

اللغوية الأخرى، التى يبحث فيها علم آخر عندهم هو «علم اللغة».

ويرى «ماريو باى»: «أن موضوع فقه اللغة لا يختص بدراسة اللغات فقط، ولكن يجمع إلى ذلك دراسات تشمل الثقافة والتاريخ، والنتاج الأدبى للغات موضوع الدراسة.

أما علم اللغة فيركز على اللغة نفسها، ولكن مع إشارات عابرة أحيانًا، إلى قيم ثقافية وتاريخية».

وكل علم من هذين العلمين، لا ينفصل فى الواقع عن الآخر، انفصالًا حادًا، ولا يمكن لأحدهما أن يستغنى عن الآخر مطلقًا. وفى هذه المسألة يقول «لومل» فى رسالة له بعنوان: كيف يدرس علم اللغة؟: «إن علم اللغة من أهم الوسائل المساعدة للدراسات الفيلولوجية من جانب، ومن جانب آخر فإنه علم قائم بذاته، له وظيفة معينة، وطرق وميادين معروفة، ولا يستغنى علم اللغة عن الفيلولوجيا؛ لأن أهم مصادره هى النصوص اللغوية. والعلاقة وثيقة بين العلمين، إلى درجة أن الاستعمال الشائع للكلمتين، لا يكاد يفرق بينهما».

وقد ظهرت كلمة «فقه اللغة» فى العالم العربى الحديث، فى الجامعة المصرية، وبخاصة عندما استقدم جماعة من المستشرقين، ليعاونوا فى التدريس، كما «ذكر السنيور جويدى» فى محاضرته الأولى بالجامعة المصرية [٧] أكتوبر سنة (١٩٢٦م)، أن كلمة philology تصعب ترجمتها بالعربية، وأن لها فى اللغات الغربية معنى خاصًا، لا يتفق عليه أصحاب العلم والأدب؛ فمنهم من يرى أن هذا العلم مجرد درس لقواعد الصرف والنحو، ونقد نصوص الآثار الأدبية. ومنهم من يرى أنه ليس درس اللغة فقط، ولكنه بحث عن الحياة العقلية من جميع وجوهها، وإذا صح ذلك،

فمن الممكن أنْ يدخل فى دائرة الفيلولوجى، علم اللغة وفنونها المختلفة، كتاريخ اللغة، ومقابلة اللغات، والنحو، والصرف، والعروض، وعلوم البلاغة، وعلم الأدب فى معناه الأوسع؛ فيدخل تاريخ الأدب، وتاريخ العلوم من حيث تصنيف الكتب العلمية، وتاريخ الفقه من حيث تدوينه فى المجاميع والمجلات، وتاريخ الأديان من حيث درس الكتب المقدسة، وتأليف الكتب الدينية واللاهوتية، وتاريخ الفلسفة من حيث تأليف كتب الحكمة وكتب الكلام. ولا سبيل إلى معرفة كنه هذه الحياة العقلية، إلا بدرس أحوال المركز، الذى نشأت فيه تلك الآثار الأدبية».

وقد تخصص «فقع اللغة» فى الجامعات العربية، بدراسة «فقه اللغة العربية»، وإن اختلفت مناهجه فيها، بين الدراسة التقليدية القديمة، ومحاولات لتطبيق المناهج الحديثة فى الدرس اللغوى.

أما «علم اللغة» ويطلق عليه أحيانًا اسم: «علم اللغة العام»، فقد دخل بعض الجامعات العربية حديثًا، وتعالج فيه عادة قضايا اللغة، مجردة عن الارتباط بأية لغة من اللغات؛ فاللغة التى يبحث فيها هذا العلم، ليست هى اللغة العربية، أو الإنجليزية، أو الألمانية، وإنما هى «اللغة فى ذاتها ومن أجل ذاتها» كما يقول دى سوسير، هى اللغة التى تظهر وتتحقق فى أشكال لغات كثيرة، ولهجات متعددة، وصور مختلفة من صور الكلام الإنسانى، فمع أن اللغة العربية تختلف عن الإنجليزية، وهذه تختلف عن الألمانية، فإن هناك أصولًا وخصائص جوهرية، تجمع بين هذه اللغات من جانب، كما تجمع بينها وبين سائر اللغات، وصور الكلام الإنسانى من جانب آخر، وهو أن كلًا منها لغة، أو نظام اجتماعى معين تتكلمه جماعة معينة، بعد أن تتلقاه عن المجتمع، وتحقق به وظائف معينة، وينتقل من جيل إلى جيل، فيمر بأطوار من التطور، متأثرًا فى ذلك بسائر النظم الاجتماعية، والسياسية،

والاقتصادية، والدينية، وغير ذلك.

وهكذا نرى أن «علم اللغة» يستقى مادته من النظر فى اللغات على اختلافها، وهو يحاول أن يصل إلى فهم الحقائق والخصائص التى تجمع اللغات الإنسانية كلها فى إطار واحد.

جهود علماء العربية فى فقه اللغة

اسم «فقه اللغة» قديم عند العرب، وإن لم يكن شاملًا لكل فروعه، التى نهتم بها الآن، فى «فقه اللغة العربية». ولدينا بهذا الاسم كتاب لأبى منصور عبد الملك بن محمد الثعالبى (المتوفى سنة ٤٢٩هـ)، المسمى «فقه اللغة وسر العربية». وفى تسمية هذا الكتاب بهذا الاسم، شىء من التجوز فى الواقع؛ إذ ليس فيه من مسائل فقه اللغة، التى تحدثنا عنها فيما مضى، سوى باب: «سر العربية» فى آخره، وما عداه عبارة عن معجم للغة العربية، رتبه على حسب الموضوعات، تمامًا كما فعل من قبله أبو عبيد القاسم بن سلام (المتوفى سنة ٢٢٤هـ) فى كتابه «الغريب المصنف فى اللغة»، وكما فعل فى عصره ابن سيدة الأندلسى (المتوفى سنة ٤٥٨هـ) فى كتابه الضخم «المخصص فى اللغة». وسنعود لذلك بالتفصيل، عند حديثنا عن «المعاجم العربية» فيما بعد.

ولدينا كتاب آخر اسمه: «الصاحبى فى فقه اللغة وسنن العرب فى كلامها»، لأبى الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (المتوفى سنة ٣٩٥ هـ)، ضمنه كثيرًا من مسائل فقه اللغة العربية، مثل نشأة اللغة وخصائص اللسان العربى، واختلاف لغات العرب، ولغات العامة من العرب، والقياس

والاشتقاق في اللغة العربية، وآثار الإسلام في اللغة العربية.

وهذا الموضوع ألف فيه أبو حاتم الرازى كتابه: «الزينة فى الكلمات الإسلامية»، والمترادف، وحروف الهجاء العربية، وحروف المعنى، وأسماء الأشخاص ومأخذها، وغير ذلك.

ولابن فارس كتاب آخر اسمه «مقاييس اللغة»، وهو معجم لألفاظ اللغة العربية، مرتب على الحروف الهجائية، إلى حدٍّ ما، غير أن فيه فكرتين جديدتين على حركة التأليف فى المعاجم فى عصره، وتعدّان فى الواقع من صميم «فقه اللغة»، وهما فكرتا «الأصول» و«النحت»؛ فهو يحاول بالفكرة الأولى أن يدرج مفردات المادة اللغوية الواحدة، تحت أصل أو أصلين؛ مثل قوله: «الظاء والفاء والراء: أصلان صحيحان، يدل أحدهما على القهر والفوز والغلبة، والآخر على قوة فى الشيء، ولعل الأصلين يتقاربان فى القياس، فالأول: الظَّفَر، وهو الفوز بالشيء ... والأصل الآخر: الظُّفْر، ظفر الإنسان... إلخ». [«مقاييس اللغة» (٣/ ٤٦٥)].

أما فكرة النحت، فخلاصتها أن ابن فارس جمع ما زاد على الثلاثى، من كل مادة، تحت أبواب معينة، وحاول تفسير بعضها بما يسمى النحت، مثل قوله: «بُحْتُر، وهو القصير المجتمع الخلق، فهذا منحوت من كلمتين: الباء والتاء والراء، وهو من بَتَرته فبُتِرَ، كأنه حُرِمَ الطول فَبُتِر خَلْقُه. والكلمة الثانية: الحاء والتاء والراء، وهو من حَتَرْتُ واحْتَرْتُ، وذلك ألا تُفْضِل على أحد.

يقال: أحتر على نفسه وعياله، أى ضَيَّقَ عليهم؛ فقد صار هذا المعنى في القصير؛ لأنه لم يُعْطَ ما أعطيه الطويل». [«مقاييس اللغة» (١/ ٣٢٩)].

ويذهب ابن فارس إلى هذه النظرية كذلك فى كتابه «الصاحبى فى فقه اللغة»؛ فيقول: «هذا مذهبنا فى أن الأشياء الزائدة على ثلاثة أحرف، فأكثرها منحوت؛ مثل قول العرب للرجل الشديد: ضِبَطْر، منضبط وضبر، وفى قولهم: صهصلق، أنه من: صهل وصلق، وفى الصِّلْدِم أنه من: الصِّلد والصَّدم». [«الصاحبى» (ص٢٧١)].

ولا تقتصر جهود علماء العربية فى فقه اللغة، على ما ألفه الثعالبى وابن فارس، فهناك أبو الفتح عثمان بن جنى (المتوفى سنة ٣٩٢ هـ)، الذى ألف كتابه «الخصائص»، وضمنه كثيرًا من البحوث اللغوية القيمة، كبحثه فى أصل اللغة، ومقاييس العربية، وتعليل اللغة، والقياس، والاشتقاق، وغير لك.

وهناك بعض البحوث، التى ضمنها ابن سيدة الأندلسى كتابه «المخصص»، الذى أشرنا إليه من قبل، كالبحوث التى تناول بها الترادف، والاشتراك، والتعريب، والاشتقاق، والتذكير والتأنيث، والمقصور والممدود، وغير ذلك.

وهناك أيضًا تلك البحوث القيمة، التى أودعها جلال الدين السيوطى (المتوفى سنة ٩١١هـ) كتابه «المزهر فى علوم اللغة وأنواعها»، وهو كتاب ضخم فى مجلدين، مليء بالبحوث اللغوية المختلفة؛ مثل البحث فى نشأة اللغات، والمصنوع، والفصيح والحوشى والغريب، والمستعمل والمهمل، وتوافق اللغات، وتداخلها، والمولّد والمعرّب، والاشتقاق، والترادف والاشتراك والتضاد، والإبدال، والقلب، والنحت، وغير ذلك.

وهو دائرة معارف واسعة، اعتمد فيها على الكثير من المؤلفات اللغوية المتخصصة، والتى فقد معظمها، وبقى منها تلك الاقتباسات، التى أدخلها

السيوطى فى كتابه «المزهر».

هذا، وللمحدثين من العرب جهود مشكورة، فى التأليف فى موضوعات فقه اللغة العربية، وعلم اللغة العام، والترجمة فيهما من اللغات الأجنبية المختلفة، وهذه قائمة بأهم المصادر العربية فى الدرس اللغوى، مرتبة على حسب أسماء أصحابها:

الدكتور ابراهيم أنيس:

١- الأصوات اللغوية.

٢- فى اللهجات العربية.

٣- دلالة الألفاظ.

الدكتور إبراهيم السامرائى

١- دراسات فى اللغة.

٢- التطور اللغوى التاريخى.

أحمد حسين شرف الدين:

١- اللغة العربية فى عصور ما قبل الإسلام.

الدكتور أحمد مختار عمر:

١- من قضايا اللغة العربية والنحو.

٢- دراسة الصوت اللغوى.

الدكتور أحمد نصيف الجانى:

الدراسات اللغوية والنحوية فى مصر، حتى القرن الرابع الهجرى.

الدكتور تمام حسان:

١- مناهج البحث فى اللغة.

٢- اللغة بين المعيارية والوصفية.

٣- اللغة العربية، معناها ومبناها.

الدكتور حسين نصار:

١- المعجم العربى، نشأته وتطوره.

الدكتور رمضان عبد التواب:

١- لحن العامة والتطور اللغوى.

٢- التذكير والتأنيث فى اللغة.

٣- فصول فى فقه العربية. (*)

٤- التطور اللغوى وقوانينه.

٥- اللغة العبرية، قواعد ونصوص ومقارنات باللغات السامية.

٦- نصوص من اللغات السامية، مع الشرح والتحليل والمقارنة.

٧- اللغات السامية، لنولدكه «ترجمة».

٨- فقه اللغات السامية، لبروكلمان «ترجمة».

٩- العربية، ليوهان فك «ترجمة».

١٠- المدخل إلى علم العام. (*)

وكتبه جميعًا لدى مكتبة الخانجى.

الدكتور السيد يعقوب بكر:

١- دراسات فى فقه اللغة العربية.

٢- دراسات مقارنة فى المعجم العربى.

الدكتور صبحى الصالح:

١- دراسات فى فقه اللغة. (*)

طبعة دار العلم للملايين.

الدكتور عبده الراجحي:

١- اللهجات العربية فى القراءات القرآنية.

الدكتور عبد الصبور شاهين:

١- دراسات لغوية.

٢- فى التطور اللغوى.

الدكتور عبد الله درويش:

١- المعاجم العربية، مع اعتناء خاص بكتاب العين.

على عبد الواحد وافى:

١- علم اللغة.

٢- فقه اللغة.

الدكتور كمال بشر:

١- قضايًا لغوية.

٢- دراسات فى علم اللغة.

٣- علم اللغة العام «الأصوات».

محمد الخضر حسين:

١- دراسات فى العربية وتاريخها.

محمد المبارك:

١- فقه اللغة وخصائص العربية.

الدكتور محمود حجازى:

١- علم اللغة العربية.

٢- مدخل إلى علم اللغة.

الدكتور محمود السعران:

١- علم اللغة، مقدمة القارئ العربى. [مستفاد من «أصول فى فقه العربية» للدكتور رمضان عبد التواب].

❊ ❊ ❊

علم الأدب

استوفى الشيخ عبد العزيز بن إبراهيم بن قاسم أمات كتب هذا الفن، ولم يبق لى إلا التنبيه على بعض الكتب المهمة جدًّا فى هذا الفن:

١- خزانة الأدب، عبد القادر البغدادى، مكتبة الخانجى(*).

٢- الحيوان للجاحظ، مكتبة الخانجى.

٣- الحماسة لأبى تمام، دار الجيل(*).

٤- المفضليات، للمفضل الضبى، دار المعارف بمصر(*).

٥- جمهرة أشعار العرب، لأبى زيد القرشى، دار القلم بدمشق.

٦- طبقات فحول الشعراء، لمحمد بن سلام الجمحى، دار الخانجى.

٧- الشعر والشعراء لابن قتيبة، دار الحديث.

٨- عيون الأخبار، لابن قتيبة، دار الكتب المصرية.

٩- شرح أشعار الهذليين، دار التراث بمصر.

١٠- دراسة فى مصادر الأدب، الطاهر مكى، دار المعارف(*).

وليعتن الطالب بمطالعة المصنفات التالية:

١- كل مصنفات شيخ الإسلام ابن القيم عليه رحمة الله.

٢- كل مصنفات الشيخ العلامة محمود محمد شاكر.

٣- كل مصنفات الشيخ العلامة أحمد محمد شاكر.

٤- كل مصنفات الشيخ العلامة محمد الخضر حسين.

٥- كل مصنفات الشيخ العلامة محمد البشير الإبراهيمي.

٦- كل مصنفات الشيخ العلامة محمود محمد الطناحى.

٧- كل مصنفات الشيخ العلامة بكر بن عبد الله أبو زيد.

٨- من وحى الرسالة - أحمد حسن الزيات - نهضة مصر.

٩- الذكريات - علي الطنطاوى - دار المنارة بجدة.

١٠- وحى القلم - مصطفى صادق الرافعى - دار ابن حزم.

١١- النظرات - مصطفى لطفى المنفلوطى - مكتبة مصر.

١٢- الحديقة - محب الدين الخطيب - المطبعة السلفية.

١٣- صيد الخاطر - ابن الجوزى - دار القلم بدمشق.

١٤- نفح الطيب من غض الأندلس الرطيب - دار الكتب العلمية.

١٥- شرح مقامات الحريرى - للشريشى - المكتبة العصرية.

❁ ❁ ❁

علم المنطق

تعريفه: تنوعت تعريفات المناطقة للمنطق، فبعض هذه التعريفات يرجع إلى التعريف بموضوعه ومسائله، وبعضها يرجع إلى التعريف بفائدته وغايته، إذًا فهما طريقتان للتعريف، نذكر لكل طريقة تعريفًا واحدًا.

الأولى: التعريف بالموضوع، حيث قالوا: «**إنه العلم الذى يبحث فى المعلومات التصورية والتصديقية للوصول إلى المجهول**».

الثانية: التعريف بالفائدة، حيث قالوا: «**هو آلة قانونية تعصم مراعاتها الذهن عن الخطأ فى الفكر**».

ولذا يقول الأخضرى:

وبعد فالمنطق للجنان نسبته كالنحو للسان
فيعصم الأفكار عن غى الخطا وعن دقيق الفهم يكشف الغطا

ومن هنا نعلم أن اشتقاق كلمة «منطق» من النطق بمعنى التفكير ومنطقه الأمور [إتحاف المحقق (ص١١- ١٣)] بتصرف.

المرحلة الأولى

١- تسهيل المنطق، للشيخ عبد الكريم مراد الأثرى(*).

٢- السلم المنورق فى المنطق، لعبد الرحمن الأخضرى.

وعليه:

١- شرح لعبد الرحمن الأخضرى.

٢- حاشية للشيخ البيجورى، نشر مصطفى البابى الحلبى.

٣- شرح الدمنهورى على المسلم، نشر مصطفى البابى الحلبى.

٤- شرح الملوى مع حاشية الصبان، نشر مصطفى البابى الحلبى.

٥- توشيح عبد السلام على السلم، بشرح الشيخ محمد محفوظ بن الشيخ بن فحف، نشر محمد محمود ولد الأمين.

٣- تهذيب المنطق للتفتازانى.

وعليه:

١- شرح للخبيصى، حققه وزاد عليه الشيخ عبد المتعال الصعيدى، نشر مكتبة الآداب.

المرحلة الثانية

١- طرق الاستدلال ومقدماتها عند المناطقة والأصوليين، للدكتور يعقوب الباحسين. نشر مكتبة الرشد(*).

٢- آداب البحث والمناظرة للشنقيطى، نشر مكتبة ابن تيمية.

٣- ضوابط المعرفة للشيخ عبد الرحمن بن حسن حبنكة الميدانى.

المرحلة الثالثة:

١- الرد على المنطقيين لشيخ الإسلام ابن تيمية، نشر مؤسسة الريان.

٢- منطق ابن تيمية حسنى الزين، نشر المكتب الإسلامى.

❀ ❀ ❀

علم مقاصد الشريعة

تعريف مقاصد الشريعة: هى المعانى الملحوظة فى الأحكام الشرعية، والمترتبة عليها، سواء أكانت تلك المعانى حكمًا جزئية، أم مصالح كلية، أم سمات إجمالية، وهى تتجمع فى هدف واحد هو تقرير عبودية لله. ومصلحة الإنسان الدارين:

المرحلة الأولى

المختصر الوجيز فى مقاصد التشريع، للدكتور عوض بن محمد القرنى.

نشر دار الأندلس القراء.

المرحلة الثانية

مقاصد الشريعة الإسلامية، للدكتور زياد محمد أحميدان. نشر مؤسسة الرسالة.

المرحلة الثالثة

كتاب الموافقات، لأبى إسحاق الشاطبى، تحقيق مشهور حسن سلمان. نشر دار ابن عفان.

المرحلة الرابعة

ويعنى فيها الطالب بمطالعة البحوث التالية:

١- مقاصد الشريعة، محمد الطاهر بن عاشور تحقيق محمد الطاهر الميساوى. دار البصائر.

٢- مقاصد الشريعة. علاء الفاسى.

٣- مقاصد الشريعة عند ابن تيمية، يوسف أحمد البدوى. دار النفائس.

٤- قواعد المقاصد عند الإمام الشاطبى، عبد الرحمن الكيلانى. دار الفكر بدمشق.

٥- مقاصد الشريعة عند الإمام الشاطبى، أحمد الديسونى. دار الكلمة.

٦- الثابت والمتغير فى فكر الإمام أبى إسحاق الشاطبى، مجدى عاشور. دار البحوث والدراسات بدبى.

٧- طرق الكشف عن مقاصد الشارع، نعمان جغيم. دار النفائس.

٨- اعتبار المآلات ومراعاة نتائج التصرفات، عبد الرحمن السنوسى. دار ابن الحوزى.

٩- الاجتهاد والمقاصدى، نور الدين الخادمى. مكتبة الرشد.

❊ ❊ ❊

علم القواعد الفقهية

وتعريفه: أنه هو العلم الذى يبحث فيه عن القضايا الفقهية الكلية، التى جزئياتها فقهية كلية، من حيث معناها وماله صلة به، ومن حيث بيان أركانها وشروطها، ومصدرها، وحجيتها، ونشأتها وتطورها، وما تطبق عليه من الجزئيات، وما يستثنى منها. [القواعد الفقهية ليعقوب الباحسين (ص/ ٢٥٦)].

المرحلة الأولى

١- منظومة القواعد الفقهية للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدى، نشر دار أضواء السلف بتحقيق أشرف عبد المقصود.

وهذه قائمة بشروحها:

١- شرح الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدى، نشر دار التوعية الإسلامية بمصر، وهناك طبعة أخرى لدار الحرمين بمصر، وأخرى لدار البصيرة بمصر.

٢- شرح الشيخ صالح بن محمد الأسمرى، نشر دار الصميعى.

٣- القواعد والأصول الجامعة والفروق والتقاسيم البديعة النافعة، نشر مكتبة الرشد.

وله شرحان:

١- شرح الشيخ محمد بن صالح العثيمين، ونشرته مكتبة السنة(*).

٢- شرح الشيخ عبد المحسن الزامل، نشر دار أطلس الخضراء.

المرحلة الثانية

١- الوجيز فى إيضاح قواعد الفقه الكلية، للدكتور محمد صدقى البورنو، نشر مؤسسة الرسالة.

٢- الوجيز فى القواعد الفقهية، للدكتور عبد الكريم زيدان. نشر مؤسسة الرسالة.

٣- القواعد الفقهية للشيخ على الندوى. نشر دار الفكر بدمشق(*).

٤- القواعد الفقهية للشيخ أحمد الزرقا. نشر دار الفكر بدمشق.

المرحلة الثالثة

١- الفرائد البهية فى نظم القواعد الفقهية لأبى بكر بن أبى القاسم الأهدل.

وقد شرحها عبد الله بن سليمان الجوهرى، شرحًا سماه «المواهب السنية»، وقد نشره المكتب الإسلامى ببيروت.

وللشيخ محمد ياسين الفادانى - عفا الله عنه- حاشية جليلة على هذا

الشرح أسماها «الفوائد الجليلة»، وقد حقق الجميع الشيخ رمزى سعد الدين دمشقية. نشر دار البشائر بيروت(*).

٢- المدخل الفقهى العام للشيخ مصطفى بن أحمد الزرقا. نشر دار الفكر بدمشق(*).

المرحلة الرابعة

وهى مرحلة التخصص، وتكون مطالعة الطالب فيها وفقًا لمرحلتين:

الأولى: جرد كتب القواعد الفقهية والأشباه والنظائر على اختلاف مذاهبهم، وليستعن بكتاب الندوى الآنف ذكره، وبكتاب «القواعد الفقهية» للدكتور يعقوب الباحسين، نشر مدتبة الرشد وهو مهم جدًّا.

الثانية: مطالعة البحوث العلمية والمميزة فى هذا الباب وهذه قائمة بها:

١- موسوعة القواعد الفقهية، محمد صدقى البورنو، مؤسسة الرسالة وابن حزم.

٢- موسوعة القواعد الفقهية فى المعاملات المالية، للدكتور على أحمد الندوى، منشورات مصرف الراجحى.

٣- القواعد الفقهية الخمس الكبرى والقواعد المندرجة تحتها، جمع ودراسة من مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، إسماعيل بن حسن، دار ابن الجوزى.

٤- القواعد الفقهية المستخرجة من كتاب إعلام الموقعين لابن القيم عبد

المجيد جمعة، دار ابن عفان.

٥- القواعد الفقهية المستخرجة من كتاب المدونة الكبرى، أحسن زقور، دار ابن حزم.

٦- القواعد الفقهية من خلال كتاب المغنى لابن قدامة، عبد الواحد الإدريسى، دار ابن عفان.

٧- مقاصد المكلفين، عمر سليمان الأشقر. دار ابن حزم.

٨- قاعدة الأمور بمقاصدها، يعقوب الباحسين، مكتبة الرشد.

٩- قاعدة اليقين لا يزول بالشك، يعقوب الباحسين، مكتبة الرشد.

١٠- قاعدة العادة محكمة، يعقوب الباحسين، مكتبة الرشد.

١١- العرف والعادة فى رأى الفقهاء، أحمد فتحى أبو سنة، دار البصائر.

١٢- العرف حجته وأثره فى فقه المعاملات المالية عند الحنابلة، عادل عبد القادر قوتة، المكتبة المكية.

١٣- قاعدة المشقة تجلب السير، صالح سليمان اليوسف، المطابع الأهلية للأوفست.

١٤- القواعد والضوابط الفقهية المتضمنة للتيسير، عبد الرحمن بن صالح العبد اللطيف، منشورات عمادة البحث العلمى بالجامعة الإسلامية.

١٥- رفع الحرج فى الشريعة الإسلامية، يعقوب الباحسين، مكتبة

الرشد.

١٦- عموم البلوى، مسلم بن محمد الدوسرى، مكتبة الرشد.

١٧- الضرر فى الفقه الإسلامى، أحمد موافى، دار ابن عفان.

١٨- الفعل الضار والتعويض الضرر فيه، مصطفى الزرقا، دار الفكر بدمشق.

١٩- نظرية الضرورة الشرعية، وهبه الزحيلى، دار الفكر بدمشق.

٢٠- قاعدة إعمال الكلام أولى من إهماله، محمود المرقوشى، المؤسسة الجامعية بيروت.



علم التفسير وأصوله

استوفى الشيخ عبد العزيز بن قاسم أمات كتب هذا العلم ولم يبق لى إلا الإشارة إلى بعض الكتب المهمة فى هذا الفن:

١- فصول فى أصول التفسير، مساعد الطيار، دار ابن الجوزى.

٢- شرح مقدمة التفسير، للشيخ محمد بن صالح العثيمين، نشر مكتبة السنة.

٣- شرح أصول التفسير، للشيخ محمد بن صالح العثيمين، نشر مكتبة السنة.

٤- دراسات فى علوم القرآن، فهد الرومى، مكتبة الرشد.

٥- منهج المدرسة العقلية فى التفسير، فهد الرومى، مكتبة الرشد.

٦- المقدمات الأساسية فى علوم القرآن، عبد الله بن يوسف الجديع. مؤسسة الريان.

٧- تفسير ابن جزى الكلبى، دار الفكر.

٨- تفسير ابن كثير، دار عالم الكتب بالرياض.

٩- إعراب القرآن الكريم، محيى الدين الدرويش، دار ابن كثير دمشق.

١٠- قواعد التفسير، خالد السبت، دار ابن عفان.

علم الفقه

الحقيقة أن خبرة كاتب هذه السطور بغير المذهب الحنبلى ضعيفة، وأعاذنا الله وإياكم من أن نتشبع بما لم نعطى، وعليه فسأذكر منهجية طلب الفقه وفقا للمذهب الحنبلى فحسب.

المرحلة الأولى:

١- عمدة الفقه لابن قدامة المقدسى.

انظر: «الدليل إلى المتون العلمية» (ص/ ٤٣٦)، ومما يستدرك عليه:

١-أفضل طبعات كتاب «العدة شرح العمدة» هى التى حققها الدكتور عبد الله عبد المحسن التركى ونشرتها مؤسسة الرسالة.

٢- هناك شرح مسجل على العمدة للشيخ محمد بن محمد المختار الشنقيطى ولم يكمل بعد.

٢-أخصر المختصرات للبلبانى.

انظر: «الدليل إلى المتون العلمية» (ص/ ٤٥٩)، ومما يستدرك عليه:

١-طبع شرح عثمان النجدى بتحقيق البرجس والبشر عند مؤسسة الرسالة فى أربع مجلدات.

٣- منهج السالكين للشيخ عبد الرحمن السعدى.

له طبعتان:

الأولى: بتحقيق محمد الخضيرى، نشر دار الوطن، وهناك طبعة أخرى لدار ابن الجوزى.

الثانية: بتحقيق أشرف عبد المقصود، نشر دار أضواء السلف.

وللكتاب شرح مسجل لم يكمل للشيخ عبد الله الجبرين.

٤-الملخص الفقهى للشيخ صالح بن فوزان الفوزان، نشر دار ابن الجوزى. (*)

المرحلة الثانية:

١-زاد المستقنع للحجاوى.

انظر: «الدليل إلى المتون العلمية» (ص/ ٤٤١)، ومما يستدرك عليه:

١-هناك طبعة جيدة للزاد بتحقيق عبد الرحمن العسكر طبعتها دار مدار الوطن.

٢- هناك شرح مسجل للزاد للشيخ محمد بن محمد المختار الشنقيطى. (*)

٢- دليل الطالب للشيخ مرعى الحنبلى.

انظر: «الدليل إلى المتون العلمية» (ص/ ٤٥٢)، ومما يستدرك عليه:

١-صدرت طبعة جديدة لتحقيق الفاريابى على المنار استدرك فيها أخطاء

الطبعة الأولى ونشرتها دار طيبة.

٢-هناك كتاب للشيخ عبد العزيز الطريفى اسمه: « التحجيل فى تخريج ما لم يخرج من الأحاديث وآثار فى إرواء الغليل » نشرته مكتبة الرشد، وهو كتاب نفيس، ولم يخرج ما خرجه الشيخ صالح آل الشيخ فى كتابه.

المرحلة الثالثة:

وهى المرحلة التى يستفرغ فيها الطالب وسعه فى تحرير المذهب ومطالعة كتبه ومما يوصى بقراءته فى هذه المرحلة:

١- المدخل المفصل للشيخ بكر أبو زيد، دار العاصمة. (*)

٢- مفاتيح الفقه الحنبلى، لسالم الثقفى. (*)

٣- المغنى لابن قدامة، دار هجر.

٤- المقنع والشرح الكبيرو الإنصاف، دار هجر.

٥- الفروع لابن مفلح، مؤسسة الرسالة.

٦- مصنفات شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وأئمة الدعوة فى الفقه.

٧- مجموع فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ.

٨- مجموع فتاوى الشيخ عبد العزيز بن باز.

٩- مجموع فتاوى الشيخ محمد بن صالح العثيمين.

١٠- مجموع فتاوى الشيخ صالح بن فوزان الفوزان.

١١- فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية.

❀ ❀ ❀

علم المحاضرات والتواريخ

أجاد فضيلة الشيخ عبد العزيز بن إبراهيم بن قاسم فى كتابه «الدليل إلى المتون العلمية» (ص ٦٩٩ - ٧٥٠)؛ عرض مهمات مصنفات هذا الباب، ولا أجد ما أضيفه على ما ذكر إلا هذه القائمة من البحوث والمصنفات المهمة، والتى أوصى الطالب بالعناية بها:

١- الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى نشر دار الكتب المصرية. وفيه سمٌّ ناقع، ولكنه مرجع لا غنى عنه للباحث المتقدم المتمكن.

٢- بهجة المجالس وأنس المجالس، لابن عبد البر، تحقيق محمد مرسى الخولى، نشر دار الكتب العلمية.

٣- الرحيق المختوم، للمباركفورى، دار الوفاء.

٤- السيرة النبوية فى ضوء المصادر الأصلية للدكتور مهدى رزق الله أحمد، نشر دار إمام الدعوة، وهو كتاب نفيس جدًّا.

٥- رسالة فى الطريق إلى ثقافتنا. للشيخ محمود محمد شاكر. نشر دار المدنى.

٦- التاريخ الإسلامى لمحمود شاكر، نشر المكتب الإسلامى.

٧- سلسلة تصحيح التاريخ. للدكتور جمال عبد الهادى ورفقاؤه نشر دار الوفاء.

٨- سير أعلام النبلاء، للذهبي، نشر مؤسسة الرسالة.

٩- طبقات الشافعية الكبرى، للسبكي، تحقيق محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح الحلو، نشر دار هجر.

١٠- وفيات الأعيان لابن خلكان.

١١- معجم الأدباء، لياقوت الحموي، تحقيق إحسان عباس. نشر دار الغرب الإسلامي.

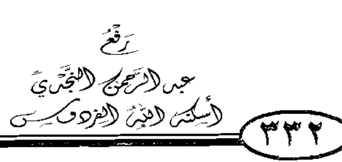
١٢- طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى، وذيله لابن رجب، نشر مكتبة العبيكان.

١٣- عيون الأخبار لابن قتيبة، نشر دار الكتب المصرية.

١٤- البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي، نشر دار صادر.

١٥- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، للمقري، نشر دار الكتب العلمية.





الفهرس





وفيه فوائد وتنبيهات وقضايا مهمة حول المنهجية في طلب العلم
مع قوائم ببليوجرافية بالمصنفات المعاصرة المهمة في كل فن
من الفنون وتنزيلات مهمة على كتاب الدليل إلى
المتون العلمية

تأليف

أبو الأشبال أحمد بن سالم المصري



التوزيع داخل جمهورية مصر العربية
بة التوحيد ببورسعيد
رسم :٠٦٦/٣٣٥٠٨٥٨ جوال :٠١٠٦٩٦٠٠٢٥